الفيصل

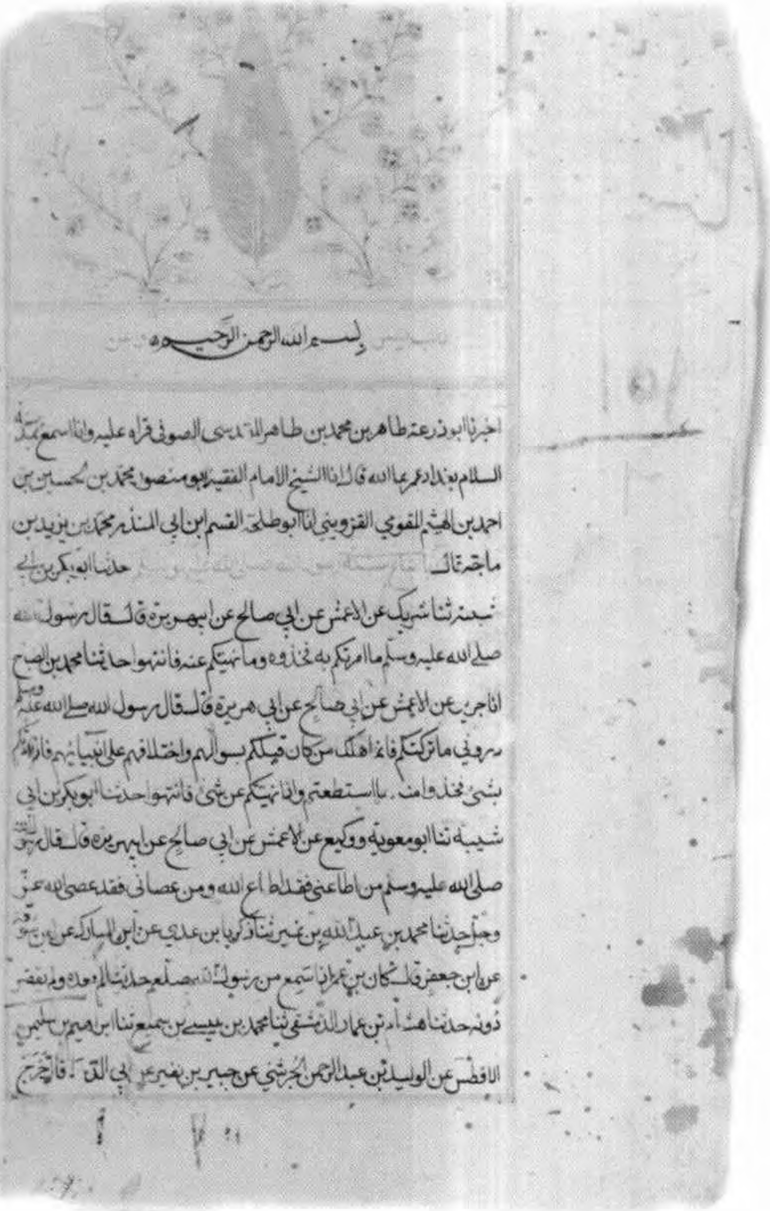
مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢١٦) جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ ـ (نوفمبر ـ ديسمبر) ١٩٩٤م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (216) NOV/DEC 1994

- **النقد الأدبي:** عواطف وعواصف!
- **الترجمة:** حدود النقل والإبداع
- **الذوق:** مصطلح تختلف حوله الأذواق!
- **الغذاء:** نسب وتناسب



تقويم مناهج التعليم هل يعني قصورها؟

(ملف خاص عن مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية)



سنن ابن ماجه

تأليف أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، المتوفى سنة ٢٧٣هـ .

كتاب سنن ابن ماجه أحد كتب الحديث الستة المشهورة والمعتمدة ، وهي : صحيحا البخاري ومسلم وسنن أبي داوود والترمذي والنسائي، بالإضافة إلى كتابنا هذا.

وقد قسم المؤلف كتابه «السنن» إلى عدة أبواب، بدأها بباب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتبعها بأبواب الإيمان ، ثم أبواب العبادات والمعاملات.

وهذه النسخة كتبت في القرن العاشر تقديراً بخط نسخي نفيس، وكتبت الأبواب بالمداد الأحمر، كما وضع المتن ضمن جداول مذهبة وملونة، وزينت الصفحة الأولى بزخارف نباتية ملونة ومذهبة. وهي تقع في مجلدين ضخمين.

وقد تم تصحيح هذه النسخة ومقابلتها على نسخة أخرى سنة ١٠٨٠هـ في مدينة أكبر أباد بالهند، المعروفة اليوم باسم آكره.

المخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

إعداد: إبراهيم باجس عبدالمجيد

البريد
THE MAIL

عام الحزن الثقافي

عام ١٩٩٢م عام الحزن، وهذا معروف لدى الجميع. أمّا أسباب تسميته فيرجع إلى ازدياد نسبة المآسي التي تجرعها بعض سكان المعمورة في ذلك العام، من حروب ومجاعات وكوارث كالزلازل والبراكين والعواصف والفيضانات وما إلى ذلك.

أما عام ١٩٩٣م فيستحق تسميته بعام الحزن الثقافي وذلك لكثرة وفيات أشهر الأدباء والمثقفين فيه، من أمثال الدكتور علي شلش، والأستاذ عبدالعزيز الرفاعي، والأستاذ حسين سرحان، والشيخ أحمد محمد جمال، والدكتور جمال حمدان، والدكتور زكي نجيب محمود، والكاتب الرياضي نجيب المستكاوي، والخطاط العربي الشهير سيد إبراهيم، وغيرهم كثير ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن.

هؤلاء أثروا الساحة الثقافية بإنتاجهم وعطاءاتهم الثقافية والأدبية التي تعتبر نبراسا يقتدي به كل من يأتي من بعدهم من المثقفين الجدد.

وهاهم رحلوا وتركوا أعمالهم، وهذه سنة الحياة.

وصدق القائل:

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقي الدهر ما كتبت يداه

أحمد حمدان البلوي
تبوك

حسن ظاظا

أعجبت كثيرا بـ «الفيصل» كلها، وخاصة ما نراه من مقالات افتتاحية للدكتور زيد الحسين، ومقالات الأستاذ الدكتور حسن ظاظا، الذي أتمنى أن أعرف عنه المزيد، عن حياته وعنوانه وأهم انتاجه. بارك الله فيكم.

أكرم سالم المحاسنة
جرش - الأردن

الدكتور حسن ظاظا، واسمه الكامل حسن محمد توفيق ظاظا، متخصص في الأدب واللغات، وأستاذ جامعي متقاعد، يعمل حاليا مستشاراً في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ولد في القاهرة عام ١٩١٩م، يحمل ليسانس الأدب العربي واللغات الشرقية من جامعة القاهرة عام١٩٤١م، وماجستير في الآداب العبرية واللغات السامية من الجامعة العبرية في القدس ١٩٤٤، ودبلوم في تخصصات العلوم التاريخية واللغات الشرقية والآثار وتاريخ الفنون من عدة معاهد في باريس، ودكتوراه من السربون ١٩٥٨. عمل أستاذا في جامعات الإسكندرية والرباط وبيروت ومالطا وجامعة الملك سعود بالرياض. يجيد العربية والفرنسية والإنجليزية والعبرية، كما يجيد اللاتينية واليونانية والآرامية البابلية الأشورية. من أهم مؤلفاته: اللسان والإنسان: مدخل إلى معرفة اللغة، الساميون ولغاتهم، كلام العرب في اللغويات العامة والسامية، الفكر الديني اليهودي، الشخصية الإسرائيلية، أبحاث في الفكر اليهودي. (يمكن مراسلته على عنوان المجلة).

عاجل لمواجهة «الفضائيات»

كم أتمنى أن تضاف إلى مجلتنا الثقافية العملاقة أبواب تُعنى بشؤون المرأة والطفل والأسرة بصفة عامة، بحيث تكون هذه الأبواب ثابتة ودائمة، وليست مجرّد مقالات أو دراسات تنشر بين الحين والآخر.

أود أن يلقى اقتراحي هذا اهتماماً لدى القائمين على أمر المجلّة، وخاصة في هذه الظروف التي تواجه فيها الأسرة العربية المسلمة غزواً عاتياً يصل إلى داخل البيوت عبر شاشة التلفاز، ويوشك أن ينال من هويّتها وينحدر بها إلى القاع. ولو قدر لهذا الاقتراح أن يتم تنفيذه مستقبلاً، فإنني أودّ أن يكون في شكل ملحق (كتيّب صغير) لكي تتم الفائدة والنفع لكل أفراد الأسرة. وهذا تقليد معمول به في بعض الدوريّات الشهرية في بعض الدول العربية.

محمدي حسن علي الشافعي
القاهرة - مصر

العدد (٢١٥)

لايخفى على متابعي «الفيصل» الجهد التحريري المبذول، وخاصة العدد (٢١٥) الذي تمثل فيه بشكل واضح الاهتمام برسائل القراء وآرائهم، من خلال إفراد باب جديد هو «البريد» وزيادة المساحة المخصصة لباب «مناقشات وتعليقات».

إن ما يطمح إليه كل مهتم بالثقافة الجادة ومتابع للمجلات الرصينة أن يتفاعل القراء مع مطبوعاتهم الدورية، ولاتقتصر مشاركتهم على قراءتها فقط، بل يكون هناك تجاوب مع مافيها من أفكار وتداول للآراء. والأهم من هذا أن يؤدي كل ذلك إلى رفع مستوى الحوار الفكري والاهتمامات الثقافية كي نبني في المحصلة النهائية وعيا حضاريا نحن أحوج مانكون إليه في هذه المرحلة من حياة أمتنا.

فيصل محمد العبد الكريم
الدمام

القارئ الصغير

إنني أواظب على قراءة «الفيصل» منذ أن كنت في الصف الثاني الابتدائي، حيث كان يقرؤها لي أبي وأنا أستمع.

وعندما أجدتُ القراءة والكتابة - وعمري عندئذ كان تسع سنوات - صرت أقرؤها بنفسي و(عمري الآن ثلاثة وعشرون عاما).

عصام عبد الله عثمان
بورتسودان - السودان

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١ يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح

إطلالة



سياسة التعليم

لقد بات من المسلَّم به أن التعليم بحسبانه وسيلة من وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية، يمثل عاملاً رئيسًا في ترجيح كفة الأمم في مضمار التقدم والرقي، ولعله من أكثر المجالات التي يتفق على أهميتها صانعو القرار السياسي وغيرهم من قادة الفكر والرأي، ولكن، على الرغم من هذا الاتفاق - الذي كان من المفترض أن يترجم إلى برامج وسياسات على أرض الواقع - نجد أن التقارير التي أعدتها المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية المعنية بشؤون التربية والتعليم تشير إلى أن مردود الخطط التربوية والتعليمية في كثير من دول مايسمى بالعالم الثالث جاء أقل من المستوى المأمول والمخطط له.

وقد أوضح البحث في أسباب هذا الإخفاق أن كثيرًا من تلك الدول آثرت تطبيق خطط وبرامج وسياسات تعليمية نجحت في دول أخرى دون مراعاة لاختلاف الظروف والبيئات والإمكانات المادية والقدرات البشرية بينها وبين الدول المحتذى بها، وكان ظنها أن استيراد الخطط والبرامج والسياسات الجاهزة يضعها في مصاف الدول (النموذج)، ويكفيها مشقة البحث ويوفر لها موارد مادية كانت تُنفق على البحوث والدراسات التي تسبق غالبًا رسم الخطط والبرامج. ومن جهة أخرى يعد الانقياد للمذاهب والتيارات الفكرية دافعًا للتقليد في التخطيط التربوي والتعليمي، وبدت هذه المظاهر واضحة إبان ذيوع الفكر الاشتراكي والماركسي في بعض البلدان التي تبنت هذا الفكر متخذة الاتحاد السوفيتي السابق أو الصين قدوة لها في كثير من القطاعات - وبخاصة قطاع التعليم - في وقت ساد فيه الاعتقاد بأن التنمية قد تستورد ولاتستنبت من خلال ثقافة الأمة.

وقد أدت الرغبة الجامحة لكثير من دول العالم الثالث في تحقيق السبق والتقدم، دون امتلاك الأدوات المفضية إليه، إلى فشل معظم الخطط الإنمائية في كثير من المجالات، وكان التعليم الأكثر نصيبًا من هذا الفشل، ذلك أن التعليم وثيق الصلة بثقافة الأمم والشعوب، لا لكونه أداة رئيسة للمحافظة عليها، وتحقيق التواصل الحضاري بين الأجيال فحسب، بل لأنه الطريقة المثلى لتشكيل العقول والأفكار وتفجير الطاقات الكامنة في دواخل الفرد بخاصة في مجتمعات تؤطرها القيم الثقافية وتوجهها . ومن ثم فإن التخطيط لوضع نظمه وتطوير أدائه لابد أن يكون نابعًا من الثقافة التي يعبر عنها ، والتي يسعى للحفاظ عليها، وتدعيم ركائزها وأسسها في وجدان الناشئة، حتى لايحدث انفصام بين الأجيال، يؤدي إلى مسخ هوية الأمة وتشويهها، ومن ثم يسهل اختراقها، فتكون لعبة في أيدي القوى المتصارعة في الساحة الدولية، توجهها وفق ما تهوى، وتضعضع قواعدها الثقافية حتى يصعب عليها النهوض مرة أخرى. ومن هنا تبرز أهمية وجود سياسة تعليمية محكمة ومدروسة تكون بمثابة صمام الأمان لثقافة المجتمع، وفي الوقت نفسه تبقى النبراس الذي يتم على ضوئه التخطيط والتقويم والتطوير المستمر للمناهج ووجهتها.

إن إدراك المسؤولين عن التخطيط التربوي والتعليمي لمغبة «التلفيق» واستيراد نظم جاهزة قد نبتت في أرض غريبة يعد أمرًا ضروريًا لتفادي التخبط المؤدي لفقدان التوازن وإهدار الموارد وإرباك عمليات التكوين والتنشئة للأجيال الجديدة. ولعل الانفصام بين التعليم والقيم الإنسانية القويمة يمثل الظاهرة الأكثر خطورة التي تهدد حضارة الإنسان في هذا العصر، إذ تم صياغة المناهج الدراسية بهدف إكساب الطلاب المهارات والمعارف في مجالات العلوم والآداب كافة مع إغفال تام - أو شبه تام - للجوانب السلوكية والضوابط الأخلاقية التي يجب أن تحكم التطبيق العملي للعلم.

وقد تنبهت دول عديدة في الغرب مؤخرًا إلى ضرورة التلازم بين العلم والأخلاق الكريمة التي يجب أن تحكم العلاقات الإنسانية والسلوك الاجتماعي، بعد أن عانت كثيرا من التفسخ والانحلال والنزعة الفردية التي تجعل الأنانية وإيثار الذات طابعًا للإنسان، مما أدى إلى تفشي الجريمة والعنف والسلوك المنحرف، حتى أصبح الشارع هناك مسرحًا لجرائم تتنافى والفطرة الإنسانية السوية، كما أن الأنانية وانعدام القيم سبب في تصدع بنيان الأسرة في ظل سيطرة الماديات، فأصبح هناك أطفال بلا أسر نتيجة للعلاقات غير المشروعة يقعون تحت تأثير وسائل الإعلام التي يعمد بعضها إلى الإثارة ومخاطبة الغرائز، مما يحول دون تمتع الإنسان بثمرة التقدم الحضاري الذي أنجزه في هذا القرن. وقد دفع هذا الواقع المرير كثيرًا من المفكرين والسياسيين إلى تبني الدعوة إلى ضرورة زرع القيم السوية في نفوس النشء، بما يحقق التوازن في شخصيتهم، ويدفعهم إلى السلوك القويم والإبداع المثمر الذي يرمي إلى صالح المجتمع، وهذا ما يُقصد به تشكيل الإنسان - الذي من العبرة أن يُنظر إليه كيف صار لا كيف كان. فهو - أي الانسان - أسرع عطبًا من البيضة وإن كان أصلب من الصخر. فها هو ذا الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش يتبنى استراتيجية للتعليم في أمريكا عام ٢٠٠٠ يؤكد فيها: «أن المدارس الأمريكية الجديدة لابد أن تكون شيئًا آخر، وليست مجرد فصول ممتلئة بطلبة أمام أجهزة الكمبيوتر، فإذا أردنا أن نعد أطفالنا للحياة فإن على فصولنا الدراسية أن تربي فيهم أيضا القيم والشخصية القويمة وأن تمنحهم القدرة على تمييز معنى الخير والشر».

واضطراب القيم والفكر ليس حكرًا على الغرب فحسب، فهناك دول في عالمنا الإسلامي تعاني هذا الاضطراب نفسه نتيجة لتهميش التربية الدينية في مدارسها، التي ضُيِّق مفهومها، حتى صارت لاتتعدى حصصًا دراسية محدودة ومناهج تتسم بالجمود والجفاف. بل إن هناك دولاً تجعل درجة التربية الإسلامية خارج نطاق المجموع الكلي لدرجات الطالب عند القبول في جامعاتها، فضلا عن عدم احتواء مناهج التدريس في الجامعات لمقررات في التربية الإسلامية. وينبع هذا الواقع المرير من جراء التأثيرات التي مارسها الاستعمار الغربي حين صنّف التعليم إلى تعليم ديني وآخر مدني، يهتم الأول - حسب منظوره - بأمور الدين، والآخر بأمور الدنيا، وجعل مجالات توظيف خريجي مدارس التعليم الديني لاتتجاوز حدود المساجد، فاستقر في أذهان البعض أن التعليم الديني يحد من طموح الفرد في الاستزادة من العلم والترقي في السلم الاجتماعي، وقد كرس الانبهاربهذا التقدم الغربي الاتجاه العلماني المنادي بفصل الدين عن الحياة، وبدا هذا الاتجاه واضحا في المقررات التعليمية التربوية في كثير من الدول الإسلامية - حتى بعد استقلالها - بدعاوى وحجج واهية، إذ بقي الدين على هامش المناهج التعليمية والتربوية التي تم استيراد جلها من الغرب الرأسمالي أو الشرق الماركسي. وفات هؤلاء الذين بهرهم التقدم المادي أن الغرب حين ارتضى الفصل بين الدين والحياة كان ذلك نتيجة لظروف تاريخية خاصة به، تمثلت في الصراع الذي نشب بين رجال الكنيسة (الرهبان) والعلماء بسبب التعسف الذي لاقاه العلماء من رجال الكنيسة، الذين خشي كثيرون منهم فقد النفوذ الواسع الذي يتمتعون به في أوساط العامة، والذي جاء نتيجة لممارستهم الشعوذة والدجل لخداع البسطاء - حتى وصل بهم الأمر إلى بيع ما أسموه «صكوك الغفران» للراغبين في دخول الجنة - مستغلين الجهل المتفشي في المجتمع حينذاك. وقد انتهى هذا الصراع المحتد بانتصار العلماء الذين أُجبر كثير منهم على إعلان التوبة والرجوع عن نظريات علمية نادوا بها . وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية فإنه لم يكن من المنطقي أن يوضع الدين الإسلامي في الإطار الهامشي نفسه الذي وُضع فيه الدين في الغرب ، من خلال هذه النظرة النمطية في حين أنه الأساس لحضارة تدين لها الحضارة الإنسانية بحيواتها واستمراريتها ونسوا أو تناسوا أن الإسلام دين الله المنزل هو طريق حياة شاملة بتوازنه وواقعيته ومثاليته. وقد لاقى هذا الاتجاه العلماني الملفق مساندة إعلامية واسعة ترمي إلى تعميقه في أذهان الناشئة، ذلك بحكم الدور الذي يقوم به الإعلام في عكس واقع المجتمع وتدعيم توجهات الدولة، وأدى التصادم والتعارض بين التوجهات العلمانية التي تبنتها تلك الدول، والقيم

وسلامة التوجه

الثقافية الإسلامية المتأصلة في مجتمعاتها إلى إيجاد نوع من فقدان التوازن والبلبلة الفكرية.

ولعل تجربة الاتحاد السوفييتي السابق تمثل واحدة من أبرز التجارب التي تؤكد ضرورة اتساق السياسات التعليمية والإعلامية مع ثقافة الأمة ومعطياتها الحضارية، فقد حاول الماركسيون فرض أفكارهم وتوجهاتهم على الشعوب الإسلامية التي انضوت قسراً تحت لواء الدولة السوفيتية، مستخدمين وسائل وسياسات شتى، كانت السياستان التعليمية والإعلامية أكثرها استحواذا على اهتمام الماركسيين وتركيزهم، إذ صبغوهما بأفكارهم، وحملوهما رؤاهم بهدف تشكيل الأجيال الجديدة وصياغتها صياغة ماركسية خالصة مع قطع كل صلة لها مع جذورها الثقافية والحضارية، وكان الظن أنهم نجحوا في مرماهم، إلا أن الانهيار السريع للاتحاد السوفييتي وتفكك أوصاله، كشف أن الشعوب الإسلامية التي كانت قد غُلبت على أمرها لاتزال على صلتها القوية وارتباطها المتين بتراثها الإسلامي الأصيل الذي جرف كل الشعارات الماركسية التي طغت على السطح في سنوات القهر والتسلط.

إن استقراء التاريخ والتمعن في تجارب الأمم والشعوب يؤكد أن نجاح سياسات الدول في مجالي التعليم والإعلام وغيرهما من مجالات النشاط الإنساني، يرتبط ارتباطاً كلياً بمدى ثبات مرتكزاتها والأسس التي تستند إليها وتحكم رؤيتها للكون والحياة. ومن هذا المنطلق فإن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان حريصاً على أن تكون مرتكزات دولته متسمة بالوضوح، من مصادر تشريعها، وملتزمة بالإرث الثقافي والحضاري لها، الذي تمتد جذوره إلى الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة التي انبثقت سياستها في المجالات كافة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، التي كانت وراء سيادة الحضارة الإسلامية وبلوغها شأوا عظيما في العلوم والمعارف كلها، لذا كان تأكيده ـ رحمه الله ـ الدائم على أن القرآن هو دستور الدولة. وقد ساعد هذا التحديد القاطع في رسم سياسة التعليم وصياغتها لتكون مرجعاً لكل الأنشطة التخطيطية والتنفيذية لوزارة المعارف، إذ تم التأكيد على أن هذه السياسة «تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقا وشريعة وحكماً ونظاماً متكاملاً للحياة».

وفي ضوء هذه السياسة الواضحة تم التركيز على ربط التربية والتعليم في جميع المراحل بخطة التنمية العامة، مع تحقيق التفاعل الواعي مع المستجدات الحضارية في مجالات العلوم والمعارف بما يبرز الشخصية المتميزة للمملكة العربية السعودية، بوصفها مهبط الوحي وقاعدة الانطلاق الرئيسة للحضارة الإسلامية التي أسهمت إسهاماً فاعلاً في بناء الحضارة الإنسانية في المجالات كافة.

وقد أبرزت السياسة التعليمية للمملكة العربية السعودية التلازم بين التعليم والقيم الإسلامية الأصيلة، وقد أكد ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ في خطابه الأخير للمواطنين وقادة المنطقة الشمالية بحفر الباطن، حين قال: «لدينا الآن سبع جامعات وعشرات العشرات من الكليات في جميع أنحاء البلاد توازي الكليات والجامعات الموجودة في خارج وطننا، بل تميزت عنها في شيء واحد هو أن جامعاتنا ومدارسنا متمسكة بالكتاب والسنة، وهي الأساس والقاعدة التي سوف نستميت في سبيلها».

والدين في المنظور الإسلامي ليس عبادات فحسب، وإنما هو إطار للعمل يرمي إلى تكوين الإنسان الصالح الملتزم بالعقيدة، الذي يقرن العلم بالعمل. وهذا المنظور ليس قاصراً كغيره في رؤيته للدين والعلم، ومن ثم لا يقسم العلوم إلى دينية وأخرى دنيوية، وإنما يتسم بالشمول والتوازن بحيث يصبح في خدمة الإنسانية جمعاء عن طريق الاحتكام إلى القيم الإسلامية الرامية إلى تنظيم جوانب الحياة وفق رؤية متكاملة. فلاغرو إذن ـ والحال كذلك ـ أن يكون التعليم «مهمة من أقدس مهمات ومسؤوليات الحكم» كما يؤكد ذلك دوماً خادم الحرمين الشريفين ـ الذي اضطلع بمسؤوليات وزارة المعارف عند إنشائها.

ولعل من نافلة القول التأكيد على أن استمرار حيوية ثقافة الأمة وعطائها الحضاري يتوقف على مدى حيوية نظامها التعليمي وقدرته على تحقيق انتقال الموروث الثقافي من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة بمرونة ودون صدام بينها، يؤدي إلى إيجاد فجوات وثغرات تتسلل من خلالها الأفكار الدخيلة التي تنخر في كيان الأمة وتوهن قواه، فلا يقوى على المواجهة والصمود، ومن ثم تذوب هويته، أو تكون مسخاً لكيانات أخرى أكثر اعتداداً بذاتها، وأكثر قدرة على التوفيق بين موروثها الثقافي ومتطلبات العصر، مع الإبقاء على ثوابتها ومرتكزاتها دون أي مساس. ومما لاشك فيه أن تحقيق هذا التمازج المتوازن بين الأصالة والمعاصرة يقتضي نظاماً تعليمياً يتسم بالمرونة، لأن التعليم إذا كان «صناعة المستقبل» كما يقول التربويون، فإن هذا لايعني بأي حال التضحية بالماضي، لأن ذلك الماضي هو أول الأثافي في بناء ثلاثي الأركان يكون المستقبل فيه هو ثالثة الأثافي بعد الحاضر، وهو لاشك زاخر بالخبرات والتجارب التي تستحق التمعن من أجل الإفادة منها لتشغيل هذا المستقبل. وفي الوقت نفسه لايكون التمعن مقصوراً على تراث الأمة فحسب، وإنما لابد أن يكون شاملاً للتراث الإنساني كله، وفي كل الأحوال تظل الأسس والركائز ثابتة لايعتورها تغيير أو تعديل، لأنها تمثل المصفاة التي تقي الوعاء الثقافي للأمة من أية شوائب قد تعكر صفوه.

ومن المعلوم أن علماء المسلمين أولوا اهتماماً كبيراً لسياسات التعليم وأساليبه على ضوء المنهج الإسلامي الذي يستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فوضعوا في هذا المجال نظريات متعددة، اقتفى أثر ممارستها كثير من الغربيين وبنوا عليها نظريات تربوية، ترتد إلينا مرة أخرى، فنتلقفها بكثير من الحفاوة دون أن ندرك أصولها وجذورها التي تمتد في تربتنا. ويكفي أن نشير هنا إلى أن العلامة المسلم عبد الرحمن بن خلدون انتقد كثيراً أسلوب القهر والعقاب الجسدي للطالب لما له من آثار سلبية في نفسه. يقول في مقدمته: «ومن كان مرباه العسف والقهر سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث. وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه»، وتبعه كثير من علماء الغرب فصاغوا على منواله نظريات تربوية تدرس حالياً في كثير من جامعات العالم الإسلامي منسوبة إليهم.

وقد أعدت «الفيصل» في هذا العدد ملفاً خاصاً عن مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية حرصت فيه على إثارة كثير من القضايا التربوية وطرح تساؤلات التربويين والطلاب وآبائهم ـ على حد سواء ـ ليجيب عنها المسؤولون عن التعليم، الذين أوضحوا توجهات السياسة التعليمية، وأهدافها التي تحققت، ومراميها المستقبلية مستخدمين الأرقام والإحصاءات، وفي الوقت نفسه اعترفوا ببعض مواطن القصور التي تحتاج إلى العلاج حتى تكون السياسة التعليمية أكثر تحقيقاً للمرامي التي وضعت من أجلها.

وتأتي أهمية إثارة مثل هذه القضايا التربوية التي ضمها الملف من منطلق أن التقويم الموضوعي يمثل ضرورة من أجل معالجة نقاط الخلل، وتفادي العشوائية المهدرة للطاقات والإمكانات. ولعل مما يساعد على النظرة الموضوعية لسياسة التعليم ونتائجها هو اعتمادها على منهج ثابت لايتغير، ومن ثم فإن التركيز يكون على البرامج والخطط حتى تتواكب مع مستجدات العصر وتطوراته مع احتفاظها بروح المنهج وأهدافه. وفي إطار هذا المنهج ذاته النابع من ثوابت المجتمع ومسلماته تتم الإفادة من تجارب الآخرين، بما يسهم في إثراء الحركة التعليمية وتوجيهها نحو غاياتها.

إن عمليات التخطيط والتنفيذ والمراجعة والتقويم لسياسات التعليم وبرامجه تعد شائكة ومتعددة الأبعاد تستدعي تفاعل العاملين في فروع العلوم الاجتماعية جميعها من أجل صياغة مستقبل الأمة في عصر لا مجال فيه للتثاؤب والإغفاء، تُحسب فيه قوة الأمم بمقدار ما لدى أبنائها من علم وفكر، يتم توظيفهما لتحقيق التجاوب البناء والتفاعل الواعي مع معطيات الواقع وظروفه. وهذا ما ألزم كثيراً من قادة الرأي والمتخصصين في مجال التخطيط التربوي والتعليم رفع شعار «أمة من الطلبة»، يعنون به أن يتجاوز النظام التعليمي حدود الفصول الدراسية، ليشمل كل فرد مهما كان عمره وموقعه. وحري بنا والحال كذلك أن نكون في طليعة الأمم الطالبة للعلم وفق هذا الشعار الذي كان الإسلام أول من حمل لواءه منذ أربعة عشر قرنا، حين دعا نبي الأمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى طلب العلم من المهد إلى اللحد.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

الفيصل

الفن الإسلامي: زخارف أم مضمون؟



كثيرون يظلمون الفن الإسلامي حين يعتقدون أن رسومه وأشكاله التجريدية مجرد زخارف تتسم بالسطحية والمباشرة، إذ إنهم بذلك يغيبون المضمون الروحي الذي يميز هذا الفن، ويجعل له طابعه الخاص بين غيره من فنون الأمم الأخرى.

وقد كشفت الدراسات الأكاديمية التي أجريت حوله وجود عدد من الخصائص والسمات والمعالم الثابتة له، ولكن ما مدى تأثره بالتنوع الإقليمي الناتج من انتشار الإسلام في أركان المعمورة؟

ص . ٨٣

الغذاء... كيف يكون وقاية؟



يحتاج جسم الإنسان إلى عدد من العناصر الضرورية التي تجعل أعضاءه تؤدي وظائفها بفعالية وكفاءة.

وقد تنبهت الدول المتقدمة إلى أهمية هذه العناصر وضرورتها لصحة مواطنيها، حتى إن بريطانيا اضطرت في السبعينيات إلى إنفاق ٥٠ مليون جنيه استرليني لإضافة الفلورايد لمياه الشرب، مقابل توفير مئات ملايين الجنيهات الاسترلينية التي كانت تنفقها في علاج تسوس الأسنان الذي يسببه نقص هذا العنصر. فما بقية هذه العناصر؟ وما ضرورتها؟ وما خطورة نقصها في جسم الإنسان؟

ص . ٩٠

الكون ذلك المجهول!



«نظرية كل شيء» ترمي إلى فهم أصل المادة في الكون وتركيبها الداخلي من حيث الدقائق البنائية الأصلية المؤلفة لها.

وقد صمم العلماء أدوات وأجهزة معقدة لاختبار هذه النظرية، منها جهاز طول نفقه ٨٤ كيلو متراً. كتاب « من الكوارث إلى الكون» الذي يعرضه باب «نافذة على ثقافة العالم» يقدم كثيراً من الحقائق العلمية والتساؤلات أيضا حول «الكون ذلك المجهول».

ص . ٩٣

ملف خاص

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتاب العدد

حمد الزيد



- مواليد المنطقة الوسطى ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.
- حصل على بكالوريوس في التربية والجغرافيا، كلية التربية بمكة المكرمة عام ١٣٨٨هـ.
- دبلوم الدراسات الاجتماعية من القاهرة.
- ماجستير في علم الاجتماع من معهد البحوث والدراسات التربوية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدولة العربية بالقاهرة.
- مسجل للدكتوراه في التخصص المذكور.
- يكتب الشعر والقصة والمقالة، وصدر له خمسة كتب أدبية.
- عضو مؤسس وأول رئيس لنادي الطائف الأدبي، عضو في الأندية الأدبية بجدة ومكة المكرمة وجمعية الثقافة والفنون بالطائف ورابطة الأدباء بالكويت.

د. عبدالله التطاوي



- أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب، جامعة القاهرة.
- عمل بالتدريس في كلية التربية بالطائف (١٩٨٣ - ١٩٨٨م).
- يعمل حالياً في قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الملك فيصل بالأحساء.

من أهم مؤلفاته:

أشكال الصراع في القصيدة العربية (ثلاثة أجزاء)، حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، أبعاد المؤثر الإسلامي في القصيدة العربية، مداخل فكرية ونفسية إلى المتنبي، المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع، الصور الفنية في شعر مسلم بن الوليد، وغيرها.

- له مقالات منشورة في الصحف والمجلات الثقافية ومحاضرات في الأندية الأدبية، وشارك في تأليف كتاب "الروائع من الشعر العربي" في فترة عضويته بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

زهدي الفاتح



- سعودي الجنسية، مواليد حلب ١٩٤١م.
- حاصل على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٦٠م.
- من أهم مؤلفاته:

«المسلمون والحرب الرابعة»، «لورنس العرب على خطى هرتزل»، «الفيصلية: منهاج حضارة ومدرسة بناء»، «من يحكم واشنطن وموسكو»، «اليهود باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية»، «فضح التلمود»، «يهود اليوم ليسوا يهوداً».

- له تحت الطبع:

«عبدالعزيز آل سعود: الميلاد والحصاد، الجزء الأول»، «فضائح الباطنيين الجدد».

- له أبحاث ومقالات منشورة في الصحف والمجلات السعودية واللبنانية منذ العام ١٩٦٣م.

د. حسيني علي



- مواليد ١٩٤٨م، مصر.
- دكتوراه الفلسفة في التربية الفنية، عن أطروحته «النظام الهندسي لعنصر النبات تحت الرؤية المجهرية كمصدر لإثراء التصميمات الزخرفية».
- عمل بالتدريس في دورة تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية، وبكلية التربية النوعية.
- شارك في برنامج العلاج بالفن لمرضى الصحة النفسية، المستشفى العسكري، أبوظبي.
- يعمل حاليًا أستاذاً مساعداً بكلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر.
- له عدد من الأبحاث والدراسات، أهمها: «جماليات اللوحة الزخرفية في الشارع المصري»، «أسس التصميم بين التراث والمعاصرة».
- أقام عدداً من المعارض الشخصية، كما شارك بأعماله الفنية في كثير من المعارض الجماعية.

مسيرة التعليم في

أعدت "الفيصل" في هذا العدد ملفًا عن التعليم بالمملكة العربية السعودية وقفت خلاله على تفسيرات التربويين لمفاهيم التعليم ومصطلحاته وتقويمهم لتجارب بعض الدول في هذا الحقل الحيوي، مع تقديم موازنات نقدية لتطبيقاتها لمناهج التعليم وسياساته. ولما كانت تجربة المملكة العربية السعودية في التعليم متميزة بل متفردة بما تنطوي عليه من خصوصية في المضمون والتطبيق، كان من الضروري الوقوف على آراء كبار المسؤولين الذي يضطلعون بمسؤولية التخطيط والتنفيذ لبرامج التعليم وسياساته وفق الأهداف العليا للبلاد، ومن ثم كان اللقاء مع معالي وزير المعارف د.عبد العزيز الخويطر، وسعادة وكيل الوزارة د.عبدالعزيز الثنيان، وسعادة وكيل الوزارة المساعد للتطوير التربوي د.عبدالله المعيلي.. وعبر هذه اللقاءات والإحصاءات التي تبين بالأرقام النقلة النوعية والكمية في حقل التعليم، ومن خلال إلقاء الأضواء على بدايات التعليم في المملكة العربية السعودية، وباستقراء تاريخ المملكة، واستعراض المراحل الدقيقة التي مر بها هذا الكيان، نجد أن الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ حرص، ـ منذ أن حقق الله على يديه تأسيس الدولة السعودية تحت راية التوحيد ـ على أن يكون التعليم أحد القواعد الراكزة للكيان الجديد، ورافداً يصب في نهر التجربة الفريدة، يستمد منها مقومات القوة الدافعة ويمدها في الوقت نفسه بالعناصر الباعثة على التطور، والحافزة على استمرار حيوية النموذج الوطني، بما يؤكد الثوابت التي ترتكز إليها الدولة السعودية في مسيرتها، والتي تتحدد في العقيدة الإسلامية السمحة، إذ رَمَتْ الخطة التعليمية إلى ترسيخ هذه الثوابت في وجدان المواطن، ومن ثم فإن خصوصية التجربة السعودية في مجال التعليم تكمن في أن السياسة التعليمية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدةً وعبادة وخُلقًا وشريعة، وحكمًا ونظاما متكاملاً للحياة. فالإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، وهذا المعنى، أي ربط الفريضة بالعلم مزية يتفرد بها الإسلام، وقد جعل ذلك التعليم والتعلم في مكانة اجتماعية عليا ومرموقة في المجتمع الإسلامي، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما بُعثت معلماً».

وقد وضع الإسلام ـ منذ بدء نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنذ المدرسة الأولى في «دار الأرقم» ـ بدايات المؤسسة التعليمية الإسلامية التي تظل حاضرة بتاريخها وأمجادها في برامج التعليم وسياساته في المملكة العربية السعودية. فمع دعوة التوحيد التي تبنتها المملكة ورعتها منذ تأسيسها ـ مستندة إلى التجربة الثرة للإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمهما الله) ـ بدأ ترسيخ التراث الإسلامي ومثله ومبادئه في صلب الحركة التعليمية وفي حركة تطورها وتوسعها.

وعندما نمت مؤسسات الدولة وحان الوقت لوضع صياغة أساسية لسياسات التعليم، عام ١٣٨٦هـ، نصت هذه السياسة الرسمية المستمرة إلى الآن، على أن «السياسة التعليمية هي الخطوط العامة التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم، أداءً للواجب في تعريف الفرد بربه ودينه، وإقامة سلوكه على شرعه، وتلبيةً لحاجات المجتمع، وتحقيقًا لأهداف الأمة. والسياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقا وشريعة وحكمًا ونظامًا متكاملاً للحياة، هي جزء أساس من السياسة العامة للدولة».

وهكذا تواصلت مسيرة التعليم في المملكة مسترشدة بالموجهات التي أكد عليها الملك عبد العزيز: «الحياة المجردة عن الدين، والزاخرة بأنواع القوة ليست حياة، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة حدود الله»، وإذا كان الملك عبدالعزيز قد أبدى حرصه على توكيد مرتكزات تجربته في تأسيس الدولة وبناء هياكلها وصون وحماية أبنائها.. فإنه كان أكثر حرصًا على الكشف عن الضمانات الكفيلة بتحقيق الاستمرارية والتطور، فكان أن قرن ـ في معظم لقاءاته بالمواطنين ـ بين العلم والعمل، وحث على أن يعبر العلم عن نفسه على أرض الواقع: «العلم بلا عمل كشجرة بلاثمر»، وكانت قناعته راسخة من هذه الجهة بالإمكانات الهائلة التي يمكن أن يفجرها التعليم ـ المسؤول الملتزم والمرتكز على الإرث الحضاري للأمة ـ في النفوس، فيحملها على العمل الجاد المبدع في مجالات الحياة كافة، وفي الوقت نفسه تنبه الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إلى أن التعليم عندما ينفصل عن تراث الأمة وعقيدتها لايثمر غير نماذج مشوهة، ولذلك فقد قامت مرحلة التأسيس على ركائز ثابتة مهدت للمراحل الرئيسة الأخرى التي كانت نتيجتها إنشاء وزارة المعارف وتعيين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز (خادم الحرمين الشريفين) ـ حفظه الله ـ أول وزير للمعارف (١٣٧٣ ـ ١٣٨٠هـ)، وهذه الخطوة بما واكبته من تطور في الفهم والتطبيق، تمثل نقلة نوعية ضخمة في تاريخ التعليم بالمملكة ، ولما كان

المملكة العربية السعودية



الأمير فهد (أول وزير للمعارف) هو نفسه (خادم الحرمين الشريفين) الملك فهد، فإن دوائر التطوير لم تتوقف، بل ظلت - وستظل - تنداح دائرة وراء أخرى، فلايزال الملك فهد (حفظه الله) - وهو الذي شهد تواضع البدايات والإمكانات - يفتح آفاقا جديدة في حقل التعليم: «من أهدافنا أن يستمر نشر التعليم بالسرعة التي يسير عليها، ثم أن نركز على رفع مستوى التعليم، نُعنى بالكيف عنايتنا بالكم». فنظرًا لكونه حفظه الله عايش عن قرب حقل التعليم ومنسوبيه، جعل من التعليم - حين تولى أمرالبلاد - : «مهمة من أقدس مهمات ومسؤوليات الحكم». ولذلك فهو يحث دومًا على تقويم مسار العملية التعليمية، ودعم برامج التعليم بما يمكّن الأمة من مواكبة العصر، واستشراف المستقبل: «إن إعادة النظر في مناهج التعليم لاتعني أن هناك قصوراً في المناهج الحالية، لكننا يجب أن نقوّم هذه المناهج بعد الفترة الطويلة التي طُبقت فيها، وأن ننظر إلى سلبيات وإيجابيات ذلك التطبيق».

إن القناعة راسخةٌ بسلامة الموجهات، وثبات الركائز والأسس، ولكن ضمان الاستمرار على النهج كما ينبغي أن يكون الاستمرار، يقتضي المراجعة والتقويم ودعم الإيجابيات ومعالجة السلبيات، وهذا ما يدفعنا إلى تخصيص هذا الملف للحديث عن التعليم وخطواته التي مضت، وموقعه حاليًا، ومواضع الخطى في المرحلة القادمة إن شاء الله.

معالي وزير المعارف د. عبد العزيز الخويطر :

النقلةُ النوعيّةُ لاتتعارضُ مع هدف

تضطلع وزارات التربية والتعليم والمعارف بدور كبير ومهم في تشكيل مستقبل الأمة وصياغته، لأن رجال ذلك المستقبل هم أطفال اليوم، الذين بقدر مايتلقون من تعليم ورعاية وتربية سليمة، تتحدد ملامح شخصياتهم، وقدراتهم على خدمة الوطن، ولذلك تصدق مقولة التربويين: «إن مستقبل الأمة يمر من ردهات وزارات المعارف والتربية والتعليم».. هذا المفهوم الذي يحدد المسؤوليات الجسيمة لجهات الإشراف والتوجيه في حقل التعليم، حملته الفيصل، إلى معالي وزير المعارف بالمملكة العربية السعودية د.عبدالعزيز الخويطر، فكان هذا اللقاء الذي قدم معاليه من خلاله تصوره للدور الحيوي، بل المصيري، الذي ينبغي أن تنهض به وزارات المعارف والتربية والتعليم في المجتمعات كافة، والخطط السعودية لتوكيد هذا الدور وترقيته، وقد دعم معاليه إجاباته بإحصاءات وأرقام توضح الخطوات الوثابة التي خطتها وزارة المعارف السعودية منذ إنشائها إلى اليوم.

معالي الوزير، انقضى اثنان وأربعون عامًا من عمر وزارة المعارف منذ تأسيسها عام ١٣٧٣هـ، ما حجم الطموحات التي تحققت من وجهة نظر معاليكم؟

لكي يكون حديثنا عن حجم الطموحات التي تحققت في وزارة المعارف منصفًا، خاصة بعد مرور أكثر من أربعين عامًا على تأسيسها، فلابد من الإشارة إلى البدايات الأولى التي رافقت ظهور التعليم في المملكة. عندما أسس الملك عبد العزيز رحمه الله مديرية المعارف عام ١٣٤٤هـ وأنشأ أول مجلس للمعارف عام ١٣٤٦هـ، فقد كان التكليف الرسمي من موحد المملكة هو وضع نظام تعليمي شامل، يستهدف توحيد التعليم للمواطنين ويقرر شموليته وتعميمه، ويضع سلمًا تعليميًا في أربع مراحل يتدرج فيها الطالب من التعليم الابتدائي حتى تأهيله العالي.

وقد حرص الملك المؤسس رحمه الله على تجنيد إمكانات الدولة، المحدودة في ذلك الوقت، لخدمة التعليم، وفتح المدارس، وتوفير الإمكانات والتجهيزات لها، باستثمار البشائر الأولى للبترول الذي بدأ يتدفق في البلاد. وكانت هذه المرحلة هي مرحلة بذر البذور وفتح الطريق، فقد حدّت الإمكانات الضيقة من حجم الإنجازات المتحققة آنذاك، لكن استمرار المسيرة بعد ذلك، والتزام ملوك الدولة بالتعليم واعتباره مسؤولية مباشرة يتولاها كل منهم برعايته، كل ذلك وضع الآمال والتطلعات موضع التنفيذ، واستمر التعليم في تطور مستمر وحركة دافعة متصلة.

وإذا أردنا أن نحدد حجم الإنجاز منذ ذلك الحين حتى الآن، فلعل الأرقام أصدق حديث في هذا المجال، فقد كان عدد المدارس عند إنشاء وزارة المعارف (٣٤٣) مدرسة وهو الآن (٩٩١٥) مدرسة، وكان عدد المدرسين في ذلك الوقت (١٨٧٨) مدرسًا وهم الآن (١١٠٢٩٣) مدرسًا، وكان تأهيل المدرسين آنذاك لايتجاوز معهد إعداد المعلمين الابتدائي، وأصبح الآن التأهيل مقصورًا على المرحلة الجامعية، وكان عدد المباني المدرسية آنذاك (٢٢٦) وأصبح الآن قرابة أربعة آلاف مبنى حكومي.

هذه نماذج من التطور الذي مر بالتعليم في المملكة ولعلها تعطي إشارة صادقة إلى العناية الكريمة التي يحظى بها التعليم من لدن حكومة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين.

ألا ترون أن ربع قرن فترة طويلة وكافية تستدعي وقفة لمراجعة وثيقة سياسة التعليم التي صدرت عام ١٣٩٠هـ وإجراء دراسة لقياس مدى انطباق بنود هذه السياسة على ما يجري داخل المدارس في المملكة. وقد أعرب بعض التربويين عن أملهم في رؤية دراسة علمية تقارن الإنسان الذي رسمته السياسة التعليمية من

"التعليم للجميع"



خلال مواد هذه الوثيقة وبنودها والإنسان الذي تخرج في مؤسساتنا التعليمية؟.

السياسة التعليمية هي خطوط عامة تقوم عليها عملية التربية والتعليم في المملكة أداءً للواجب في تعريف الفرد بربه ودينه وإقامة سلوكه على شرعه وتلبية حاجات المجتمع وتحقيق أهداف الأمة. وهذه الخطوط العامة تشمل حقول التعليم بمراحله المختلفة وما يدخل في إطارها من مناهج وبرامج وخطط ووسائل تربوية متعددة.

ولذلك فإن تلك الأطر أو الخطوط - وهي تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقًا وحكمًا ونظامًا متكاملاً للحياة - هي جزء أساس من سياسة الدولة التي تسير عليها. ومراجعة السياسات يتم بلا شك وفقًا لمصلحة الدولة العليا ومنهجها الذي تسير عليه. ولما كان نهج الدولة هو الإسلام الذي ارتضاه رب العالمين دينًا خاتمًا ينظم للأمة شؤونها، فإن التعليم بسياسته حينما يتعرض لوقفة مراجعة، كما تقول، ينبغي أن تراجع فيه تلك الوسائل والأساليب التي تترجم هذه السياسة العامة، حتى يتأكد القائمون على أمر التعليم من أن برامج التعليم تحقق سياساته وطموحاته. فالمنهج واضح ومحدد أما الأساليب فهي التي تخضع للمراجعة. وليس معنى ذلك أن وثيقة سياسة التعليم لا تحظى بالدراسة والمراجعة بل إن تقويم مبادئها وتفصيلاتها ومراجعة ما تحويه من برامج هو محل اهتمام الوزارة، وليس أدل على ذلك من أن بعض ما احتوته هذه الوثيقة من برامج قد تم تطويره وتعديله وفقًا للمستجدات والتطورات التربوية المتلاحقة بما يحقق أهداف التعليم ولايخرج عن روح هذه السياسة وطموحاتها.

أما عن وجود دراسة علمية تقارن الإنسان الذي رسمته السياسة التعليمية من خلال هذه الوثيقة وبنودها والإنسان الذي تخرج في مؤسساتنا التعليمية فأعتقد أن نظرة متأنية إلى الشباب السعودي الذي قطع أشواطًا كبيرة في المجالات العلمية وفي ميادين الحياة المختلفة، وتلك الأعداد المتزايدة التي تقف الآن في مختلف مناحي النشاط، وقدرة المواطن الفائقة على استيعاب أحدث معطيات التقنية الحديثة كل ذلك وغيره كثير يدل على أن التعليم يسير في طريقه الصحيح إن شاء الله، وهذا أمر يبشر بالخير.

أشرتم معاليكم إلى الزيادة في عدد المباني المدرسية، لكن الملاحظ أن هناك مباني مستأجرة، فهل يمكن إعطاء صورة أوضح حول جهود الوزارة في مجال المباني المدرسية؟

أشرت في جوابي السابق إلى أعداد المباني المدرسية في الوقت الحاضر، ولعل القارئ الكريم يدرك مراحل التطور في هذا المجال إذا تعرّف أعداد المباني في كل مرحلة.

ففي عام ١٣٧٣هـ كان عدد المدارس (الابتدائية والثانوية وإعداد المعلمين) ٣٤٣ مدرسة تشغل معظمها مباني بسيطة في تصميمها وبنائها.

وعند بداية الخطط الخمسية عام ١٣٩٠هـ كان عدد المباني المدرسية ٤٨٢ وصل في نهاية الخطة إلى ٦٢٤.

وفي نهاية الخطة الثانية كان عدد المباني المدرسية ١٢٣٨، وخلال خطة الدولة الثالثة والرابعة أمكن للوزارة بناء ما يزيد على ١٧٤٣ مبنى ثم أصبح الآن كما أشرت في الإجابة السابقة ما يقارب أربعة آلاف مبنى، بيد أن حرص الدولة رعاها الله بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين على نشر التعليم جعل فتح المدارس يسابق بناء المباني لكل مدرسة.

والوزارة تسعى وفق خطة موضوعة إلى توفير المبنى المدرسي لكل مدرسة إن شاء الله. ولابد من الإشارة في هذا المجال إلى أن حرص الوزارة على توفير المبنى المدرسي صاحبه تطوير لتلك الإنشاءات لتلبي العناصر المختلفة للعملية التعليمية، كما تعددت نوعيتها فشملت المراحل التعليمية المختلفة وكليات إعداد المعلمين والمكتبات

معالي وزير المعارف د. عبد العزيز الخويطر:

النقلة النوعية لاتتعارض مع هدف «التعليم للجميع»



والوحدات الصحية ومعاهد التعليم الخاص والملاعب ومعسكرات النشاط الكشفي والرياضي والمستودعات.

وكان من الطبيعي أن يصاحب هذا التطور الكمي والنوعي تطور في الجهاز الفني الهندسي القائم على تخطيط ومتابعة تنفيذ خطط الإنشاءات وتطويرها ومتابعة تنفيذ برامج صيانتها، فقد بدأ هذا الجهاز بمكتب هندسي متواضع عام ١٣٧٤هـ ثم أصبح إدارة هندسية، ثم وكالة وزارة للمشاريع والصيانة عام ١٤٠٢هـ تضم في هيكلها جهازًا متكاملاً فنيًا وإداريًا ولديه الاكتفاء الذاتي لمباشرة مهامه وتخصصاته من حيث التصميم والتخطيط والمتابعة والتطوير والإشراف على فروعه الهندسية بإدارات التعليم باثنتين وأربعين منطقة بالمملكة.

ويكرس هذا الجهاز جهوده لتحقيق أهداف الوزارة في خطة الإنشاءات والتي تركز أساسًا على تغطية الاحتياجات المستقبلية من المباني واستبدال مبان حكومية بالمباني المستأجرة وصيانتها، مع الاستمرار في عمليات التطوير النوعي لهذه المنشآت.

يقول التربويون: «إن مستقبل الأمة العربية والإسلامية كله يمر من ردهات وزارات التربية والتعليم والمعارف» إلى أي حد يوافق معاليكم على هذه المقولة؟ وكيف ترون ذلك من خلال عطاء وزارة المعارف السعودية؟

لاشك أن لوزارات التربية والتعليم والمعارف دورًا كبيرًا في تشكيل مستقبل الأمة لأن رجال ذلك المستقبل هم أطفال اليوم، الذين بقدر ما يتلقون من تعليم ورعاية وتربية سليمة، تشكل ملامح شخصيتهم ومدى قدرتهم على خدمة وطنهم رجالاً صالحين نافعين، وهذا الدور يعتمد بعد الله على ما تنهض به وزارات التربية والتعليم والمعارف.

وقد أدركت حكومة المملكة هذه الحقيقة منذ أمد بعيد.. فاعتبرت رعاية الطفل وتنميته منذ مرحلة الطفولة هدفًا من أهدافها ذات الأهمية الخاصة.. وجاءت الخطط الخمسية للتنمية فوضعت رعاية الطفل في مقدمة اهتماماتها التي تحرص على تحقيقها.

وفيما يتعلق بالتعليم، فإن وزارة المعارف تسعى لتربية النشء وإعدادهم الإعداد الصحيح ليكونوا رجال الغد، الذين تتحقق على أيديهم - إن شاء الله - آمال الوطن وطموحاته. فالمدارس التي تنتشر في المدن والقرى والهجر هي بمثابة مصابيح تبدد الظلام، وتفتح الطريق أمام الخدمة التعليمية للأطفال، وتتيح لهم النمو العقلي والثقافي والتربوي مرحلة بعد أخرى.

وتحقيقًا لهذا الهدف حرصت برامج التعليم في المملكة على تعليم العلوم الحديثة وفروعها المختلفة بجانب الاهتمام الكبير بعلوم القرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف، حتى ينشأ الطالب وثيق الصلة بدينه وتاريخه، وغير بعيد عن عصره وما يحدث فيه من تطور علمي. هذا فضلاً عن أن هناك مدارس مخصصة بكاملها لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الأخرى.

كما أن خدمات الوزارة في حقل الطفولة لا تقف عند حد العملية التعليمية والتربوية في مدارسها، بل تتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد، بما تقدمه للأطفال من رعاية صحية، وما تهيئه لهم من أنواع النشاط الثقافي والرياضي والترفيهي، ومسابقات فكرية تتيح لعقولهم فرص النمو والانطلاق.

هناك علاقة قائمة بين التخطيط للتربية والتعليم والتخطيط الشامل لتنمية المجتمع، أي المصطلحين يمثل العَرَبَة وأيهما يتخذ موقع الحصان؟ وما مدى ما قامت به الوزارة في تحقيق الأهداف التنموية؟

لعل مصدر الجدل هو الاختلاف في أي من الاصطلاحين أهم من الآخر على المستوى العملي فهناك من يرى أن الأساس في العملية التنموية للمجتمع (التعليم) باعتبار أن المجتمع المحدود التعليم غير قادر على التنمية وتطوير نفسه، وهناك من يرى أن التخطيط الشامل لتنمية المجتمع هو الأصل وما عداه متفرع منه.

وقد يكون من الأولى الابتعاد عن الجدلية والنظر إلى الأمور بنظرة واقعية، فكلا الاصطلاحين من الأهمية بحيث أن كلا منهما يعتمد على الآخر ويكمله، ويجب أن يسير العمل بهما في خطين متوازيين، فالتعليم الجيد الصحيح لايوجد - غالبًا - في المجتمعات التي تفتقر إلى خطط مدروسة للعملية التنموية، فبين الاصطلاحين روابط تنسيق وتكامل يجمعهما هدف سام هو نمو الوطن وتقدمه.

هل يتفق معاليكم مع الرأي القائل: إن المعادلة الصعبة التي يواجهها التعليم في العالم العربي تتمثل في كيفية تحقيق التوازن بين مطالب التوسع الأفقي وتوفير الحد الأدنى من التعليم للغالبية العظمى، وبين هاجس تحقيق النقلة النوعية وإحداث تغيير في مفهوم التربية والتعليم بها؟

إذا كنت أوافق القائلين بهذا الرأي على رأيهم.. فإنني أضيف أن المعادلة الصعبة ممكنة التحقيق.. فالتعليم ليس من حق فئة دون أخرى.. ولكنه متاح للجميع دون تفرقة أو استثناء.. وقد تأكدت هذه الحقيقة منذ بداية تأسيس المملكة ، فقد ركزت الدولة على نشر التعليم وجعله في متناول كل مواطن أينما كان، كما أكد هذه الحقيقة الوزير الأول للمعارف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله عندما صرح خلال توليه وزارة المعارف قائلاً: «يجب أن يدخل العلم كل بيت

في هذه البلاد وأن يستضيء المواطنون في حقولهم وأماكن عملهم بنور المعرفة».

كما أعلن حفظه الله في كلمته التي وجهها إلى المواطنين بمناسبة عيد الفطر المبارك عام ١٤٠٢هـ وبعد شهرين اثنين فقط من توليه مقاليد الحكم بقوله: «ومن أهدافنا أن يستمر نشر التعليم بالسرعة التي يسير عليها، ثم أن نركز على رفع مستوى التعليم. فنعنى بالكيف عنايتنا بالكم».

وقد راعت حكومة المملكة أن تترجم ذلك إلى واقع عملي، من خلال وضع الخطط والبرامج التي تكفل تحقيق المعادلة الصعبة كما تسمونها، أي الاهتمام بالتوسع في نشر التعليم والعمل على تطوير نظمه وبرامجه لتتجاوب مع متطلبات التنمية الشاملة، فإذا كانت الخطط الخمسية للتنمية ابتداء من الخطة الخمسية الأولى (١٣٩٠ - ١٣٩٥هـ) وحتى الخطة الخمسية الخامسة (١٤١٠ - ١٤١٥هـ) قد ركزت على إتاحة فرص التعليم العام لكل مواطن سعودي في سن التعليم وفق قدراته وإمكاناته ورغباته، فإن هذه الخطط ركزت في الوقت نفسه على متابعة تطوير نظام التعليم العام ليصبح أكثر تجاوبًا مع متطلبات التنمية وحاجات المجتمع، والاستمرار في تحسين الأوضاع التنظيمية والإدارية للنظام التعليمي، ليحقق الآمال المعقودة عليه.

إن اهتمام الدولة بالتعليم لايتوقف عند مرحلة معينة، إنما هو اهتمام مستمر ومتصل، خاصة إذا عرفنا أن السياسة التعليمية التي تنتهجها المملكة هي جزء أساسي من السياسة العامة للدولة، كما ورد في وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية. وهذا الاهتمام المستمر والمتصل يظهر بجلاء في الخطط والبرامج التي تعدها المملكة للمستقبل، فقد ورد ضمن الأهداف العامة والأسس الاستراتيجية الخاصة بخطة التنمية السادسة (١٤١٥-١٤٢٠هـ) الأساس الاستراتيجي السادس: الاستمرار في تنمية القوى البشرية من خلال تقويم برامج ومناهج التعليم والتدريب وإجراء ما يتطلبه هذا التقويم من تطوير أو تعديل بما يتفق والشريعة الإسلامية واحتياجات المجتمع المتغيرة ومتطلبات التنمية، ويأتي ذلك عن طريق وجوب التعليم بالنسبة للمرحلة الابتدائية للبنين والبنات، والتأكيد على تكامل ومرونة قنوات وروافد التعليم، والتحديث المستمر للمناهج وطرق التدريس ووسائله.

أثار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في عدد من جلسات مجلس الوزراء موضوع التعليم وتطويره ووجه إلى إجراء دراسات حيال وضعه وتقويمه، فما الخطوات العملية التي اتخذتها وزارة المعارف في هذا الاتجاه؟

حرص خادم الحرمين الشريفين حفظه الله على تعليم أبناء الأمة يُظهر حرصه على مستقبلها لما له من أثر في الفرد والمجتمع، ولذا أنشأت وزارة المعارف جهازًا للتطوير التربوي ليقوم بإجراء الأبحاث اللازمة حول المواد التعليمية سواء التي تدرس في المدارس أو تلك المواد التي يراد استحداثها وإدخالها، وتتولى هذه المهمة في التطوير التربوي الإدارة العامة للبحوث التربوية والتقويم، ففي التطوير التربوي يتم، بالتعاون مع الأجهزة الأخرى في الوزارات والجامعات والإدارة العامة للمناهج إعداد المناهج والخطط الدراسية ومتابعتها وتعديل ما يحتاج إلى تعديل سواء في المنهج أو الخطة في ضوء ما يرد من ملاحظات من العاملين في حقل التعليم أو من أولياء الأمور أو عبر وسائل الإعلام، ويتم إجراء هذه التغييرات من قبل المختصين في الوزارة والعاملين في ميدان التعليم وبالتعاون مع أساتذة الجامعات بالمملكة، كما يقوم مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي بجهاز التطوير بإعطاء المعلومات اللازمة والبيانات المطلوبة لتكون أساسًا لتحقيق تطوير العملية التعليمية. كما تقوم الإدارة العامة لتقنيات التعليم بإعداد مواصفات الكتاب وإخراجه بالشكل الملائم وتحديد الوسائل التعليمية اللازمة لتدريسه.

وتنفيذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين، تعمل الوزارة على متابعة التطوير العلمي والتقني وتطوير مناهج التعليم في مختلف مراحله. لهذا فهي تقوم بتجربة تعديل خطة الصف الأول الابتدائي في عدد من المناطق التعليمية بهدف التركيز على إكساب التلميذ القدرة على القراءة والكتابة، فهي تركز في الفصل الدراسي الأول على القرآن الكريم والقراءة والكتابة ليكتسب التلميذ في هذه السن مهارة مبكرة في القراءة والكتابة ليستطيع معرفة ما يقدم إليه من



المدارس الحكومية حسب المناطق التعليمية: ابتدائي - متوسط - ثانوي

معالي وزير المعارف د. عبد العزيز الخويطر:

النقلة النوعية لاتتعارض مع هدف «التعليم للجميع»



معلومات في المواد الدراسية الأخرى فيما بعد.

كما حرصت الوزارة على إدخال المواد العلمية الحديثة في منهج المرحلة الثانوية وخصصت لذلك شعبة مستقلة ضمن الأقسام الأخرى في هذه المراحل باسم «قسم العلوم التقنية» بدأ مع بداية العام الدراسي ١٤١٤هـ في بعض المناطق التعليمية، ويدرس الطلاب في هذا القسم التقنية الكيماوية، وتقنية البترول والصناعات العضوية.

كما أدخل الحاسب الآلي وتطبيقاته في جميع صفوف المرحلة الثانوية ضمن ما يدرسه الطالب في التخصصات الأربعة التي يتضمنها التعليم، والتي روعي في التخطيط لها تهيئة الطالب للمشاركة في الحياة العملية لمن لايرغب في إكمال دراسته الجامعية.

حرصت اليابان عند تطويرها لنظامها التعليمي على أن يتم ذلك في إطار قيمها وعاداتها، مع الاعتزاز بلغتها، وهناك أصوات تنادي بالتغيير. في رأي معاليكم: هل المناداة بالتغيير تنبع من الحرص على الثوابت، أم تستهدف هذه الثوابت؟ مع رجاء استعراض أهمية سياسة التعليم في المملكة من أجل المحافظة على هذه الثوابت.

سبق أن أشرت إلى تمسك المملكة بالثوابت الأساسية في سياستها التعليمية ومن أجل هذا كان اهتمام الوزارة متميزًا بالحرص على العلوم الشرعية واللغة العربية واختصت الخطة الدراسية كلا منهما بالقدر الأكبر من الحصص الدراسية. ولذا فإن أي تطوير في المناهج الدراسية والخطط لايمس هذه الثوابت مع الحرص على الأخذ بكل جديد مفيد يخدم مصلحتنا ولايتعارض مع ديننا الحنيف.

كثرة المواد والكتب التي يتم تدريسها لاتتناسب وقدرات المرحلة الابتدائية، هذه شكوى عامة من أولياء الأمور، هل هناك اتجاه للقضاء على أسباب الشكوى؟

التعليم في المرحلة الابتدائية، يركز على الأساسيات في العلوم الدينية واللغة العربية والرياضيات والعلوم، وما تتضمنه مقررات هذه المواد يخضع للمتابعة الميدانية المستمرة ودراسة ما يرد من ملحوظات من أولياء الأمور والمهتمين بالتربية والتعليم وتقوم الوزارة بتعديل ما يحتاج إلى تعديل وإضافة ما يفيد في حدود الخطة الدراسية ومستوى التلاميذ في هذه المرحلة، وذلك من قبل لجان متخصصة من الباحثين والموجهين والمعلمين وبمشاركة بعض أساتذة الجامعات.

في عالم يعتمد الأساليب والوسائل، هل يمكن وصف التعليم عندنا بأنه تقليدي في معظم جوانبه، وما خطة الوزارة لتطوير النظام التعليمي بما يتناسب مع هذا العصر التقني؟.

لايمكن وصف التعليم في المملكة بأنه تقليدي



من حفل مدارس الرياض

وإذا كان الحديث حول أهمية الوسيلة التعليمية فإن المعلم يقوم بأداء العملية التعليمية مع طلابه داخل الفصل مستخدمًا جميع الوسائل اللازمة ابتداء من السبورة والطباشير إضافة إلى اللوحات والمصوَّرات والأفلام العلمية وغيرها من وسائل التعليم، كما أن الوزارة تأخذ جانبًا من أسلوب التعلم الذاتي في بعض المواد التي تسمح طبيعتها بذلك مثل مواد العلوم والرياضيات حيث إن كتاب الطالب يحتوي على أنواع من النشاطات يزاولها الطالب ويكمل فراغاتها ومنها يصل في النهاية إلى المفهوم دون تدخل المعلم.

وتسعى الوزارة جاهدة في كل عام إلى توفير الوسائل التعليمية وتجهيز المختبرات ومعامل الحاسب الآلي في جميع مدارسها على اختلاف مراحلها.

وقد تم تأمين وسائل العلوم والرياضيات وزيادة كمياتها في هذا العام إضافة إلى تأمين أجهزة عرض اللوحات الشفافة (أجهزة عرض الشفافيات) وكذلك تجهيز معامل الحاسب في المدارس الثانوية بالمملكة، هذا إضافة إلى أن المختبرات العلمية تجهز مع مشروع مبنى المدرسة.

وفي هذا العام تم الانتهاء من تجهيز وتركيب توسعة وحدة نسخ أشرطة الفيديو التعليمية في الإدارة العامة لتقنيات التعليم بالوزارة، لنسخ الأشرطة التعليمية التي تؤمنها الوزارة وترسل إلى المناطق التعليمية، وقد تم تأمين أجهزة فيديو وتلفزيون في جميع المدارس تقريبا كما بدأت الوزارة تجريب قسم العلوم التقنية في بعض المدارس الثانوية في بعض مناطق المملكة وتدرس في هذا القسم كثير من المواد العلمية التقنية مثل:

- تقنية المختبرات العلمية.
- أساسيات التقنية الصناعية.
- أساسيات التقنية الكيماوية.
- أساسيات التقنية الكهربائية.
- تقنية البترول والصناعات العضوية.

وتقوم الوزارة بتجهيز الورش والمعامل الخاصة بهذا القسم في المدارس التي يجرب فيها.

وبعد هذا لايمكن الحكم على التعليم في المملكة بأنه تقليدي، بما تعنيه هذه الكلمة وتوحي به.

وكيل وزارة المعارف د. عبد العزيز الثنيان:



حريصون على مُشاركة المختصّين في وضع خطط التطوير

التعليم في عصرنا الحاضر الذي يتجه فيه الفكر الإنساني إلى توسيع تخصيص المسؤوليات، لم يعد من واجبات المدرسة والمدرس فحسب، بل هناك ضلع آخر مهم، هو الأسرة أو البيت، حتى يتم تشكيل مثلث العملية التعليمية الأقرب إلى المثالية، بما يوفر ويحقق مبدأ التضامن في النهوض بالمسؤولية التربوية المتشعبة.

سعادة وكيل وزارة المعارف الدكتور عبد العزيز الثنيان، يؤكد في هذا الحوار أهمية تكامل هذه القنوات الثلاث حتى تسير العملية التعليمية دون عوائق، ويشير إلى أن العنصر الأكثر حيوية لتحقيق هذا الهدف، هو أن يقتنع كل طرف بدوره وبمسؤولياته، وأن يعي أهمية التواصل والتكامل فيما بينها. كما يجيب سعادته عن الأسئلة الملحة التي يتكرر طرحها حول المناهج الدراسية ومستويات المعلمين والطلاب، والأساليب الإدارية وتجهيزات المباني المدرسية والفصول، وغيرها.

يرى بعض المهتمين بشؤون التربية والتعليم أهمية إنشاء مجلس تربوي، أو إدارة أو نحو ذلك في كل منطقة، هل ترون واقع التربية في المملكة يلح على إنشاء مثل هذه الإدارات؟

العبرة في التربية ليست بكثرة الأجهزة التي تُنشأ أو المؤسسات التي تقام، بل هي في المهام والمسؤوليات التي تناط بها والنشاط المؤمل منها. والمجالس التربوية موجودة بالفعل وإن اختلفت المسميات، فهناك رباط قوي يربط مديري التعليم كُلاً في منطقته بأبناء المنطقة من جهة وبالوزارة من جهة أخرى. وهناك التوجيه التربوي والتدريب والنشاط الطلابي داخل كل إدارة، وفي نطاق المدارس توجد مجالس الآباء وجمعيات نشاط الطلاب. وكل ذلك وغيره يُعد من قنوات الاتصال المفتوحة دائمًا بين المناطق والوزارة ويسعد الوزارة دائمًا أن تستمع للجميع فيما يهم تطوير واقع التعليم نحو الأفضل والأحسن.

وكيل وزارة المعارف د. عبد العزيز الثنيان: حريصون على مشاركة المختصين في وضع خطط التطوير

ولعل الواقع المحيط بعملية التربية في بلادنا وسياسة الباب المفتوح التي تعيشها المملكة منذ تأسيسها قد انعكست بتأثيراتها الحسنة على المجال التعليمي فصار المسؤول عن التعليم يحرص على سماع رأي الجميع من المهتمين والمختصين وذوي الرأي والفكر الذين صاروا يسعون بحرص على أن يتبوأ التعليم في هذا الوطن مكانته المرموقة لخدمة أبناء الأمة. ولذلك فإن وزارة المعارف يهمها باستمرار أن تشرك المختصين والمهتمين من أبناء الوطن في برامجها ومشروعاتها التطويرية، ولذا أنشأت الأسر الوطنية التي هي بمثابة لجان استشارية تعمل في جميع مجالات وزارة المعارف، إضافة إلى العديد من اللجان الاستشارية الأخرى، وكل ذلك يمثل مجالس تربوية تتناسب مع ما يبرز في أوساط المهتمين بشؤون التربية والتعليم.

يرى بعض التربويين أن الإصلاح الجزئي هو الغالب في النظم التعليمية في البلدان العربية والإسلامية، وهو من أكبر عيوبها، بينما المطلوب نظرة شمولية موسعة، هل لديكم في الوزارة هذه النظرة؟.

الإصلاح في التعليم ينطلق من كل بيئة وفقًا لظروفها وإمكاناتها ونظراتها إلى التعليم، ومهما يكن الإصلاح كما يقال جزئيًا في بعض البيئات فإن تشابك عناصر العملية التعليمية وطبيعتها المترابطة يجعل المؤثرات التي يتعرض لها أي عنصر من عناصرها له أثر بدرجة أو بأخرى في بقية العناصر المرتبطة به. غير أنّ وزارة المعارف تسير ولله الحمد في تطويرها للتعليم في المملكة وفق نظرة شمولية ترى في المنهج المدرسي والكتاب الدراسي والطالب والمعلم والوسيلة ومختلف العوامل الإدارية بنيانًا مشتركًا واحدًا يمثّل صلب التعليم الذي ينبغي أن يلقى اهتماما في برامج التطوير ومشروعاته،. ولا أدل على تلك النظرة من تخصيص جهاز مسؤول عن تطوير التعليم يقوم بهذه المهمة متعاونًا مع بقية أجهزة الدولة في سبيل تحقيق التطوير الشامل للتعليم بكافة جوانبه.

الحفظ والتلقين، من أهم عيوب النظام التعليمي، كما يقول المتخصصون، ماذا أعدت الوزارة لتلافي هذا العيب، حتى يكون تقويم الطالب معبرًا بصدق عن مدى الاستيعاب والفهم؟

يرتبط ذلك بطبيعة المادة ، فتلقين أطفال الصف الأول الابتدائي في بداية تعليمهم القرآن الكريم والأناشيد أمر يفرضه واقع الطفل وعدم معرفته حروف الهجاء، فضلاً عن الانطلاق في القراءة والاعتماد على النفس، وعندما يستطيع التلميذ الاعتماد على نفسه في القراءة فإن التلقين يصبح أسلوبًا تربويًا خاطئًا.

كما أن الحفظ مطلوب أحيانًا فيما يقرر حفظه من القرآن الكريم والحديث الشريف والأناشيد والنصوص الأدبية.

والوزارة تحرص على التأكيد على المعلمين بالاعتماد في عرض المواد على أسلوب الحوار والاستنباط، وتوجيه الطالب للتعلم الذاتي، واستفاد المعلمون في ذلك كثيرا من إعداد الدروس وعرضها في ضوء الأهداف السلوكية التي تجعل من الطالب محور الحديث والاستنتاج والتطبيق، فتحققت إيجابية الطالب وتفاعله مع المادة بعيدًا عن الإلقاء والتلقين، وتقيم الوزارة سنويًا - لزيادة تبصير المعلمين بذلك - اللقاءات والدورات مع بداية كل عام دراسي . كما يلتحق عدد من منسوبي التعليم من المعلمين والموجهين بدورات في القياس والتقويم وطرائق التدريس الحديثة في جامعات المملكة، إضافة إلى ابتعاث عدد منهم في دراسات عليا خارج المملكة وداخلها في هذا المجال.

ولذا فإن المتابع لأسئلة تقويم الطلاب، في السنوات الأخيرة، يدرك أنها لم تعد تعتمد على الحفظ، وإنما على قياس قدرات الطالب على التفكير والتحليل والموازنة والفهم.. ما لم تفرضه طبيعة المادة كما أسلفت.

اكتظاظ الفصول الدراسية، يراه الكثيرون معوقًا للعملية التعليمية، هل لدى الوزارة دراسات بشأن القضاء على هذه المشكلة؟

كثافة الفصول الدراسية ليست مشكلة ظاهرة وعامة لدينا ولله الحمد. وهي إن وجدت فهي قاصرة على بعض المدارس في المدن نظرًا لظروف الحي الذي تقع فيه تلك المدرسة ومع ذلك تسارع الوزارة لعلاج الأمر بفتح مدرسة أخرى أو ملاحق جديدة.

وحرصًا من الوزارة على حل هذه المشكلة فقد اتخذت عدة إجراءات من أبرزها:

١- تحديث مواصفات المباني المدرسية بحيث تكون أكثر ملاءمة وأكثر استيعابًا مستفيدين في ذلك من التجارب السابقة.

٢- العمل على تنفيذ أكبر قدر من مشاريع المباني المدرسية بأحدث المواصفات ووفق التصاميم الحديثة.

٣- قيام الوزارة بالبدء في تنفيذ مشروع تقليل كثافة الطلاب في فصول الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية (الأول، الثاني، الثالث) وقد بدأنا في تنفيذه على مراحل، حيث بُدئ فعلاً في تطبيق المرحلة الأولى منه والمتمثلة في تقليل كثافة فصول الصف الأول الابتدائي في المدارس الابتدائية التي تشغل مباني حكومية وذلك في العام الدراسي ١٤١٤هـ. بحيث لايتعدى طلاب الصف الأول الابتدائي ٢٥طالبًا، وهناك لجنة تقوم بمتابعة المشروع وتقويمه.

وبالرغم من ذلك فإن تقليل كثافة الفصول ليس بالأمر الهين الذي يمكن تحقيقه بين عشية وضحاها، وإنما يتطلب ذلك دراسة متصلة وتنفيذًا متأنيًا. فعلى سبيل المثال فإن المرحلة الأولى من المشروع المشار إليه طبقت في ١١٦٨ مدرسة تشكل ما نسبته ٧٤٪ من إجمالي المدارس التي يفترض قابليتها لتطبيق المشروع وما نسبته ٥١٪ من إجمالي المدارس التي تشغل مباني حكومية. ونتج عن ذلك زيادة في الفصول تبلغ حوالي ١٠١٢ فصلاً، وهذا يعني زيادة في الاحتياج من المعلمين تبلغ ١٢٦٥ معلمًا. والصعوبة هنا ليست في تأمين العدد المطلوب من المعلمين وإنما في نوعية المعلم، خصوصًا وأننا نتعامل مع طلاب الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية.

وعمومًا فإننا نسير في تطبيق المشروع حسب الخطة الموضوعة له، وهناك تجاوب واهتمام من إدارات التعليم، ونأمل أن يحقق الأهداف المرجوة منه. مع الإشارة إلى أن هذا التوجه لن يقتصر على الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية، وإنما سيتم التدرج في التطبيق ليشمل جميع صفوف المرحلة الابتدائية وكذا بقية مراحل التعليم.

التكامل بين مسؤوليات الأسرة والمدرسة أمر مهم في العملية التربوية، ماالسبل التي تسلكها الوزارة لتحقيق هذا التكامل؟

لا أحد يشك في أهمية التكامل بين مسؤوليات الأسرة والمدرسة، بل إن التكامل مطلب أساسي نسعى إلى تحقيقه بكل السبل. وحتى تتضح الرؤية فلابد من التطرق أولاً إلى تحديد مسؤوليات المدرسة ومسؤوليات

الأسرة، فالمدرسة باعتبارها مؤسسة تعليمية تقع عليها مسؤوليات أساسية تتمثل في تهيئة المكان المناسب للدراسة، توفير الكتاب المدرسي الجيد في الوقت المناسب، توفير المعلم وتهيئة الجو الملائم ليتلقى الطلاب العلم والمعرفة.

وتدعم ذلك برامج مساندة لتحقيق أهدافها، من أبرزها برامج التوجيه والإرشاد الطلابي وبرامج النشاط المدرسي المنهجي واللامنهجي (الصفي واللاصفي)

كما أن الوزارة بجميع أجهزتها تحاول استثمار جميع الوسائل الممكنة لتحقيق التواصل المثمر بين البيت والمدرسة وتوعية المجتمع بأهمية ذلك التواصل ومن أبرز تلك الوسائل:

١ـ أجهزة الإعلام المختلفة (تلفزيون ـ إذاعة ـ صحف).

٢ـ مجالس الآباء والمعلمين.

٣ـ التقارير الدورية التي تبعثها المدارس إلى أولياء الأمور لتوضيح مستوى التحصيل الدراسي للطالب إلى جانب معلومات عن سلوكه ومواظبته.

٤ـ عمل دراسات وبحوث للكشف عن أفضل السبل لتحقيق القدر المرغوب فيه من التكامل بين الأسرة والمدرسة ومحاولة تعرّف الأوضاع الأسرية والاجتماعية والاقتصادية للأسر التي قد تعوق الوصول إلى تحقيق ذلك التواصل.

أما مسؤوليات الأسرة فهي مهمة وحيوية ولعل من أهمها متابعة الأسرة المستمرة لأبنائها المنتظمين في المدارس والاستفادة إلى أقصى حد ممكن من الوسائل المتاحة للتواصل بين البيت والمدرسة.

وإجمالاً فإننا نؤكد على أن المهم ليس في تفصيل مسؤوليات وواجبات كل طرف وإنما في قناعة كل طرف بدوره ومسؤولياته والوعي بأهمية التواصل والتكامل. ويؤسفني القول إننا في وزارة المعارف نعاني من قصور شديد في وعي الأسرة بأهمية التعاون مع المدرسة بالشكل الذي نريده ويحقق القدر الأدنى من التكامل. ونحنُ عندما نتحدث عن التعاون بين البيت والمدرسة لانعني بذلك أن يتحول البيت إلى فصول دراسية لتعليم أبناء الأسرة، ولكن نعني التعاون في متابعة الطالب وزيارة المدرسة بشكل دوري ومستمر والتعاون في حل مشكلات الطلاب التحصيلية أو السلوكية على حد سواء وتهيئة المناخ المناسب للطالب لمذاكرة دروسه في المنزل.. إنها أمور بسيطة في ظاهرها ولكن مردودها كبير جداً وهي أيضاً أمور مقدور عليها بقليل من التنظيم.

إعداد المباني المدرسية الجديدة وتجهيزها يعد من أهم خطى التطوير التي قامت وتقوم بها الوزارة. هل يمكنكم إلقاء الضوء على هذه الخطوة وانعكاساتها الإيجابية على العملية التعليمية؟.

عملية تطوير المباني المدرسية مستمرة باعتبارها أحد الأهداف المهمة للعملية التعليمية، وقد وصلت بحمد الله مرحلة موفقة من التصميم المعماري للمبنى المدرسي وتجهيزه تجهيزاً متكاملاً لأداء مهامه الوظيفية بما يحقق طموحات الوزارة في التطوير، وسوف تتلوها بإذن الله مراحل أخرى.

وقد كان إعداد المبنى وتجهيزه أحد العناصر المهمة في التطوير، فقد روعي تحديث الأجهزة والأدوات والوسائل التعليمية وتأمينها وتأثيث الفصول والمكتبة وصالات الأنشطة الرياضية والفنية والمقصف وغرف الإدارة المدرسية، والمعامل والمختبرات المختلفة، كما روعي توفير الأجهزة التقنية مثل الحاسب الآلي والأجهزة الإلكترونية، والسبورات الحديثة، وكذلك وسائل الإيضاح الحديثة وأجهزة الإرسال والإسقاط والإذاعة المسموعة والمرئية والفيديو، وبالإضافة إلى حرص الوزارة على توفير هذه التجهيزات، حرصت في تصاميم المباني الحديثة أن يتوافر في المبنى الإضاءة والتهوية والتبريد والمسطحات الخضراء وأماكن التجمع المظللة، وكل ما يهيئ للطالب والمعلم سبل الراحة النفسية والجسمانية، والاهتمام بالمعايير التصميمية للمساحات اللازمة لكل طالب ودرجة الإنارة الطبيعية أو الصناعية، وزوايا الرؤية والمشاهدة سواء في الفصل أو في المختبر، وإضافة إلى كل ذلك فقد روعي في التجهيز تقبل الطلبة المعوقين وتسهيل مهماتهم في التحرك بين عناصر المبنى، وأيضاً تهتم الوزارة بتأمين وسائل الأمن والسلامة بالمباني المدرسية.

الكتاب المدرسي كما تعلمون من أهم عناصر العملية التعليمية. فما نصيب الكتاب المدرسي من التطوير سواء من ناحية تأليفه أو طباعته؟

فيما يتعلق بالكتاب المدرسي، أولت وزارة المعارف الكتب المدرسية المقررة عناية خاصة باعتبارها جزءاً مهماً من العملية التربوية، وسلكت أفضل الطرق لتأليف الكتاب وطباعته، فمن ناحية التأليف، توجهت الوزارة إلى ذوي الاختصاص في كل مادة علمية وقامت باختيار أساتذة أكفاء لتأليف الكتب المدرسية المقررة، وبعد الفراغ من إعدادها وطباعتها تضعها الوزارة للتجربة في بعض المدارس، يتم خلالها تقويم الكتاب عملياً من قبل المدرسين والموجهين، والاختصاصيين التعليميين لإبداء الملاحظات، واقتراح التعديلات لحذف وإضافة ما يلزم ليكون الكتاب مناسباً ووافياً بالغرض وملائماً لجميع مستويات الطلاب ومداركهم وقدراتهم.

بعد إقرار المادة العلمية تطبع الكتب لدى المطابع الوطنية بأعداد كافية لعموم الطلاب في كل صف ليتم التوزيع على المدارس الحكومية والأهلية كافة. وتحرص على أن تتم الطباعة بوقت مبكر يُمكّن من إيصال الكتب إلى كل مدرسة في مختلف مناطق المملكة.



المدارس حسب المناطق التعليمية بالتعليم الحكومي : إعداد معلمين ـ تعليم خاص

ولاينتهي الأمر عند طباعة الكتاب، بل تستمر عملية التقويم والتطوير من خلال ما تستقبله الوزارة من ملاحظات سواء من المعلمين أو من الموجهين أو أولياء الأمور أو غيرهم، فتعرض هذه الملاحظات للنقاش والدراسة من قبل لجان مختصة، ويؤخذ بما كان منها مناسبًا ويضاف للكتاب المدرسي من المعلومات ما يلزم المادة العلمية وما يوضحها.

ولعلي أشير إلى أن الكتب التي تتولى الوزارة تأليفها وطباعتها لمراحل التعليم المختلفة كما يلي:

١ـ ٧٦ كتابًا للطالب والمعلم في المرحلة الابتدائية.

٢ـ ٧١ كتابًا للطالب والمعلم في المرحلة المتوسطة.

٣ـ ١٢٥ كتابًا للطالب والمعلم في المرحلة الثانوية.

٤ـ ٢٦ كتابًا للطالب والمعلم لتعليم الكبار.

تتولى الوزارة كل عام تنظيم حركة تنقلات المدرسين بين مناطق المملكة. فما هي الأسس التي تعتمدها الوزارة لإجراء هذه التنقلات؟

تنظر الوزارة إلى المعلم نظرة تقدير واحترام لأنه أهم عناصر العملية التعليمية ولايمكن إنجاح العناصر الأخرى ما لم يوجد المعلم المخلص الكفء.

ومن هذا المنطلق تحرص الوزارة على توفير الاستقرار للمعلم من خلال تعيينه في المكان الذي يرغب منذ بداية خدمته، وإذا تعذر ذلك عند بداية الخدمة نقوم كل عام بإعداد حركة لتنقلات المعلمين تحاول جاهدة الاستجابة لكل رغباتهم.

ويتم إعداد الحركة كل عام وفق أسس تراعى فيها العدالة بين طالبي النقل وحاجة المدارس إلى المدرسين وفق تخصصاتهم.

وإذا مازاد عدد طالبي النقل إلى منطقة ليست بحاجة إليهم جميعًا تتم المفاضلة بالأخذ لسنة المباشرة ثم مجموع التقديرات الفنية ثم يوم المباشرة.

الملاحظ من خلال نشر حركة المعلمين لهذا العام أن الاستجابة كانت كبيرة لمعظم الطلبات. فما هي العوامل التي ساعدت الوزارة على ذلك؟

كما أشرت في الإجابة السابقة فالوزارة حريصة على الاستجابة لكل الطلبات وفق حاجة المناطق لتخصصات المتقدمين، ومن العوامل التي ساعدت على تحقيق رغبات كثير من المدرسين الوطنيين تهيئة الأماكن لهم في المناطق التي يرغبونها والتنسيق بين مدرسي المراحل التعليمية الثلاث في بعض التخصصات في النقل وتسديد الاحتياج مع التزام التخصص ومستوى المؤهل في حالة نقل المدرسين من مرحلة إلى أخرى.

وكيل وزارة المعارف المساعد للتطوير التربوي د. عبد الله المعيلي:

الأحكام الظنية العامة لا تصلح أساسًا للتقويم

الأخذ عن الآخرين، والاستفادة من تجاربهم خيار واقعي يطرح نفسه لدى كل الأمم المتطلعة لغد أفضل ومستقبل مشرق، ولكن يظل هناك سؤال يلح على تقديم إجابات مؤسسة.. ما الحدود؟ إلى أي مدى يمكن للأمة أن تذهب في الأخذ عن غيرها؟ د. عبدالله المعيلي وكيل وزارة المعارف المساعد للتطوير التربوي بالمملكة العربية السعودية، يرى أن الاستفادة من تجارب الآخرين يجب ألا تخرج عن حدود الاستئناس والاسترشاد بالأطر العامة، وبالمنهجية التي أتيحت في استخلاص نتائج تلك التجارب، وهكذا فإن أي رغبة في بلوغ واقع أفضل يجب أن تراعي ثوابت المجتمع ومسلماته. وفي هذا الحوار الذي أجرته «الفيصل» معه يوضح د. المعيلي خطط وزارة المعارف وبرامجها وسياساتها الحالية والمستقبلية إلى جانب الرد على بعض الأسئلة والاستفسارات التي ترد على ألسنة التربويين وأولياء الأمور على حد سواء.



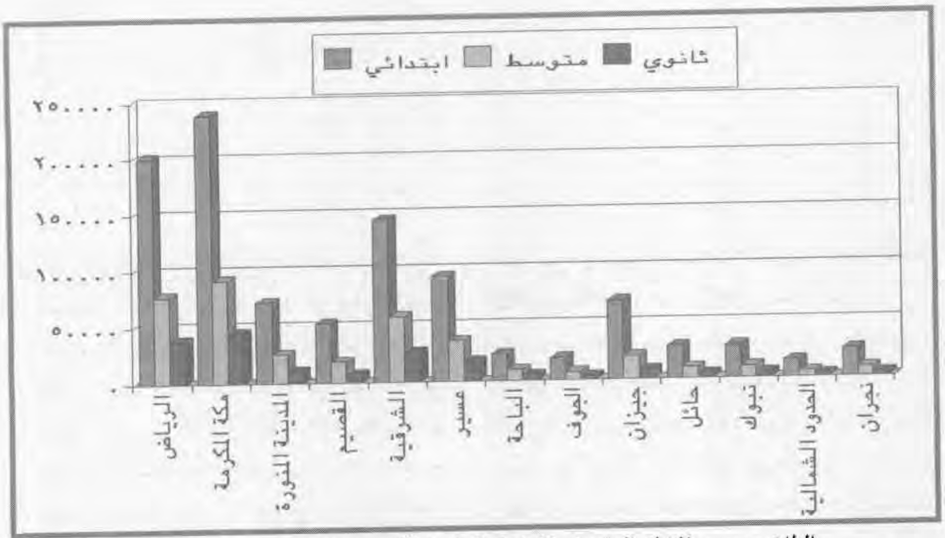
يرى كثير من التربويين أن وثيقة السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية المدونة نموذجية ومثالية، وإن كان ثمة قصور وسلبيات فمردها إلى أن القائمين على تنفيذ هذه السياسة في بعض المستويات لم يحسنوا استيعاب مفردات السياسة التعليمية، ولذلك لم يطبقوها كما يجب، ما تعليق سعادتكم على ذلك؟

مما تتسم به وثيقة السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية أنها شاملة، محددة الصياغة وواضحة الغايات والأهداف، وهي إطار عام يسترشد بها القائمون على التعليم، ويستأنسون بها عند وضع الخطط والبرامج التربوية، وما يقال من أن ثمة قصورًا وسلبيات مردها أن القائمين على تنفيذ هذه السياسة في بعض المستويات لم يحسنوا استيعاب مفردات هذه السياسة، فأمر يحتاج إلى وقفات:

الوقفة الأولى: إن إطلاق الأحكام الظنية العامة، والاكتفاء بالملاحظات العابرة أمر يكاد أن يكون ظاهرة تتكرر دون أن يكلف القائل نفسه بالتحري أو التدقيق في معطيات الموضوع الذي حكم عليه. والتعليم بطبيعة الحال لم يسلم من مثل تلك الأحكام، بل إنه يأتي في مقدمة المجالات التي يجد الكل أن لديه القدرة على تشخيص مشكلاته وتقديم الحلول المثلى لها. ومرد ذلك كون التعليم أمرًا يعني كل أسرة، ولكن لا يخفى أن مثل هذه الأحكام الظنية والملاحظات العابرة، لايعتد بها، وليس لها مصداقية، ولايمكن أن يعتمد عليها في اتخاذ إجراء ما، لأنها تفتقد المنهجية العلمية في استقراء الواقع، وتشخيص العوائق والمسببات التي أدت إلى ما يعتقد أنه سلبيات ومشكلات.

الوقفة الثانية: إنه لابد من تحديد أوجه القصور والسلبيات بدقة تامة، وهذا يقتضي دراسة الواقع التعليمي دراسة شاملة، وربط هذا الواقع بالتطلعات والطموحات والغايات التي تضمنتها سياسة التعليم، للوقوف على ما تحقق منها، وما لم يتحقق، وهذا يعني أن تقويم التعليم داخل المكاتب المكيفة أمر غير ممكن، وغير مقبول، ولاقيمة له، لأنه لن يسلم من الأهواء الذاتية، والعواطف الشخصية، هذا فضلاً عن كون التقويم يتوقف على مدى إدراك الواقع نفسه، وتشخيصه وفق منهجية مع توفير الإمكانات المادية والكفاءات البشرية المؤهلة، لمثل هذا العمل الكبير.

الوقفة الثالثة: إن تفهم سياسة التعليم في المملكة ضرورة ملحة لكل معلم، لكي يعمل على تحقيق غاياتها وأهدافها من خلال المواقف التعليمية التي يمارسها يوميًا . وهي كذلك ضرورة ملحة لكل من يعمل في مجال التخطيط أو الإشراف لكي يوظف البرامج التربوية التي يصممها سنويا بحيث تؤدي نتائج تلك البرامج إلى ما يحقق



الطلاب حسب المناطق التعليمية والإدارية بالتعليم الحكومي: ابتدائي ـ متوسط ـ ثانوي

أهداف التعليم وغاياته.

يرى بعض التربويين أن تعددية الإشراف على التعليم في المملكة العربية السعودية، بحاجة إلى دراسة وإعادة نظر، وتعليلهم لذلك أن تعدد جهات الإشراف يعني تعدد وسائل التنفيذ، ومن ثم الاختلاف في درجات تحقيق الهدف، وتفاوت النتائج؟

هذه الرؤية بحاجة إلى دراسة متعمقة، وما أُشير إليه من مسوِّغات لاشك أنها صحيحة، ويمكن أن يضاف إليها ازدواجية الأدوار، وزيادة الأعباء المالية المترتبة على تماثل الإدارات المعنية في تلك الجهات الإشرافية.

أحد الركائز التي اعتمد عليها التقرير الأمريكي الشهير «أمة معرضة للخطر»، عن واقع التعليم في الولايات المتحدة، أن التعليم الأمريكي يتسم بعدم التوافق والتناسق، والانتماء إلى زمن ولَّى، كما يتسم بطابع الترقيع. إلى أي مدى يمكن أن ينعكس هذا التقرير ـ الذي أُعد بمعرفة كبار التربويين ومسؤولي التعليم في دولة كبرى ـ على تجارب التطوير والتحديث لدينا؟

الاستفادة من تجارب الآخرين خيار ممكن، على أن يكون في حدود الاستئناس والاسترشاد بالأطر العامة، وبالمنهجية التي اتبعت في استخلاص نتائج تلك التجارب. والتقرير الشهير «أمة معرضة للخطر» لاشك أنه جرس إنذار، شخّص واقع التعليم الأمريكي، ولايخفى أن أي رغبة في الوصول إلى واقع أفضل، لابد أن تمر عبر أبواب المدارس، والوزارة في محاولات التطوير والتحديث التي تقوم بها تراعي ثوابت المجتمع ومسلماته، وهي ترسم رؤيتها التطويرية في ضوء الحاجات والتطلعات التي تتمشى مع خطط التنمية، ومع الخصوصية التي تتميز بها المملكة العربية السعودية باعتبارها قبلة المسلمين ومهد الرسالة. ومن هذا المنطلق فإن الوزارة تقوم حاليًا بوضع أطر عامة لتطوير المناهج وتحديثها معتمدة في ذلك على تشخيص الواقع التعليمي والتربوي المتمثل في مخرجات التعليم ومستويات أداء القائمين عليه من معلمين ومديرين وموجهين ومرشدين وما يقوم به الجهاز التخطيطي من وضع البرامج المساعدة التي تبلور نمط الشخصية التي ينبغي أن يبدو بها المواطن السعودي.

يقال إن من أوجه التناقض الصارخ في هذا العصر أن الأمم تكثف جهودها لمكافحة تلوث البيئة، وتعقد المؤتمرات، وتُجري الدراسات لتقصي مشكلات الأوزون، وفي الوقت نفسه لا تلقي بالاً لنوع من التلوث هو الأكثر خطورة، ويقصد به التلوث الفكري، ما تعليق سعادتكم على هذا الرأي. وكيف توظف وزارة المعارف المناهج الدراسية لتلافي هذا الخطر؟

إن ما يتسم به هذا العصر هو سهولة وسعة بث «الفكر الآخر»، وهذا الفكر يتنوع ويتعدد بتعدد وتنوع المعتقدات الفكرية (الأيديولوجيات) التي تحركه وتوجهه، ومما يتسم به هذا العصر كذلك، استحالة أن يغلق المرء على نفسه الباب وينعزل عن الآخرين، لذا لابد من مواجهة هذه المتغيرات والمستجدات وأن تكون هذه المواجهة قادرة على التفاعل مع تلك المتغيرات بفاعلية، ووفق منظور

وكيل وزارة المعارف المساعد للتطوير التربوي د. عبد الله المعيلي:

الأحكام الظنية العامة لاتصلح أساساً للتقويم

قيمي حي يغرس في نفوس الناشئة بحيث يولِّد لديهم رقابة ذاتية، وحصانة ضد كل دخيل مهما أحيط بوسائل الإغراء والخداع، والتأثير النفسي والعاطفي، وهذا ما تحرص الوزارة على العناية به في مناهجها الدراسية كافة، مستلهمة ما يحقق ذلك من الشريعة الإسلامية الغراء، ومن قيم هذا المجتمع ومثله الأصيلة، والوزارة تقوم بمراجعات دائمة للمقررات الدراسية بقصد تضمينها كل ما يدرأ هذه الأخطار عن أبناء الأمة، ويحقق لها الخيرية، التي وصفها الله بها، هذا عطفاً على إجراء دراسات تقويمية للواقع التربوي، وبلورة جملة من التطلعات المستقبلية لما ينبغي أن يكون عليه الناشئة مع صياغة البرامج التربوية التي تحقق ذلك.

نصت المادة (٤١) من سياسة التعليم على وجوب تشجيع روح البحث والتفكير وتنميتها ودعم القدرة على التكامل، ولكن من واقع التجربة، يرى بعض المعنيين بأمور التعليم أن هذا الهدف يصطدم بعناصر أخرى في المنهج الدراسي، مثل تكرار كثير من الموضوعات المقررة في السنوات الدراسية المختلفة، قصر اليوم الدراسي، وشيوع أسلوب التلقين، واتباع النظام التقليدي للاختبارات، ما تعليق سعادتكم؟

إن تشجيع روح البحث والتفكير وتنميتها، عنصر مهم من عناصر بناء شخصية الإنسان، وهو ضرورة لتكامل الشخصية وفاعليتها، ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن التعليم يضطلع بهذه المهمة، وتقع على القائمين عليه مسؤولية تحقيق هذا الهدف، ومع التسليم بما أشير إليه من عناصر يرى أنها عقبة في طريق تنمية روح البحث والتفكير إلا أن العقبة الكأداء تتمثل في عدم التفاتة فئة من المعلمين إلى مثل هذه التنمية خلال ممارساتهم اليومية داخل الفصل وأدوارهم التربوية الأخرى في محيط الأسرة، إما لكونهم لم يُعَدّوا أصلاً للتفاعل مع مثل تلك المستويات المتقدمة من غايات التعليم، ـ وهذا ماأعتقده ـ أو لكونهم يرغبون في الركون إلى الدعة والراحة، وعدم تحميل أنفسهم عناء المثابرة والمصابرة على رعاية هذا الجانب لأنه يتطلب مزيداً من الحكمة والصبر والمثابرة في استقصاء تحصيل الطلاب، ومستويات هذا التحصيل وفق المنظور التربوي الذي يفترض أن يؤدي مواقفه التعليمية في ضوئه.

برنامج إعداد المعلم يغلب عليه الطابع النظري، ويقل التركيز على مواد التخصص والإعداد الفكري، ما هي أوجه التطوير التي تعمل عليها الوزارة بغية الإعداد الجيد للمعلم؟

يتوقف نجاح أية خطة تعليمية في تحقيق أهدافها، على مدى استجابة المعلم لهذه الأهداف، ومدى قدرته على ترجمتها إلى خبرات تعليمية موجهة، تؤدي إلى إحداث النمو الشامل في شخصية المتعلم.

ونتيجة لذلك أصبح إعداد المعلم وتهيئته لمتطلبات المهنة من ناحية، ولمواجهة طبيعة العصر الحاضر من ناحية أخرى، من القضايا التي تحظى باهتمام متزايد لدى النظم التربوية المتقدمة.

ونظراً لهذا الدور المحوري المهم الذي يضطّلع به المعلم في العملية التعليمية، فقد أولت الوزارة برامج إعداده قبل الخدمة، عناية خاصة، على اعتبار أنها مقدمة لسلسلة متلاحقة من فعاليات النمو المهني المستمر للمعلم ونشاطه طيلة خدمته الوظيفية. وتتمثل تلك العناية جزئيًا في إنشاء المؤسسات التربوية المتخصصة وتطويرها، لكي تتولى مهمة إكساب الطلبة المعلمين المعلومات والمهارات والاتجاهات المرتبطة بمهنة التعليم.

وحرصاً من الوزارة على تفعيل الدور الذي تقوم به هذه المؤسسات، ولتفادي التفاوت في برامج إعداد المعلمين فيما بينها، وفي ضوء نتائج البحوث والدراسات المتعلقة بإعداد المعلم وتدريبه، تم وضع التصورات اللازمة لتصميم وبناء برامج متطورة لتدريب المعلمين قبل الخدمة، استناداً إلى جملة مرتكزات من أهمها مبدأ «الكيف» في التربية الذي يرتبط في المقام الأول ببرامج تربية المعلمين القائمة على الكفاءات، أو ما يُعرف اختصاراً بـ (CBTE) COMPETENCY BASED TEACHER EDUCATION والتي ترمي إلى تزويد الطالب المعلم بمجموعة من الكفاءات التدريسية العامة والخاصة، بحيث تشكل في مجملها إطاراً متكاملاً يمكنه عند ممارسة المهنة من الوفاء بمتطلبات دوره في تحقيق الأهداف التربوية ـ كما حددتها وثيقة سياسة التعليم ـ، بدرجة عالية من الفاعلية والإتقان.

إن هذا المفهوم لبرامج إعداد المعلمين يعني أن الطالب المعلم يتخرج في المؤسسة التربوية المختصة وهو قادر على ممارسة مهنة التربية والتعليم، لأنه



الطلاب حسب المناطق التعليمية والإدارية بالتعليم الحكومي: تعليم خاص ـ إعداد معلمين ـ تعليم كبار

تلقى تدريبًا كاملاً على متطلباتها.

وفي هذا الصدد يمكن الحديث عن الدراسة التي تتطلع إلى تحديد قائمة الكفاءات المهنية بجوانبها الثلاثة (المعرفية - الأدائية - الإنتاجية) للمعلم في المملكة العربية السعودية التي تقوم بها الإدارة العامة للتوجيه التربوي والتدريب بالوزارة في ضوء مصادر اشتقاقها الأساسية، آخذة بعين الاعتبار تحليل المهام الوظيفية للمعلم، وعلاقات التأثير والتأثر بينه وبين بقية عناصر العملية التعليمية، وذلك وفق منهج علمي صحيح. ونحن الآن بانتظار اكتمال وصول المعلومات من عينة الدراسة لنتمكن من تحليلها ورسم الخطوط العريضة لخطّة موحدة لبرامج إعداد المعلمين، يتم إخضاعها لمزيد من الدراسة مع المؤسسات التربوية التي تقوم بإعداد المعلم.

ألا ترون أن العدد الكبير للطلاب داخل الصف، وعدد الحصص الكبير أيضا للمدرس، ينعكس على أداء المدرس، وتحصيل الطالب؟

هذه القضية التي يتطرق إليها هذا السؤال هي قضية تربوية مهمة، فعدد الطلاب القليل داخل حجرة الدراسة أدعى لتوفير مناخ أفضل أمام المعلم يمكنه من الشرح والتوضيح والتدريب والمناقشة والتقويم، كما يوفر الفرصة للطلاب للمزيد من الفهم والتحصيل والاستيعاب.

كما أن قلة الأعباء التي تقع على المعلم تخفف من الثقل الذي يقع على كاهل الطلاب في العملية التعليمية.

ونحمد الله أن واقعنا التعليمي يراعي هذه الحقائق، فنصاب المعلم من الحصص ينخفض لدرجة تسمح برفع كفاءة أدائه داخل حجرة الدراسة، علاوة على أن كثافة الفصول توفر له هذه الفرصة، فبصفة عامة تعد كثافة الفصول بمدارسنا منخفضة حتى إنها تصل في المرحلة الابتدائية إلى خمسة وعشرين طالبًا في كل حجرة دراسة، وفي المرحلة المتوسطة تصل إلى ثلاثين طالبًا، وفي المرحلة الثانوية تصل إلى خمسة وثلاثين طالبًا، وفي معاهد التعليم الخاص تصل الكثافة إلى تسعة طلاب فقط، مما يعبر عن واقع تعليمي يسهم بدرجة كبيرة في تحسين أداء المعلم، ويوفر مناخًا طيبًا للعملية التعليمية.

بداياتُ التّعليمِ الحُكوميِّ في المملكةِ في عَهْدِ المَلِكِ عَبْدِالعَزيز

بقلم: د.محمد بن عبدالله السلمان

كان عام ١٣٤٤هـ هو عام دخول الحجاز تحت حكم الملك عبدالعزيز، وكان أول ماهتم به بعد استتباب الأمن هو التعليم، فالتقى بعلماء مكة وتشاور معهم في الوسائل التي تخدم نشر التعليم في المملكة وتدعمه، فأعلن عن إنشاء مديرية المعارف في ١٣٤٤/٩/١هـ. وفي ١٣٤٤/٩/٣هـ صدر أمر ملكي يقضي بتعيين السيد صالح شطا مديرا للمعارف بمكة في خطاب موجه من الملك عبدالعزيز إلى نائبه في الحجاز ابنه الأمير فيصل قال فيه:

"بناء على ماتوسمناه من الكفاءة في المكرم السيد صالح شطا قد وجهنا إلى عهدته مديرية المعارف بمكة، فعليه تبلغوه بذل قصارى الجهد والغيرة والاهتمام نحو تعميم ونشر المعارف والخدمة لهذه الغاية كما هي حقها" (١).

ومنذ ذلك الحين بدأ اهتمام الدولة بنشر التعليم الحديث في مناطق المملكة، ولكن الحجاز كانت أسبق مناطق المملكة في نشر هذا النوع من التعليم نظرا لمكانتها الدينية من ناحية، ولأن التعليم الحديث قد قطع شوطا لابأس به عن طريق المدارس الأهلية الحديثة المنتشرة فيه كما سبق؛ لهذا عمل على فتح بعض المدارس الحكومية في مكة أولا فبدأت الدراسة فيها أواخر عام ١٣٤٥هـ، وأوائل عام ١٣٤٦هـ(٢)، ثم تعدد فتح المدارس بعد ذلك.

"وفي ٢٧ محرم ١٣٤٦هـ صدر مرسوم بتشكيل مجلس المعارف برئاسة مدير المعارف ليشرف على السياسة التعليمية كلها ووضع الأنظمة والمناهج، وبذلك عرفت البلاد لأول مرة نظام التعليم بالمعنى الحديث الذي يستهدف توحيد التعليم للمواطنين ويقرر شموليته وتعميمه" (٣). مع ملاحظة أن مديرية المعارف بقيت تشرف بشكل خاص على التعليم في الحجاز الذي بدأ فيه التعليم الحكومي قبل غيره، واستمرت الحال على ذلك حتى ١٣٥١هـ وهو عام إعلان توحيد المملكة باسم (المملكة العربية السعودية) فاتسعت صلاحيات مديرية المعارف وأصبحت مسؤولة عن شؤون التعليم في المملكة بأسرها(٤). ومنذ ذلك الحين أصبحت مصروفات التعليم للطالب مجانية تدفعها الدولة بعد أن كانت في السابق - وقبل قيام المديرية بالذات - تصرف من تبرعات الأغنياء من المواطنين ومن رصيد الأوقاف. وكان قيام حركة الإخوان عام ١٣٤٧هـ وقضاء الملك عبدالعزيز عليها مما زاد في اهتمام الحكومة بالتعليم في كافة مناطق المملكة(٥) بعد أن رأت وجود خطأ في السياسة التعليمية لهؤلاء الإخوان، تلك السياسة التي جعلت بعضهم يفهمون الإسلام على غير حقيقته ويرونه منافيا للحضارة النافعة. فاهتم الملك عبدالعزيز بتوجيه التعليم في هجَر هؤلاء الإخوان توجيها صحيحا حتى بلغ عدد المعلمين والمرشدين في تلك الهجر وقراها قبل وفاة الملك عبدالعزيز أكثر من ألف معلم ومرشد(٦).

بدايات التعليم الحكومي في المملكة في عهد الملك عبد العزيز

أما حاضرة نجد فلم تعرف التعليم الحكومي إلا متأخراً، فقد كان عام ١٣٥٦هـ هو العام الذي بدأ دخول ذلك النوع من التعليم فيها إذ لم تفتح مدارس في نجد قبل ذلك التاريخ(٧). وبقيت نجد مع ذلك فترة من الوقت وهي لايتوافر فيها إلا التعليم الابتدائي فقط، وظل الراغبون من خريجي المدارس الابتدائية فترة من الزمن يسافرون إلى الحجاز لمواصلة تعليمهم الثانوي الذي لايتوافر في نجد. إلى أن استطاعت الحكومة بما أُتيح لها من إمكانات فنية ومالية التوسع في افتتاح المدارس بجميع مراحل التعليم في نجد وفي غيرها من مناطق المملكة.

لقد افتتحت الحكومة في بعض مدن نجد العديد من المدارس التي تدرج التعليم فيها ببطء نوعا ما، وكان ذلك راجعا إلى قلة المدرسين أولا ولضعف الرغبة يومئذ في الإقبال على طرائق التعليم الحديثة من السكان أنفسهم. ولكنها وثبت بعد ذلك، فما دخلت سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م. حتى كان في نجد ٨٤ مدرسة زاد طلابها على ثمانية آلاف طالب(٨).

لقد كان التعليم الحكومي ولايزال غير إلزامي بل وضعت له حوافز تختلف في مكافأة الطلاب المراد ابتعاثهم للدراسة في خارج المملكة أو إعدادهم للتّدريس. أو الدارسين في المعاهد الدينية. كما أن بعض المدارس وجدت بها أقسام داخلية توفر للطالب المسكن والإعاشة(٩) مما يكشف مدى نشاط مديرية المعارف في سبيل الوصول إلى تحقيق أهدافها، ومما زاد من ذلك أن المديرية كان مقرها مكة ولكنها أوجدت لها فروعًا في مناطق المملكة المختلفة حيث قسمت المملكة إلى عدة مناطق تعليمية يشرف على كل منطقة (معتمد للمعارف) وكانت نجد من ضمن تلك المناطق التي وجد فيها (معتمدية المعارف في نجد)(١٠) ثم معتمدية المعارف في القصيم.

ومن أجل الوصول إلى الأفضل في نظام التعليم فقد تعدد تغيير نظام التعليم من قبل مديرية المعارف، فظهرت أنظمة للتعليم ومراحله في سنوات ١٣٤٦هـ و١٣٥١هـ و١٣٥٧هـ و١٣٥٨هـ، كما ظهرت أنظمة لمناهج التعليم المراد تطبيقها، فظهر نظام عام ١٣٤٩هـ وعام ١٣٥٢هـ و١٣٥٥هـ(١١) وكلها أنظمة طبقت فترة ثم تغيرت إلى الأحسن. وهكذا.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن الدولة واجهت عدة عقبات وقفت في طريق نشر التعليم بالسرعة المطلوبة وأهمها:

١ـ عدم إيمان كثير من أولياء أمور الطلاب ـ خاصة في نجد ـ بجدوى التعليم الحديث وفائدته، فقد كانوا معتادين على الكتاتيب وحلقات المساجد فقط.

٢ـ أحوال السكان المعيشية وانشغالهم بالحصول على لقمة العيش وحاجتهم إلى خدمات أبنائهم مما يؤدي إلى صعوبة موافقة آبائهم على تفرغ الأبناء لطلب العلم.

٣ـ التشكيك في جدوى بعض العلوم الحديثة بل تصور ضررها، فقد خيل لبعض هؤلاء أن تعليم اللغات الأجنبية مثلاً يؤدي إلى تعليم عقائد الكفار أو إفساد أخلاق الشباب(١٢).

٤ـ اتساع مساحة المملكة وتوزع سكانها من حاضرة وبادية مما يؤدي إلى صعوبات توفير العدد الكافي من المدرسين.

٥ـ عدم توافر أدوات التعليم والتي لم يكن يصنع منها شيء في البلاد ابتداء من الكتب والمدرسين وانتهاء (بالطبشور) واللوح الأسود وما يترتب على ذلك من مخصصات مالية لم تكن متوافرة(١٣).

٦ـ ندرة عدد المدرسين السعوديين حتى للمرحلة الابتدائية(١٤) مما جعل مديرية المعارف تسرع في حل هذه المشكلة بإنشاء المعهد العلمي السعودي منذ قيامها عام ١٣٤٥هـ.

٧ـ ضعف القوة الاقتصادية للدولة السعودية المعاصرة بعد دخولها الحجاز حيث صادفت أزمة مالية عالمية عانى منها العالم حينذاك إثر موجة كساد مما أثر في عدد الحجاج الوافدين إلى الحجاز الذين قل عددهم بسبب الأزمة العالمية الخانقة، وبالتالي واجهت الدولة عسرا ماليا تأثر به التعليم واستمر حتى ظهور البترول عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٨م، ولكن حال نشوب الحرب العالمية الثانية دون استغلاله تجارياً حتى انتهت الحرب عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م فزاد دخل الدولة وزاد من إنفاقها على التعليم(١٥).

٨ـ عدم استطاعة خريجي الثانوية من طلاب المملكة مواصلة دراستهم الجامعية بسبب عدم اعتراف وزارة المعارف المصرية بها لأن الطلاب لم يدرسوا لغة أجنبية أو علوماً طبيعية. فحلت مديرية المعارف ذلك بإنشاء مدرسة تحضير البعثات التي غطى منهجها ذلك النقص وكان ذلك عام ١٣٥٤هـ(١٦).

وهكذا يتبين لنا أن مديرية المعارف واجهت عقبات صعبة في طريقها، ولكنها استطاعت أن تتغلب عليها شيئا فشيئا حسب الإمكانات المتاحة وتحقق لها الكثير. ويكفي أن نقول إن المديرية استطاعت فتح ٣٢٦ مدرسة ابتدائية بالمملكة حتى عام ١٣٧٣هـ عدد طلابها ٤٣٧٣٤ طالباً وعدد معلميها ١٦٥٢ معلما. كما فتحت ١٤ مدرسة ومعهداً ثانوياً، عدد طلابها ١٦٩٧ طالبا وعدد معلميها ١٧٦ معلما(١٧).

هذا غير المعاهد الخاصة بالمعلمين والمدارس الصناعية والتجارية ونحوها.

وعلى كل فقد مرت مسيرة التعليم الحديث في المملكة في عهد الملك عبدالعزيز في مرحلتين رئيستين:

أولاهما: مرحلة ماقبل الحرب العالمية الثانية وهي الفترة التي بدأت منذ دخول الحجاز في حكم الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٤هـ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م وهي مرحلة كانت مسيرة التعليم فيها بطيئة نظرا للظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد حينذاك وعدم القدرة على توفير حاجة التعليم ومتطلباته المادية والفنية.

وثانيتهما: مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية، وتبدأ من نهاية تلك الحرب عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م حتى وفاة الملك عبدالعزيز ١٣٧٣هـ وهي مرحلة سار التعليم فيها بخطى وثابة وذلك بعد دخول البترول السعودي مرحلة الإنتاج العالمي وماوفره لخزينة الدولة من أموال أنفق منها على التعليم بسخاء(١٨).

أما السياسة التعليمية في المملكة فلم تتغير في المرحلتين كلتيهما، وهي ترمي إلى تعليم الناشئة مبادئ الإسلام وأحكامه وتأصيلها في نفوسهم، وكذلك تعليمهم قواعد اللغة العربية وآدابها إضافة إلى تعليمهم ماتتطلبه حاجات البلاد التنموية في الإدارة والاقتصاد والتقنية وغيرها. وقد ساعد على تحقيق هذه السياسة حرص المسؤولين في البلاد على نشر العلم، ودخْلُ البلاد الكبير من ثرواتها الطبيعية، ثم ظهورُ التطور الاقتصادي والعمراني في ربوع

المملكة مما أغرى كثيرا من مواطنيها الرحل بالاستقرار ومن ثم سَهُل تعليم أولادهم(١٩).

مديرية المعارف العامة وفروعها:

كان صدور الأمر الملكي بإنشاء مديرية المعارف مبكراً في حد ذاته، فقد كان - كما سبق - في غرة رمضان عام ١٣٤٤هـ أي بمجرد إتمام ضم الحجاز إلى حكم الملك عبدالعزيز. وهذا يعني أن الدولة السعودية الحديثة اهتمت بالتعليم اهتماما كبيرا وجعلته من أساسيات نظامها الداخلي.

وقد جاء في مرسوم إنشاء المديرية بيان الغرض من إنشائها حيث نص المرسوم على أن "غرضها نشر العلوم والصنايع، وافتتاح المكاتب والمدارس، وحماية المعاهد العلمية، مع فرط الدقة والاعتناء بأصول الدين



الملك فهد - حفظه الله - يتفقد إحدى المدارس عندما كان وزيراً للمعارف

في كافة المملكة الحجازية"(٢٠). ومن المرسوم يفهم أن المديرية كانت تشرف على التعليم في الحجاز أو في مملكة الحجاز. أما سلطنة نجد فلم توجد فيها مدارس بعد حتى تدخل في إشرافها حينذاك، واستمرت الحال على ذلك حتى توحيد المملكة باسم "المملكة العربية السعودية" عام ١٣٥١هـ، فأصبحت المديرية تشرف على التعليم في المملكة كلها ماعدا التعليم العسكري(٢١).

وقد باشرت المديرية إشرافها على مدارس الحجاز منذ محرم ١٣٤٥هـ إشرافاً مباشرا وجعلت مقر المديرية مكة المكرمة وكانت مرتبطة بالنائب العام (الأمير فيصل بن عبدالعزيز) وقصر اختصاصها على مايتصل بالتربية والتعليم، ويرأسها مدير عام ومعاون مدير، وإلى جانبهما مكتب يشمل المحاسبة والبعثات والملفات والمستودعات وكذلك مجلس معارف، ثم هيئة إدارية يرأسها المدير العام، وأخيراً مكتب تفتيش يرأسه المفتش الأول. ووزعت أعمال المديرية كل حسب اختصاصه(٢٢) كان هذا هو الهيكل الإداري العام للمديرية في أول إنشائها، ثم حدث لها تطورات عديدة إلى أن تحولت إلى وزارة عام ١٣٧٣هـ أي بعد وفاة الملك عبدالعزيز.

وحينما باشرت المديرية أعمالها في محرم ١٣٤٥هـ(٢٣) كان يتبعها اثنتا عشرة مدرسة أميرية وأهلية بعضها كان قائما من قبل. كما قامت المديرية بإعادة فتح المدارس العثمانية التي كانت قائمة من قبل والتي أغلقها الملك حسين بن علي ملك الحجاز قبل الملك عبدالعزيز. وارتفع عدد الطلاب التابعين للمديرية من أول إنشائها إلى ستمائة طالب، وبعد عشرة أشهر من قيامها تم فتح معهد فوق المرحلة الابتدائية لتخريج مدرسين لتلك المرحلة وهو الذي سمي فيما بعد بالمعهد العلمي السعودي. كما أن الدولة رصدت للمديرية ميزانية خاصة بلغت ٦٦٦٥ جنيهاً استرلينيا(٢٤) وهو مبلغ جيد في إمكانات تلك الفترة وظروفها. وهو يعادل ٦٦٦٥٠ ريالا سعوديا.

ولكي تتضح الصورة أكثر عن مديرية المعارف نبرز أهم المعالم فيها:-

أولا: معتمديات المعارف:

وهي عبارة عن فروع للمديرية في مناطق المملكة المختلفة. فقد خطت المديرية هذه الخطوة بعد تعميم إشرافها على شؤون التعليم في البلاد. وبعد زيادة عدد المدارس التابعة لها في مناطق المملكة المختلفة لتكون حلقة وصل بين المديرية والمدارس، وكان لهذه الخطوة أثر في حل كثير من المشكلات والقضاء على المركزية، فأنشأت لهذا الغرض تسع معتمديات في حواضر أقاليم المملكة المختلفة.

كانت منطقة نجد على رأس المناطق التي فُتحت فيها معتمديات، وقد تم ذلك عام ١٣٦٥هـ أيّ بعد بداية فتح المدارس بنحو عشر سنوات(٢٥) وتولى القيام بها الأستاذ صالح خزامي، ثم الأستاذ عبدالملك الطرابلسي حتى سنة ١٣٦٧هـ حيث تولاها الشيخ حمد الجاسر(٢٦). وفي سنة ١٣٧٠هـ أُسندت إلى الأستاذ عبدالرحيم صديق، وبعد تحويل المديرية إلى وزارة للمعارف حُوِّلت معتمدية نجد إلى إدارة تعليم عام ١٣٧٣هـ، وكان أول من تولاها الأستاذ ناصر المنقور(٢٧) مع ملاحظة أنه في عام ١٣٦٩هـ صار لمنطقة القصيم معتمدية خاصة بها.

وكانت معتمدية المعارف في نجد تشرف على التعليم في نجد كلها بمناطقها المختلفة، واستمرت على ذلك حتى تعددت إدارات التعليم في نجد بعد تحويل المديرية إلى وزارة والتوسع في إنشاء المدارس في أرجاء منطقة نجد.

ثانيا: ميزانية المديرية:

إن معرفة مقدار الميزانية للمديرية هو من الأهمية بمكان؛ لأنه يعطينا إلى أي حد كان اهتمام الحكومة بالتعليم. كما يوضح لنا مدى التطور الذي طرأ عليها.

١- كان مقدار أول ميزانية للمعارف عام ١٣٤٥هـ ١٣٣٫٣٠٠ ريال سعودي وعدد مدارسها ١٢ مدرسة وطلابها ٧٠٠ طالب.

٢- في عام ١٣٥٧هـ وفي بداية اكتشاف البترول بالمملكة زادت ميزانية المديرية فأصبحت ١٢٫٨١٧٫٤٦٦ ريالا.

٣- في عام ١٣٧٢ - ١٣٧٣هـ بلغت ميزانيتها ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ (عشرين مليون ريال)(٢٨) ومعنى ذلك أن ميزانية المعارف تضاعفت عشرات المرات في سنوات عديدة(٢٩). وبجانب أن التعليم مجاني في المملكة منذ ذلك الحين وحتى الآن فإن هناك مصروفات مالية لايدخل بعضها في الميزانية المذكورة في عهد الملك عبدالعزيز ومنها:-

١- تنفق الحكومة على نحو ٣٠٪ من التلاميذ طعاماً ومأوى وملبسا ومالإلى ذلك ويكثر هذا النوع

في المدن والقرى المجاورة للبادية.

٢ـ كانت الحكومة تدفع لبعض الآباء تعويضا عن عمل البنين في رعي الماشية أو سوى ذلك حال غيابهم عن مضاربهم في الصحراء لتعليمهم.

٣ـ كانت تصرف مثل هذا التعويض لآباء بعض المبتعثين إلى خارج المملكة من الطلاب المرغوب بتيسير طلبهم للتعليم.

٤ـ إن مئات من الطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ظهر للحكومة أن مقدرتهم المالية لاتساعدهم في الدراسة فخصتهم بدعم مادي يتراوح بين ١٥٠ـ٢٤٠ ريالا للطالب الواحد.

٥ـ كان للمدارس الأهلية حصتها من العون المادي(٣٠). فقد كانت الحكومة تدفع لهذه المدارس دعما ماديا لتساعدها في تأدية واجباتها على الوجه الأكمل. وكان هذا الدعم لتلك المدارس سنويا. وبالطبع فإن أكثر تلك المدارس الأهلية المهمة في الحجاز، وقد وصل هذا الدعم إلى أكثر من «٣٣» ألفَ جنيه استرليني عام ١٣٤٧هـ(٣١).

كل هذه النفقات وأمثالها مما لايدخل في ميزانية مديرية المعارف، وإنما كان الصرف عليها من مخصصات إمارات المناطق والبادية مما لايعرف مجموعه حتى يمكن إضافته لميزانية المعارف.

ثالثاً: مديرو المعارف:

لقد تولى مديرية المعارف عدد من رجال التعليم وهم:-

١ـ الشيخ صالح بن بكر شطا: وهو أول من تولى إدارة المعارف منذ إنشائها في غرة رمضان عام ١٣٤٤هـ، ووضع النواة الأولى لأنظمتها، ولم يستمر في هذا المنصب طويلا، حيث نقل في منتصف عام ١٣٤٥هـ إلى وظيفة مستشار النائب العام في الحجاز.

٢ـ الشيخ محمد كامل القصاب: وهو سوري الأصل. وكان قد تولى إدارة المعارف في الحجاز في عهد الأشراف. وقد عينه الملك عبدالعزيز مديرا للمعارف بعد صالح شطا ولم يستمر طويلا حيث قدم استقالته بعد فترة قصيرة، وفي عهده صدر نظام مجلس المعارف ونظام البعثات للخارج وتوفي عام ١٣٧٣هـ(٣٢).

٣ـ الشيخ ماجد بن صالح الكردي: وهو صاحب المطبعة الماجدية في مكة التي أسسها عام ١٣٢٧هـ، وقد تولى إدارة المعارف بعد كامل القصاب بالوكالة حتى عين حافظ وهبة. وتوفي في حج عام ١٣٤٩هـ، وهو في منصب مدير الأوقاف العامة(٣٣).

٤ـ الشيخ حافظ وهبة: وهو مصري الأصل، وقد تولى إدارة المعارف منذ عام ١٣٤٧هـ بجانب وظيفته مستشارا للملك عبدالعزيز، واستمر حتى عام ١٣٤٩هـ حيث عين سفيرا للمملكة في لندن وتوفي عام ١٣٨٧هـ(٣٤).

٥ـ الشيخ محمد أمين فودة: وكان وكيلا للشيخ حافظ وهبة في إدارة المعارف ثم عُين بعد نقل حافظ وهبة إلى لندن مديراً للمعارف عام ١٣٤٩هـ، واستمر حتى عام ١٣٥٢هـ حيث عين وكيلاً لرئيس القضاة.

٦ـ الشيخ إبراهيم الشوري: تولى إدارة المعارف عام ١٣٥٢هـ بالوكالة حتى أواخر عام ١٣٥٤هـ.

٧ـ السيد محمد طاهر الدباغ: عين مديرا للمعارف عام ١٣٥٥هـ واستمر حتى عام ١٣٦٤هـ حيث عين عضوا في مجلس الشورى وتوفي عام ١٣٧٨هـ(٣٥) وهو صاحب فكرة (مدرسة تحضير البعثات).

٨ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع: المولود في عنيزة ١٣٠٠هـ، وهو أول نجدي يتولى إدارة المعارف وآخر مدير للمعارف حيث تحولت بعده إلى وزارة. وقد تعين مديرا عاما للمعارف عام ١٣٦٤هـ بعد السيد محمد طاهر الدباغ. وفي عهده خطا التعليم خطوات واسعة فانتشرت المدارس الابتدائية وفتح العديد من المدارس الثانوية، بل وصل التعليم إلى المرحلة الجامعية بفتح كلية الشريعة بمكة عام ١٣٦٩هـ، كما استقدم العديد من الأساتذة الكبار في تخصصات مختلفة من الأزهر بمصر وغيره، كما توسع في حركة الابتعاث إلى مصر. واستمر في عمله مديرا للمعارف بجانب هيئة تمييز القضاء الشرعي حتى تحولت المديرية إلى وزارة للمعارف عام ١٣٧٣هـ، فطلبه حاكم قطر مشرفاً على التعليم والشؤون الدينية في قطر حتى توفي في بيروت مستشفياً عام ١٣٨٥هـ(٣٦).

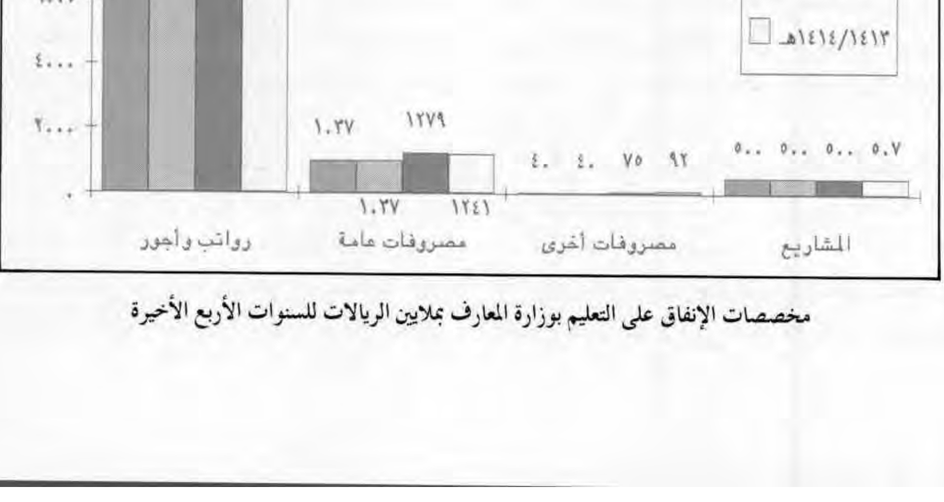
رابعا: أما عن مجلس المعارف: فهو مجلس من ثمانية أعضاء، هدفه الإشراف على مسيرة التعليم ويرأس المجلس مدير المعارف، وقد صدر أمر ملكي بنظام مجلس المعارف في ٢٧ محرم ١٣٤٦هـ. وحدد الأمر الملكي صلاحيات المجلس وأهمها:-

١ـ إقرار ميزانية المعارف.

٢ـ الموافقة على تعيين المدرسين الذين يرشحهم المدير وكذلك عزلهم.

٣ـ الإشراف على المدارس وبرامج التعليم ومناهجه.

٤ـ دراسة حالة الكتاتيب وتقديم تقرير عنها.



مخصصات الإنفاق على التعليم بوزارة المعارف بملايين الريالات للسنوات الأربع الأخيرة

٥- اختيار الكتب المدرسية للمدارس الحكومية.
٦- سن الأنظمة التعليمية(٣٧).

وفي ٨ صفر عام ١٣٤٦هـ صدر أمر ملكي بتعيين أعضاء مجلس المعارف الثمانية وهم: الشيخ صالح شطا مدير المعارف حينذاك رئيسا، والشيخ عبدالله حمودة، والشيخ محمد أمين فودة، والشيخ محمد بن ناصر التركي، والدكتور عبدالغني، والشيخ محمد نور قطاني، والشيخ ماجد كردي، والشيخ علي مالكي(٣٨).

ويلاحظ أن أحد هؤلاء الأعضاء من منطقة نجد - كما يبدو - وهو محمد بن ناصر التركي. وقد حصلت تغييرات كثيرة في أعضاء مجلس المعارف خصوصا عند حصول تغيير في وظيفة مدير المعارف، وكان نظام مجلس المعارف ينص على أن يعين أربعة من أعضاء المجلس من موظفي المعارف والأربعة الآخرون من أرباب الكفاءة من غير الموظفين. وكان المجلس ينعقد - حسب النظام - مرة في الأسبوع وعند الضرورة أكثر من مرة(٣٩).

وهكذا كان مجلس المعارف ووظائفه وصلاحياته من أهم الدلائل على دخول البلاد عهد التعليم الحديث الذي يستهدف توحيد التعليم للمواطنين، ويقرر شموليته وتعميمه. وقد حصلت تغييرات في نظام مجلس المعارف لعل أبرزها نظام عام ١٣٥٧هـ والذي صدر بعد أن بدأ عهد جديد للتعليم في البلاد وأصبح الأمر يتطلب نظاما شاملا للتعليم في المملكة كلها حيث لم تعد وظيفة المعارف قاصرة على التعليم في الحجاز، بل على جميع شؤون التعليم في المملكة بأسرها. فيما عدا التعليم العسكري. وظل نظام ١٣٥٧هـ حتى قيام وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ، وقد أعطى النظام المذكور صلاحيات أكبر لمدير المعارف وجعل من مهام مجلس المعارف الإشراف على المدارس الأهلية. وتكوين هيئة تفتيش(٤٠).

خامسا: أما عن أثر مديرية المعارف في مسيرة التعليم في المملكة فأهمها:-

١- توحيد مناهج التعليم ووضع أسسه في مختلف مراحله والعمل على تعميمه في مختلف أرجاء البلاد.
٢- السعي لجعل التعليم الابتدائي إلزاميا ومجانيا.
٣- وضعت النواة الأولى لمراحل التعليم فكانت أولا أربع مراحل (تحضيري، ابتدائي، ثانوي، عال)(٤١) ثم انحصرت في الثلاثة المراحل الأخيرة بعد ذلك.
٤- اتجهت إلى استكمال كل مؤسسات التعليم النظامية بمراحلها المختلفة وأنواعها التخصصية كالمهنيين وتعليم الكبار وإعداد المعلمين وتدريبهم.
٥- فتحت أبواب الابتعاث للدراسة الجامعية والعالية خارج البلاد حينما لم يكن ذلك موجودا في داخل البلاد.
٦- أصدرت الأنظمة التعليمية التي نظمت الشؤون التعليمية في أكثر جوانبها. وبلغت خمسة عشر نظاما(٤٢).
٧- حرصت على نشر كافة المدارس في المملكة بمراحلها المختلفة وبخاصة المرحلة الابتدائية حتى بلغ عدد المدارس في آخر عهد الملك عبدالعزيز ٣٨١ مدرسة حكومية متنوعة عدد طلابها ٤٨١٦١ طالبا وعدد مدرسيها ٢٠٠١ مدرس بالإضافة إلى ١٦ مدرسة أهلية عدد طلابها ٤٠٩٥ طالبا، وعدد مدرسيها ١٨١ مدرسا(٤٣). وكما سبق بلغت ميزانية المعارف في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م حوالي ٢٠ مليون ريال سعودي وهي آخر ميزانية للمديرية قبل تحويلها إلى وزارة.
٨- وضعت النواة الأولى للدراسة الجامعية داخل المملكة بفتح كلية الشريعة عام ١٣٦٩هـ بمكة المكرمة، ثم كلية المعلمين عام ١٣٧٢هـ.

واستمرت مديرية المعارف العامة تؤدي رسالتها العلمية مدة ثلاثين سنة حتى تم تطويرها إلى وزارة المعارف أول عهد الملك سعود عام ١٣٧٣هـ، وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، أول وزير لها حيث قاد مسيرتها العلمية إلى الأحسن بكل حماسة وإخلاص.

الهوامش:

(١) وزارة المعارف، مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي وثيقة رقم ١٣٤٤ وانظر أبوراس ص ٢٤٩.
(٢) أحمد محمد جمال، ماذا في الحجاز ص ٢٣.
(٣) عبدالله أبوراس وبدر الدين أديب، الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٢٥٣.
(٤) إبراهيم محمد إبراهيم، التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة ص ٣٨، وعبدالله الحقيل، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٣.
(٥) عبدالفتاح أبوعليه، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٤٩.
(٦) عبدالرحمن الرويشد، الجهاد الفكري للملك عبدالعزيز ص ١٢.
(٧) عبدالله العثيمين، الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المملكة ص ٩.
(٨) الزركلي، شبه الجزيرة ٢/٦٤٥.
(٩) عبدالله الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ص ٢٤١.
(١٠) انظر: مجلة العرب س ١٨ الربيعان ١٤٠٤هـ، ص ١٠٠٣.
(١١) انظر تفصيل هذه الأنظمة في عبدالله الحقيل، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٣ - ٧.
(١٢) بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ص ١٥٥، وانظر: حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٢٦ عن موقفهم من الرسم والجغرافيا والرد عليهم.
(١٣) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال ص ٤٥٣.
(١٤) الزركلي، شبه الجزيرة ٢/٦٣٦.
(١٥) عبدالله الشهيل، المرجع السابق، ص ٢٤٢.
(١٦) إبراهيم محمد إبراهيم ص ٤٣، ٤٤، والزركلي ٢/٦٣٨.
(١٧) مصطفى عطار، الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٣٤.
(١٨) عبدالله الشبل، محاضرات في تاريخ الدعوة الإسلامية والدولة السعودية ص ٩٣، وانظر: عبداللطيف بن دهيش، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢، ٣.
(١٩) عبدالله العثيمين، المرجع السابق، ص ١٤، ١٥.
(٢٠) جريدة أم القرى العدد ٩٠ المؤرخة في ٢٥ صفر ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦/٨/٢١م ص ١.
(٢١) عبدالله الحقيل، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٣.
(٢٢) الزركلي، ٢/٦٣٣.
(٢٣) وزارة المعارف، إحصاءات التعليم في المملكة العربية السعودية، العدد ١٥، ١٤٠١/١٤٠٢هـ ص ٦، وانظر: إبراهيم محمد إبراهيم ص ٣٧.
(٢٤) عبدالله الشهيل، المرجع السابق ص ٢٣٩.
(٢٥) كان عام ١٣٥٦هـ هو بداية افتتاح مدارس حكومية في عدد من مدن نجد مثل الرياض وبريدة وعنيزة وغيرها كما سبق.
(٢٦) في مجلة العرب التي يرأس تحريرها الشيخ حمد الجاسر ورد أنه تولى معتمدية المعارف بنجد من عام ١٣٦٧-١٣٦٩هـ أي أنه قبل عبدالله السليم. انظر: مجلة العرب س ١٨ الربيعان ١٤٠٤هـ ص ١٠٠٣.
(٢٧) عبدالله أبوراس، المرجع السابق ص ٣٧، وناصر المنقور ظل يشغل إلى فترة قريبة سفير المملكة في لندن.
(٢٨) انظر: عبدالله الحقيل، جوانب مضيئة لمسيرة التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مجلة الدارة، رجب ١٤٠٦هـ العدد ٤/١١ ص ١٣٤.
(٢٩) ورد في كتاب معلم ومجتمع إصدار مركز ابن عثيمين بعنيزة ص ٥٥ أن ميزانية مديرية المعارف عام ١٣٦٧/٦٦هـ كان مائة ألف ريال، وهو خطأ واضح، في تحديد السنة وفي تحديد رقم الميزانية فهو أكثر من ذلك بكثير وقد يصل إلى عشرة ملايين ريال في تلك السنة.
(٣٠) الزركلي، شبه الجزيرة ٢/٦٤٦، ٦٤٧.
(٣١) سليمان سندي، تطور التعليم في المملكة العربية السعودية، مجلة التوثيق التربوي العدد ١٥ ربيع الثاني ١٣٩٨هـ ص ١٠. وانظر: الشهيل ص ٢٤٠.
(٣٢) الزركلي، الأعلام ٧/٢٣٥.
(٣٣) انظر المجلة العربية العدد ١٥٧ صفر ١٤١١هـ ص ٢٢ من ذكريات حمد الجاسر.
(٣٤) انظر: فيلبي، تارخ نجد ص ٣٨٣.
(٣٥) انظر: الزركلي، شبه الجزيرة ٢/٦٤٧ وعبدالله البغدادي، الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية ص ١٨٩ ومابعدها، وعبداللطيف بن دهيش، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز ص ٥ - ٨.
(٣٦) انظر: حمد الجاسر. مؤرخو نجد من أهلها، جمادى الأولى ١٣٩١هـ ٥/١٩٧٧ومحمد القاضي، روضة الناظرين ٢/٢٨١، وعبدالله البسام ٣/٨٢٧، وعبداللطيف بن دهيش، المرجع السابق ص ٨.
(٣٧) نشر النظام كاملا في جريدة أم القرى العدد ١٣٧ في ٢٩ محرم ١٣٤٦هـ، وانظر: عبدالله أبوراس، وبدر الدين أديب، الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٢٥١، ٢٥٢.
(٣٨) مصطفى عطار، الملك عبدالعزيز والتعليم ص ١٧.
(٣٩) انظر: عبدالله أبوراس، المرجع السابق ص ٢٥١.
(٤٠) انظر: مصطفى عطار ص ١٨، وأبوراس ص ٢٥٦، ومابعدها.
(٤١) إبراهيم محمد إبراهيم، التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة ص ٣٧.
(٤٢) مصطفى عطار، المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤.
(٤٣) عبدالفتاح أبو عليه، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز ص ٢٤٧.

التعليم والسباق الحضاري

تعليم فعّال أو الخروج من دائرة التاريخ

إعداد : قسم الدراسات والاستطلاعات

«لقد كان القرن الحادي والعشرون ـ دائما ـ رمزًا مختصرًا للمستقبل البعيد كل البعد أو المكان الذي نتمثل فيه أمانينا البعيدة وأحلامنا، أما اليوم، فإن القرن الحادي والعشرين يعدو قادمًا نحونا، وكل من يتساءل منا، كيف سيكون هذا القرن، عليه أن يجد الجواب على سؤاله في الفصول الدراسية الأمريكية»(١)، هذه العبارة الموجزة التي أطلقها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في العام ١٩٩١م، وتصدرت واحدة من أهم الوثائق في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية «استراتيجية أمريكا عام ٢٠٠٠»، تجزم بأن مستقبل الولايات المتحدة واستمرار تفوقها المادي، وتصدرها أمم الأرض وشعوبها مرتبط بالفصول الدراسية، وما يُدّرس فيها من علوم وآداب، وما يُتّبع فيها من مناهج لتدريس تلك العلوم والآداب، ويقول لسان حال هذه الاستراتيجية: هذا هو الطريق للتفوق والسيادة، ولاطريق غيره، ومن ثم فإن نظرتنا إلى التعليم على أنه ضرورة من ضرورات الحياة تقصر عن إدراك كنه التعليم وتأثيره في تشكيل الحياة الإنسانية، فالتعليم مسألة حياة أو موت للأمة جمعاء، وهذا ما تنبئ عنه الاستراتيجية الأمريكية، المبنية على استقراء عميق للتجارب الحضارية، وتقويمها تقويما علميًا، مؤسسًا على الحقائق دون الأماني، وعلى الواقع دون شطحات الخيال وتهويماته، ومن ثم جاءت وافية صريحة، لاتهتم بالشعارات البراقة، ولا التطلعات الجامحة، وإنما هي نابعة من الواقع، لإصلاح هذا الواقع، وتزيينه بالمنجزات الحضارية.

هذا الاهتمام الذي توليه أقوى دولة في العالم للتعليم، بوضع استراتيجية محددة، واعتبارها أساسًا ينبني عليه مستقبلها، يكفي دليلاً على الأثر العميق للتعليم في التجارب الحضارية للأمم والشعوب .

من الملاحظ أن هناك تداخلاً بين مصطلح التعليم ومصطلحات أخرى كالتربية والثقافة، ومن ثم لايمكن الحديث عن التعليم بمعزل عن تلك المصطلحات ، كما أن محاولات التعريف اللفظي لا تكفي لتوضيح الفوارق بينها، ولذلك يتوجب الاحتكام إلى الواقع، لتحديد دلالات هذه المصطلحات، وما بينها من تشابه واختلاف ـ وإن كان لابد من التنويه إلى أن التحديد القطعي يظل بعيد المنال، كما هو حال كل المصطلحات الاجتماعية ـ وتعرّف تأثيرها في رسم صورة الحياة وتشكيلها.

المرتكزات الحضارية

توضح تجارب الأمم أهمية وجود مرتكزات وأسس يتم في ظلها كل نشاط إنساني؛ لأن المرتكزات هي التي تعطي ذلك النشاط طابعه المميز، ولذا يُعنى علماء الاجتماع بدراسة الدورات الحضارية وتحليلها ، نظرًا لما تنطوي عليه من دلالات

وآثار، تُلقي بظلالها علي حياة الأمم والشعوب، ومن ثم على الحضارة الإنسانية . فدراسة الدورات الحضارية تكشف العلل والأدواء التي أصابت الحضارات الغابرة، وتُشخِّص وتُحدِّد مبعث تلك العلل التي أدت بكثير من الحضارات إلى الانحطاط، والتآكل ، ثم التفسخ والانزواء.

وهكذا فإن هذه الدراسات تضع في أيدينا حصيلة وافرة من العبر والمعلومات نستعين بها في تجربتنا الحضارية. وقد خلَّفت الدراسات التي تناولت المدنيات القديمة والوسيطة والحديثة ـ على اختلاف توجهات الدارسين والباحثين ـ نتائج عامة، تشير إلى أن الحضارات جميعها تنشأ وتنهض على مرتكزات ومقومات وثوابت محددة، ولايزال المجتمع يحرص على ثوابته، ويتعهدها بالرعاية، حتى تشب التجربة الحضارية عن الطوق، ويصلب عودها، ويمتد تأثيرها في مختلف الاتجاهات بفعل القوى الدافعة الكامنة في المرتكزات، التي تظل في تفاعل مستمر مع المتغيرات، ولكن ما إن يتسلل الوهن إلى تلك المرتكزات، ويتراخى المجتمع عن تداركه وعلاجه، حتى تزحف السحب الداكنة إلى سماء الحضارة، وعندئذ تبدأ نذر النهاية، وتأذن شمس الحضارة بالمغيب، وينفسح المجال أمام تجربة أخرى أكثر اعتدادا بمقوماتها وثوابتها.

المرتكزات التي يعتمد عليها أي مجتمع هي تلك القيم والمعتقدات والأفكار والقناعات التي تشكل ذهنيته، وتؤطر تصوراته ورؤاه، مبلورة المنهج والمسار، الذي يضبط السلوك الاجتماعي. هذه الثوابت ـ بمعنى آخر أكاديمي أكثر تحديدا ـ هي مكونات ثقافة الأمة ، أي «الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقيدة والفنون والأخلاق والقوانين والعادات والقدرات والخصال، التي يكتسبها الإنسان نتيجة وجوده كعضو فى المجتمع»(٢). وهذه المكونات في مجملها هي ثقافة المجتمع التي تشكل قوام شخصية الأمة، ويكتسبها الفرد عن طريق التنشئة. فالطفل يكتسب عناصر ثقافة مجتمعه تدريجيًا، من خلال التفاعل مع المكونات البيئية من أفراد ومواقف اجتماعية، وتزداد هذه العناصر رسوخًا مع مرور الزمن، إلى أن يبلغ الطفل مرحلة الاندماج مع مجتمعه، فتجري منه ثقافته مجرى الدم.

التعليم درع يقي الأمة من داء «القطع الثقافي»

ولهذا فإن الفرد يكتسب في تفاعله الاجتماعي ثوابت مجتمعه، كما يتم إكسابه تلك الثوابت من خلال مؤسسات يقيمها المجتمع. وهذه العملية المنظمة والمقصودة لتحقيق اندماج الفرد مع مجتمعه، هي التربية، أي «وسيلة المجتمع التي يحافظ بها على وجوده واستمراره بدمج الأجيال اللاحقة في الأجيال السابقة، في إطار قيم المجتمع وأهدافه ، فالتربية مؤسسة اجتماعية تضطلع بمسؤولية إعادة إنتاج ثقافة المجتمع وعلاقاته ، ونقل التراث الثقافي والاجتماعي، والمحافظة على بقائه واستمراره، وإكساب الأطفال والشباب معارفَ مجتمع الكبار وقيمَه وعاداتِه بما يؤهلهم لعضوية ذلك المجتمع» (٣).

إن قدرة أي حضارة في الحفاظ على حيويتها ، وأسباب قوتها، وتواصل عطائها، لاتقوم ـ كما تؤكدها ظاهرة الدورات ـ على درجة ثبات المرتكزات، ونجاح المجتمع في غرس قيمه في نفوس الناشئة فحسب، بل تقوم على انتقال تلك القيم والثوابت من جيل إلى آخر بتطور مرن لا يؤثر في أصالتها ونقائها، ودون أن يحدث ما يعرف بـ «القطع الثقافي بين أجيال الأمة الذي يؤدى إلى قطع التواصل الحضاري.. فالجيل المخلوع من جذوره يأخذ بأي شيء مما يحيط به، فيكون التحول إلى روافد ثقافية جارية أو سائدة حاضرة بأشيائها وأفكارها وأدواتها ، الأمر الذي يجعل منه جيلا ممسوخًا، يعيش في حالة تفسخ أو انقسام(٤).

إن الانتماء الحقيقي لهذه الأجيال المصابة بداء «القطع الثقافي»، سيكون بلاشك للأمة صاحبة الثقافة السائدة، فالثقافة تتغلغل في صميم العقل والنفس، وهي المحرك الرئيس للمجتمع، والمحدد لوجهته. أما تفادي الوقوع في أسر ثقافة أخرى، فمسؤولية خطيرة تتحملها الأمة، بجميع فئاتها وقطاعاتها، عن طريق توزيع الأدوار والأعباء، لضمان استمرار تدفق المعطيات الثقافية إلى الأجيال، وتحصينها بمضاد ضد عدوى الانحطاط الحضاري، والتفسخ . ولا يتم النهوض بهذه المسؤولية ، والإبقاء على حيوية ثقافة الأمة، واستمرار

قبل انتقال الموروث الحضاري إلى الأجيال، لا بد أن يتشكل بما يناسب روح العصر، ويستجيب لمتطلباته

عطائها الحضاري، إلا عبر نظام محكم يتيح للموروث الثقافي الانتقال إلى الأجيال، «ليس بشكل جامد ثابت، بل فى صيرورة وتشكل، يخضع لروح العصر، ويستجيب لمتطلباته»(٥).

إكسير الحضارة البشرية

وعملية الانتقال هذه تكاد تماثل نماذج التفاعلات الكيماوية المعقدة، فالعناصر متداخلة - تشمل سجل الأمة الحي الممتد بامتداد العصور - ، بل ممتزجة، بحيث تسفر النتيجة عن تفاعلات أخرى، بدرجات متفاوتة في التعقيد، ذلك لأننا - في هذه الحالة - نكون إزاء تجربة من نوع خاص، (مدخلاتها) الإنسان - ماضيه، حاضره، مستقبله، وطموحاته -، و(مخرجاتها) الحياة بأعمق وأدق معانيها. أما العامل الحيوي الذي يوفر أهم مقومات نجاح هذه التجربة ومتطلباته - المتمثلة في تحقيق تكامل الوحدات، واندماج العناصر، وتهيئة الظروف الملائمة للانتقال المرن من مرحلة إلى أخرى - فهو التعليم، أي «جملة التدابير والأنشطة الرسمية التي تعدها وتمارسها السلطات والهيئات المسؤولة من إعداد وتثقيف أجيال من الصغار والشباب ، تحقيقا لأهداف مرسومة»(٦)، ومصطلح التعليم - كما أسلفنا - يتداخل كثيرًا مع مصطلح التربية «فقد يطلق مصطلح التعليم، ويراد به التربية، ويصبح مساويا لها في المعنى والمفهوم، وقد يستقل عنها بمفهوم خاص، ويقوم بعدة وظائف، تشمل «إكساب معلومات ومهارات ومعارف، وترشيد سلوك، وبمعنى آخر، فإن التعليم في حقيقته تربية تتسع باتساع الحياة، وتغطي كل الممارسات الخاصة بتنمية الأفراد والجماعات بشكل مُطَّرِد وفي جميع مراحل الحياة»(٧)، وكذلك يمتزج التعليم بمفردات مصطلح الثقافة بحيث تتولد علاقة تبادلية شبيهة «بالمعادلة الكيماوية التي تتفاعل في الاتجاهين، فإن من أهم وظائف التعليم «غرس ورعاية الثقافة في نفوس الأجيال، وصقل المواهب عندهم للمساهمة في إنتاج هذه الثقافة(٨). لذلك ليس من قبيل المبالغة أن يوصف التعليم بأنه إكسير الحضارة البشرية، و(المتغير الثابت) في تشكيل وتحديد ملامح المجتمع ورسم خطوط مستقبله.

إن استدلالنا من هذا التناول على بعض المعاني التي تنطوي عليها مصطلحات الثقافة والتربية والتعليم، وما بينها من علاقة وثيقة، يجعل من اليسير فهم أبعاد بعض العبارات والمقولات التى يتم تداولها، لبيان أهميتها أقصد الثقافة والتربية والتعليم، مثل: «الإنسان ابن بيئته.. أي ثقافة مجتمعه»، «الإنسان تصنعه التربية وبعدها التعليم»، «التربية نبت لا ينمو إلا من ري أهله»، «التعليم صناعة المستقبل»، وغيرها.

وإذا كان بدء حديثنا عن الحضارة ، ومقومات تماسكها واستمرارها، وأسباب ضعفها وانحلالها، وما يؤديه التعليم في إطار التجربة الحضارية من دور، سواء كان ذلك في حالات إحكام الضوابط أو التفريط فيها، فإننا في الصفحات التالية سنحاول تسليط الضوء على الجوانب التي تبين بوضوح تلك العلاقة القائمة بين الحضارة والتعليم، بالوقوف على تجارب بعض الأمم والشعوب في حقل التعليم.

تتفق الأمم على أن التعليم يؤدي دورًا كبيرًا في حياتها ، بل إنه الراسم لمستقبلها، ومستقبل أجيالها، لذا نرى «أن الدولة ممثلة فى كل سلطاتها أصبحت مسؤولة عن تخطيط التعليم، بمعنى أن يكون نظاما ما يتسق ويترابط فى كل عناصره المادية، وغير المادية التي تتفاعل معها، ويتبادل في ما بينها عوامل التأثير والتأثر(٩) ، وذلك ما يمكن أن نسميه بـ «القالب أو الوعاء » الذي تصوغه الدولة، لتفرغ فيه خلاصة موروث الأمة الثقافي، وجملة الطموحات، وما تنشده في أجيال المستقبل. وهذا الوعاء بمحددات الصياغة والتشكيل ، وبما يحويه من مضامين تربوية وثقافية، ومعارف حديثة، هو المسؤول عن تحديد موقع الخطوة التالية للأمة فى المسيرة الحضارية.

يتسع وعاء التعليم - الإطار العام للنظام التعليمي ومنهجه - للمتغيرات والتطورات

في حقل المعرفة، كلما كان متسمًا بمرونة لاتتعارض ومرتكزات الأمة، وتتوقف على هذه المرونة درجة وثوق الأمة في مستقبلها، ومدى استعدادها لخوض المعترك الحضاري بثبات. وإذا لم يحسن المسؤولون عن التعليم إحكام النظام التعليمي وتوظيفه كما ينبغي تنعكس النتائج السلبية في صورة أجيال هشة، تكون عبئًا يثقل كاهل الأمة. فمردود التعليم ليس وقتيًا، بل إن التغيرات والتحولات التي يحدثها تستغرق وقتا طويلاً، قد يمتد إلى أجيال كاملة، «فالتعليم يمكن تشبيهه بالكائن الحي - كالنخلة - يحتاج إلى فترة طويلة من البداية والنماء والإثمار، وهو استثمار بشري طويل المدى، وما نؤديه أو نحدثه، أو نبدأ تغييره الآن، قد لايأتي بنتائجه وثمرته - أو حتى بعضها - إلا بعد حقبة من الزمن غالبًا ماتطول، فقد تصل إلى فترة جيل كامل وقد تزيد»(١٠). وبالقدر نفسه، فإن إساءة توظيف التعليم يمتد أثرها إلى أجيال من الأمة.

الاستعمار وتوظيف التعليم

هذا الأثر الممتد للتعليم، فطن إليه الاستعمار الأوربي، حيث حاول أن يوطن ثقافته في البلدان العربية والإسلامية المحتلة وغيرها قبل رحيله عنها، إذ صاغ النظم التعليمية وفق نسقه ومنهجه، «وكانت السلطة الاستعمارية تشرف على مناهج وبرامج المؤسسات التعليمية في الوطن العربي للتمكن من تربية أجيال من أبناء المسلمين تدين بالولاء والطاعة للمستعمرين حكومة وشعبا، وتنسلخ عن ولائها للإسلام، وولائها لأمتها الإسلامية، وتقتبس المفاهيم والعادات الغربية، وكل أنواع السلوك التي يأتي بها المستعمرون. فقد أدرك المستعمر أن التعليم الصالح هو صمام الأمان للأمة التي تريد النهوض بنفسها، والخروج من ربقة التخلف إلى الرقي والتمدن الحضاري الحقيقي»(١١)، لذا عمل على محاربة التعليم القائم على أسس الدين الإسلامي، ففتح مدارس لا دينية لمحاربة التعليم الإسلامي، وشجع أبناء المسلمين على الالتحاق بها، وكانت تلك المدارس وسائل مؤثرة في نشر لغته وثقافته في البلدان الإسلامية، وبخاصة حين ربط المستعمر بين التخلف الذي عليه المسلمون بالإسلام، وزين للكثيرين أن الدين طقوس

تفادي الوقوع في أسر ثقافة أخرى، مسؤولية خطيرة تتحملها الأمة

وعبادات تُمارس فقط، وأن التقدم المادي له طريق آخر، ومن ثم لابد من مناهج تعليمية تنفصل فيها الثقافة العصرية عن التراث الإسلامي بكل ما يحوي ويشتمل. وكانت هذه الدعاوى الاستعمارية وراء اتجاه كثير من أبناء المسلمين إلى الثقافة الأوربية يستمدون منها أفكارهم ورؤاهم، وكان جل هؤلاء من الطبقات الاجتماعية الحاكمة والثرية.

رمى الاستعمار بسياساته التعليمية ومناهج التدريس التي اتبعها إلى زعزعة الثقة في مرتكزات الأمة العربية والإسلامية، والحيلولة دون تواصل الأجيال الناشئة مع تراثهم الإسلامي ، وإيجاد طبقات تدين له بالولاء، وفي الوقت نفسه تشعر بتميزها من الطبقات الأخرى، لاتصالها بثقافة المستعمر ولغته، وتَحقَّقَ للمستعمر نجاح لا ينكر في هذا الصدد، مرده إلى أن تخطيطه للتعليم في المستعمرات، وتطويعه لخدمة أهدافه، جاء بعد دراسات مستفيضة شارك فيها المفكرون والعلماء والمستشرقون والمنصرون، وتحالفت فيها الدولة مع الدين - على ما بينهما من عداء مستحكم عندهم -، وكانت نتيجة تلك الدراسات التوصل إلى كنه العلاقة القائمة بين منهج التعليم ومستقبل الأمة، ومفاد هذه النتيجة أن المنهج جاء تعبيرا عن موجهات التطبيق العملي للسياسة التعليمية «التي تعبر عن فكر وعقيدة واضعي هذه السياسة، كما تعبر عن مصالحهم»(١٢)، ومن ثم عمد الاستعمار، بعد إخضاع الأمة عسكريًا، إلى تنفيذ خطة السيطرة على التعليم، وتخليص النظام التعليمي من كل ما هو أصيل، يعبر عن ثقافة الأمة وجذورها. وقد ظهرت نتائج هذه السياسة التعليمية واضحة في الأجيال التي نشأت في ظل هذه السياسة ، وكذلك في الأجيال التي تلتها، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذا الأثر لا يزال ممتدًا، وبخاصة أن التدفق الإعلامي القادم من الغرب يدعم وجود الثقافة الغربية في عالمنا العربي والإسلامي.

فالأجيال الناشئة في ظل المستعمر تعرضت لغزو ثقافي مدمر، تعضده سيطرة عسكرية محكمة، مما كان له الأثر في أن تنشأ تلك الأجيال مبهورة بالاستعمار وثقافته، ومصدقة افتراءاته المتمثلة في كتب المستشرقين التي اعتمدت - على الرغم مما

النموذج الياباني في التعليم فرض الاحترام والإعجاب بقدرته على التطور والابتكار

فيها من دعاوى ومزاعم - كمراجع أساسية للتاريخ الإسلامي، ولأن تيار التغريب كان قويا فقد جرف الأصوات الناقدة التي علت محذرة من خطورته. وجاء كثير من الأجيال المستلبة فكريا - بعد الاستقلال - لوضع سياسات التعليم في بعض البلدان الإسلامية على النهج ذاته الذي تلقوا على أساسه تعليمهم وثقافتهم في ظل سيطرة المستعمر، وكان هؤلاء وسائل لاستمرار النفوذ الاستعماري.

فرض منطق القوي

إن توظيف التعليم لتمكين الاستعمار من فرض سيطرته ونفوذه، لم يكن قاصراً على البلدان العربية والإسلامية، وإنما هو سياسة أصيلة للاستعمار - أيا كانت جنسيته، وأينما حلّ، وفي أي زمان كان -. فعندما أعلنت اليابان استسلامها في الحرب العالمية الثانية على إثر إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي في عام ١٩٤٥م، دخلت قوات الحلفاء المنتصرة إلى الأراضي اليابانية بقيادة الجنرال الأمريكي ماك أرثر، «وأصدر ما بين سبتمبر وديسمبر (أيلول وكانون الأول) ١٩٤٥م عدداً من الأوامر الخاصة بالتعليم تنص على إبعاد المعلمين ذوي النزعة العسكرية والحماسة الوطنية، وإلغاء مقررات التربية الأخلاقية، والجغرافيا، والتاريخ التي ساعدت على المبالغة في المشاعر الوطنية لدى التلاميذ اليابانيين، واستدعى ماك أرثر بعثة تربوية أمريكية لمراجعة أوضاع التربية والتعليم في اليابان، وبعد دراسة متأنية، أصدرت اللجنة توصياتها التي تضمنت إلغاء مادة التربية الأخلاقية، وتقليص سلطات وزارة التعليم، وتحطيم سيطرتها المركزية على أمور التعليم في اليابان، وإلغاء التفتيش على المدارس. وقد فرض تطبيق هذه التعليمات بحذافيرها طيلة فترة السيطرة على اليابان حتى عام١٩٥٢م»(١٣)

لعل هذه التجربة تمثل أحد النماذج الصارخة في فرض منطق القويّ المنتصر، وتحويل التوجه الأصيل لشعب ما قسرًا عن طريق طرح قيم ثقافية وتربوية بديلة ، يتم إيصالها إلى الأجيال عن طريق التعليم.

وقد أذعن اليابانيون لهذه التعديلات رغم إرادتهم، حيث لم يكن لهم القدرة علي المجابهة.

فالمهزوم في كل زمان ومكان يخضع لإرادة المنتصر، وها هو ذا الكاتب الفرنسي أدمون دي مولان في كتابه «سر تقدم الإنجليز الساكسون»، يبين ما يعرف بـ «منطق المهزوم»، إذ يجيب عن سؤال: هل النظام المدرسي الألماني صالح لتكوين الرجال بقوله: «لقد هَزَمَنا الألمان في حرب السبعين التي استولى فيها الألمان على الألزاس واللورين، ومعنى ذلك أن مدارسهم أرقى من مدارسنا، وبمقتضى هذه الهزيمة، أصبح مبدؤنا هو تقليد الألمان، وكما استعرنا نظمهم العسكرية، استعرنا - أيضا - نماذجهم المدرسية»(١٤). التجربة اليابانية مع السياسة التعليمية التي فرضها الحلفاء - على ما فيها من مظاهر الخضوع والإذعان للأمر الواقع - كشفت عن جانب مهم في الشخصية اليابانية، ألا وهو اعتزازها بلغتها، بحسبانها امتداداً للأصالة وتراثها الحضاري. فلقد أطاع اليابانيون البعثة الأمريكية «التي ضمت ٢٧ أستاذًا من مشاهير التربويين الأمريكيين، وبدؤوا في تنفيذ مقترحاتهم الخاصة بإصلاح التعليم الياباني»(١٥)، وتغيير المنهج الذي غذّى فكرة توسيع النفوذ الياباني، وأجج الحرب العالمية. نزل اليابانيون عند جميع الشروط إلا المساس باللغة. ووصفوا أهداف البعثة في هذا الشأن بأنها محاولة للعبث بوعاء الثقافة اليابانية، وتهديد لجذور الأمة.

النموذج الياباني في التعليم سواء بعد الحرب أو في مرحلة التأسيس يمدّ الدارسين والمعنيين بشؤون التعليم بفيض من الأفكار والمعاني التي لا يستطيع المتابع إلا أن يعرب عن احترامه لها، وإعجابه بالقدرة على التطور والابتكار. فاليابان هذه الدولة التي شغلت العالم، كانت قبل ١٥٠ عاما فقط في عداد الدول المتخلفة، وبدأت تجربتها في التحديث، باستقراء تجارب الآخرين، والاستفادة منها، وكان الامبراطور ميجي أول من بدأ السير في هذا الطريق حيث قال

في خطاب العرش: «إن المعرفة سوف يُبْحَث عنها، ويُقتفَى أثرها في كل ركن من أركان العالم»(١٦) وبدأ اليابانيون من حيث انتهى إليه الآخرون، فخرجت الوفود والبعثات تجوب الدول للوقوف على خبرات الشعوب، ونظمها التعليمية، فاطلعوا على تجارب ألمانيا وإنجلترا وأمريكا، وأسرار تقدمها التقني، بل إنهم حين علموا أن محمد علي باشا يخوض تجربة في مصر، جاؤوا إلى مصر للوقوف على أسرار النهضة التي قيل إن محمد علي باشا يقوم بإرسائها، كما أنهم استقدموا آلاف الخبراء لتعليم أبنائهم.

أظهرت هذه التجربةُ الغنيةُ القدرة التي يتمتع بها اليابانيون في التكيف مع المواقف، وخاصة مع الأفكار الجديدة، ففي السبعينيات من القرن الماضي «احتضن اليابانيون الأفكار التربوية الغربية، وطبقوها بوفرة، وبعد ذلك بفترة ظهر رد فعل محافظ، عاد بهذه التطبيقات إلى وضع وسط، مما جعلها أكثر ملاءمة، وانسجامًا مع الاتجاهات والقيم اليابانية، وبعد الحرب العالمية الثانية - كما سبق ذكره - كان التأثير الأمريكي في اليابان قويًا بطبيعة الحال، ولكنه قوبل برد فعل محافظ من اليابانيين فيما عرف «بالاتجاه المضاد»، وموضوع اللغة أحد مكونات هذا الاتجاه، نتجت عنه مخرجات ونتائج تشبه تلك التي حدثت في الفترة السابقة» (١٧).

ولا يزال النموذج الياباني - رغم الأبواب المفتوحة - يعد لغزًا محيرًا للكثيرين، وتنطوي تجربته على أسرار، ويرى معظم الباحثين أن «السر وراء تقدم اليابان، إنما يكمن في نظامها التعليمي» (١٨).

مِن الباحثين مَنْ يذهب إلى أن اليابانيين قد استفادوا كثيرًا من تجربة التدخل الاستعماري في تخطيط النظام التعليمي، وبروز «الاتجاه المضاد» المتمثل في رفض تمرير مخطط «إصلاح اللغة اليابانية» يُعد من أهم ملامح هذه الاستفادة، إذ قطع الطريق على تحول جذري كان يُراد بالشعب الياباني، وهو المخطط الذي طبقه الاستعمار في بعض أنحاء العالم العربي، حيث شن حربًا شعواء على اللغة العربية، وذلك لإدراكه «حقيقة ارتباط اللغة العربية بالإسلام وبالقرآن الكريم، فقد أخذوا يوجهون جهودهم مستخدمين كل الوسائل لصد الشعوب الإسلامية والعربية عن

العبث بلغة أمة ما يستهدف ثقافتها والنأي بها عن طريق التقدم والرقي

الاهتمام باللغة العربية الفصحى، وعملوا على تغذية اللهجات الإقليمية المحلية، وتشجيع الكتابة بها في العلوم والفنون والآداب والمعاملات، والدعوة إلى هجر الكتابة العربية، ومحاولة وضع الحروف اللاتينية موضعها»(١٩).

الاستعمار ومحاربة العربية

وقد زعم الاستعمار أن اللغة العربية غير مؤهلة لاستيعاب الاكتشافات العلمية، ومصطلحاتها الحديثة، وَصَوَّرَها على أنها لغة معقدة صرفًا ونحوًا وبلاغة ونصوصًا وأدبا. وظهرت دعوات للتأليف بالعامية، إمعانًا في إلصاق تهمة الجمود بلغة القرآن الكريم، ورميها بفقدان القدرة على مواكبة العصر ومستجداته. ففي مصر على سبيل المثال، قَدِم المهندس البريطاني وليم ويلكوكس من الهند سنة ١٨٨٢م، «ودعا إلى نشر العامية والتأليف بها وترجم بعض فصول من مسرحيات شكسبير، وترجم من الإنجيل إلى العامية وألقى خطابًا مشهورًا في الأزبكية، تساءل فيه: لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين حتى الآن؟ ثم أجاب عن تساؤله بقوله: إن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عند المصريين استبقاءهم اللغة العربية الفصحى، وقد أشار إلى أهمية إغفالها واستبدال اللغة الإنجليزية بها(٢٠).

وعلى الرغم من الرفض الذي لاقاه هذا الاتجاه، إلا أن المستعمر نجح في فرض لغته، وبخاصة في المدارس التي قام بإنشائها، وقصر تعليم اللغة العربية على المدارس المهتمة بتدريس علوم الدين، مما ربط بين العلم الحديث واللغة الأجنبية، وأوجد تصورًا عامًا بأن اللغة العربية ليست لغة علم. ولا تزال قضية تعريب العلوم محور نقاش ممتد بامتداد الوطن العربي والعالم الإسلامي.

وبطبيعة الحال لم تكن دعاوى الاستعمار حول اللغة العربية صحيحة، ولكنه أدرك مالها من تأثير في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، فالحاكم الفرنسي في الجزائر يقر بذلك الارتباط حين قال: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»(٢١).

عقل الإنسان هو المصدر المتجدد واللانهائي للثورة العلمية والتكنولوجية لقدرته على الابتكار

توضح تجارب الأمم أن العبث باللغة، وضربها في مقتل، يستهدف في الأساس ثقافة الأمة وأصالتها، والنأي بها عن طريق التقدم والرقي الحضاري، فاستقراء تلك التجارب، ونتائج ظاهرة الدورات الحضارية تكشف «أن حضارات وثقافات كثيرة زالت من الوجود، أو تضاءل حضورها، لا لأنها كانت على خطأ وغيرها على صواب، ولا لأن مرجعيتها القيمية تشكو نقصًا، وإنما ببساطة، لأنها عجزت عن التطور، أي عجزت عن الإبداع ، وعجزت عن التكيف مع المطالب الجديدة، وعجزت عن بلوغ الأهداف والوسائل التي تتناسب وتطور الزمن»(٢٢).

أمة في خطر

هذا التفسير المنطقي والواقعي لضعف وتدني وانهيار الحضارات، كان منطلق التقرير الأمريكي الشهير «أمة معرضة للخطر»، الذى صدر عام ١٩٨١م، وحدد بوضوح مواطن الضعف في نظام التعليم الأمريكي، «وجوهر التقرير هو أن هدف الامتياز والتفوق لم يعد محرك التعليم في الولايات المتحدة ، وأن هنالك اتجاها متزايداً نحو التحصيل الأقل جودة ، وقبول مستويات متدنية من أداء الطلاب وإجازتها، وأن هذا الأمر يهدد الشعب الأمريكي بفقد مكانته عالميًا، وتفوقه علميا وصناعيًا، وضياع أسواقه اقتصاديًا، وفوق ذلك كله وهن ثقافته وقيمه وبنائه الاجتماعي»(٢٣). واعتمد التقرير في بناء طرحه النقدي على «أن هنالك علاقة تفاعل تأثيرًا وتأثرًا بين التطورات العالمية والتعليم، إذ يشهد العالم المزيد من الترابط والتداخل والتشابك، بفعل عدد من التطورات العلمية والتقنية (التكنولوجية)، وهو ما يخلق بعداً عالميا للمسائل الداخلية والإقليمية»(٢٤) وقد لامس التقرير هذا الجانب بقدر كبير من الوضوح، وأورد تحليلاً يشير إلى أنه «حتى الآن فاق كل جيل من الأمريكيين آباءه في التعليم والإنجاز الاقتصادي، وأنه لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة تصبح المهارات التعليمية لجيل من الأجيال لا تفوق بل لا تتساوى ولا تقترب من مهارات آبائهم(٢٥). وقد استخلصت اللجنة الوطنية الأمريكية التي أنيطت بها مسؤولية تقصّي الحقائق قائمة عريضة تعكس نواحي الخلل في التعليم، وحددت جوانب القصور في أربعة مجالات هي محتوى التعليم، وتوقعات أداء الطلاب، والوقت المتاح للتعليم ، والتدريس .

وكان هذا التقرير هو الأساس الذي بُنيت عليه وثيقة «استراتيجية أمريكا عام ٢٠٠٠» التي حذرت من «أن المخاطر التي تكتنف مسيرة التعليم نتيجة تدني المستوى، لا تقتصر على التنافس حول المكانة العالمية للأسواق ، بل تتعداها إلى الأفكار التي تقود المختبرات والمصانع، وإلى توزيع القدرات الكفؤة المدربة على اتساع رقعة العالم - المعرفة، التعليم، المعلومات ، الذكاء»(٢٦)، ولذلك قال الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش لدى اعتماده هذه الوثيقة : «إذا أردنا أن تظل أمريكا قيادة عالمية، فلابد أن تقود الطريق في التجديد التربوي، فلنفكر في كل مشكلة من مشاكلنا، وفي كل تحدٍ يواجهنا، فسوف نجد أن الحل لكل منها يبدأ بالتعليم»(٢٧). هذه الروح الناقدة، والرؤية البعيدة المدى، المتسمتان بالصدق والموضوعية ، تعكسان الجدية في التقويم والإصلاح، مما انعكس على تصورات الحلول التي جاءت عملية ومحددة، ووضعت فترة زمنية معلومة، لدخول الاستراتيجية إلى حيز التنفيذ ، قدرها عشرون عاما فقط.

هذه الثورة التعليمية التي انتظمت الولايات المتحدة الأمريكية، ويتم تنفيذها بدقة على أرض الواقع، منطلقها - إلى جانب ذلك التقرير الذي أفزع المجتمع الأمريكي - هو المبدأ التربوي القائل إن «نظام التعليم ليس بالنظام المستقر (الجامد)، فهو من جهة مؤسسةٌ الإنسانُ مادتها، وهو الذي يسيرها وينتفع بها في آن واحد، وبذلك فهو يتطور ويتغير مع التطلعات الفردية والجماعية والتنظيم الاجتماعي، والأهداف والمثل العليا»(٢٨). وهذا المبدأ التربوي يؤكد

حقيقة أن الإنسان هو الوسيلة التي تضمن للأمم البقاء داخل دائرة التاريخ، وليس على الهوامش التي لا تمتد إليها أضواء الحضارة وإشعاعاتها. ودخول الأمة في سياق حركة التاريخ - ناهيك عن مسوغات البقاء والاستمرار داخلها - يستلزم الوفاء بالعديد من المتطلبات في حقل التعليم، والإعداد المسبق لأهم عناصر التاريخ ألا وهو «الإنسان»، وفي ذلك يرى الدكتور علي الدين هلال « أن الثورة العلمية والتكنولوجية تتسم باعتمادها على مصدر متجدد ولا نهائي قوامه عقل الإنسان، وهو مايعرف بـ « ثورة المعلومات»، وموقع التعليم منها، إذ ينبغي أن يركز على قدرات حل المشاكل وتعرف الحلول المناسبة، والقدرة على ابتكار الحلول والأساليب الجديدة».(٢٩)، وإذا كنا قد تناولنا في هذا المنحى، بشيء من التركيز، التجربة الأمريكية في تقويم العملية التعليمية والتخطيط للمستقبل، فذلك لا يعني أن يُتخذ المثال الأمريكي نموذجًا، إذ إن لكل تجربة ظروفها الموضوعية، ولكل أمة منطلقاتها القيمية. ولكننا، بإيراد هذه التجربة، نرمي إلى التأكيد على أهمية التقويم، وضرورة المراجعة. يقول الدكتور علي بن محمد التويجري مدير مكتب التربية لدول الخليج : «إن مسيرات التعليم بحاجة دائمة إلى المراجعة والتأمل لمطابقة المسار مع الهدف الذي تسعى إليه، ولايعني ذلك أن تكون النتيجة تغيرًا دائمًا، ولكن إعادة النظر قد تخلص إلى ضرورة تصحيح المسار، أو إلى مزيد من الثقة في استمرار مسار سديد»(٣٠).

والمسار تحديدًا هو السياسة التعليمية، والتوجه العام الذي يتم وفقه تطويع وتوظيف النظام التعليمي، ويحتاج تقويمه، وإجراء المراجعة الدورية عليه إلى منهج يتم به الحكم عليه - أي المسار -، وما يشتمل عليه من خطوط نظرية، ومبادئ وآمال، وطموحات، وتطلعات. والمراجعة لكي تكون عملية وواقعية ومنصفة، ينبغي أن تتخذ طابع التشريح المعملي في تناول الأدوات التي حددتها السياسة التعليمية لبلوغ الأهداف.

عناصر التصور المثالي

ومن واقع التجربة والممارسة والدراسات التربوية أمكن تحديد أربعة عناصر رئيسة

لا سبيل إلى تجاوز التحدي إلا بالاعتراف بالقصور والتزام أسلوب المواجهة

تؤسس هياكل الأدوات التنفيذية لتعليم يشبع الطموحات، ويستجيب لمطالب المستقبل. والتعليم وفق هذا الطرح «يتوقف على ما تبديه المجتمعات من التزام وتصميم على أن تصبح «المجتمعات» أماكن يمكن أن يزدهر فيها التعليم، كما يتوقف على مدرسين ملتزمين، قد خلصوا من الأحمال غير التعليمية، وعلى آباء وأمهات قد صمموا على دعم الامتياز والتفوق، وعلى طلبة متميزين متحمسين لمدارسهم وللتعليم»(٣١). هذه العناصر الأربعة تمثل التصور المثالي لتفعيل العملية التعليمية، وتحقيق التكامل بين السياسة التعليمية وضوابطها، وأدواتها التنفيذية، وهنالك اتجاه يجعل أحد هذه العناصر والأدوات، المحور الذي تسري منه الروح الباعثة على الحركة إلى بقية العناصر.

في كثير من الدول يتم تصميم النظام التعليمي، بحيث يحتل المعلم الموقع الأهم بحسبان أنه نتاج العملية التعليمية، والعنصر الأكثر قدرة على التجاوب، وهضم المنهج التعليمي، وتوصيل الخلاصة للطلاب. وفي ذلك يقول د. محمد الأحمد الرشيد «مهما تسارع تطور الوسائل التعليمية، ومهما تقدمت تكنولوجيا التربية، فلن يتم التعليم إلا بمعلم، وسيظل للمعلم دور الرأس، وإن ما نُثري به المعلم سوف يرتد ثراء مضاعفًا في أبنائنا»(٣٢)، وتأسيسا على هذا المبدأ ذهب بعض التربويين، في تفسيرهم لتفوق النظام التعليمي في اليابان، إلى أن «من أهم أسرار قوة هذا النظام المعلم.. المعلم.. المعلم .. وهم يقولون إن اليابان جعلت للمعلم مهابة الضابط واحترام القاضي وراتب الوزير»(٣٣). ومهما تكن فلسفة النظام التعليمي في تحديد أهمية أدواته التنفيذية، فإن المراجعة يجب أن تكون شاملة لجميع العناصر والأدوات حتى يكون التقويم متكاملاً وموضوعيًا.

ولكن واقع التعليم في العالم العربي يشير إلى غير ذلك، حيث «لايزال يغلب على التعليم في الوطن العربي الاتجاه الجزئي في الإصلاح والحرص على تعديل الشكل دون سبر غوره، وتغيير مضمونه وجوهره، في الوقت الذي نرى فيه أن تعليمنا مطالَبٌ أكثر من أيّ وقت مضى بنظرة شمولية موسعة، وتعديل بنيته التربوية بكل

تجربة السلف الصالح جاءت إسلامية خالصة لأنهم أخضعوا تجارب الأمم الأخرى لمقتضيات القيم الإسلامية

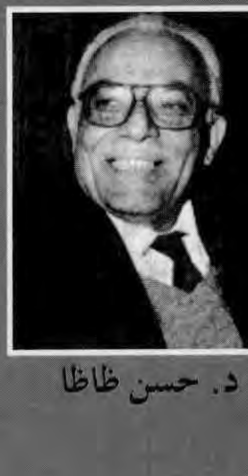
مدخلاتها ومخرجاتها دون الوقوف عند حد الإصلاح الجزئي الهامشي. وسبيل ذلك الالتقاء على رؤى تربوية جديدة تنبثق من شريعتنا الإسلامية، وتكون على مستوى التحديات»(٣٤). ويؤكد د. عبد الله عبد الدائم على هذا الاتجاه الشمولي في المراجعة والتقويم في تحليله لمشكلات التربية والتعليم في البلاد العربية، ويرى أن العالم العربي «ما يزال في أوج انطلاقته بعد سنوات طويلة من التخلف التربوي، الأمر الذي يجعل الجهود التي تبذل للتوسع في التعليم، مهما عظمت، عاجزة عن امتصاص نتائج التقصير والإهمال الطويلين، اللذين أصابا التعليم في السنوات الماضية. وهناك مجال واحد للخيار، هو البحث عن صيغ تربوية جديدة، وأساليب جديدة، وتقنيات جديدة»(٣٥) وذلك هو التحدي الكبير الذي تواجهه الأمة الآن. والسبيل إلى تجاوز هذا التحدي، والتغلب عليه، هو الاعتراف بالقصور أولاً، والتزام أسلوب المواجهة، بدلا من الهروب.

إن التوازن في الرؤى يمثل ضرورة للنهوض التعليمي في العالم العربي والإسلامي، إذ علينا أن نعمق في أجيالنا المقبلة الإحساس بعظمة تراثهم الإسلامي، من خلال تقديم هذا التراث الزاخر لهم بأسلوب يتلاءم وطرق تفكيرهم، المستوحاة من ظروف العصر ومقتضياته. كما أن علينا أن نجعلهم على تماس دائم مع هذا العصر، وما ينتجه في مجالات العلم والفكر والثقافة، مستفيدين من الأمم التي تفوقنا تقدمًا، ناظرين إلى تجاربهم بعين فاحصة، تفرق بين الغث والسمين، مستصحبين في ذلك قيمنا وأصالتنا، تمامًا كما فعل السلف الصالح حين شادوا الحضارة الإسلامية، ووطدوا دعائمها، حيث قاموا بفحص وتمحيص تجارب الأمم الأخرى، وإخضاعها لمقتضيات قيمهم الإسلامية، ورؤاها، لتأتي تجربتهم في النهاية إسلامية خالصة، رغم ما فيها من دروس، ونتاج فكري وعلمي مكتسب من تجارب الآخرين، ومن ثم «فإن أي تأسيس منهجي لثقافة عربية «قاعدة التعليم»، تستجيب للتحديات التي تطرحها التحولات الراهنة، ملزمة أن تأخذ بوضوح مطلبين اثنين، الهوية من جهة ، والمعاصرة من جهة أخرى، أي حقوق الهوية وموجبات المعاصرة» (٣٦). من كل ما سبق، تتضح جليا أهمية النظام التعليمي في رسم مستقبل الأمة وخطاها، وهذا ما يجعلنا نتفق مع الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في أن العقول الدراسية تملك الإجابة عن ماهية القرن القادم. فالقاعدة التعليمية في كل عصر هي العامل الأهم في تحديد موقع الأمة بين الأمم الأخرى، ومدى تفاعلها مع العصر الذي تعيشه. ولاشك أن الفارق كبير بين أن نستفيد من معطيات العصر ومتغيراته، وبين أن نقع تحت تأثيرها، أونتضرر منها.

المراجع والهوامش

١- آليات التخطيط الشامل للإصلاح التعليمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤١٢هـ .
٢ - التربية أمام الانفجار الثقافي والسكاني، علي بركات (مجلة العربي) الكويتية، العدد (١٧٦)، يوليو ١٩٧٣م.
٣، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ - دراسات في أصول التربية . د. محمود قمبر، د. حسين البيلاوي، د.محمد الصاوي. دار الثقافة الدوحة ١٩٨٨م.
٨ - بين أزمة الثقافة ومشاكل التعليم في الخليج العربي والوطن العربي (محاضرة)، د.علي محمد فخرو ، مجلة الأمة القطرية، العدد (٣٧)، أكتوبر ١٩٨٣م.
٩ - دراسات فى أصول التربية . مرجع سابق .
١٠ - أفكار تربوية، د. إبراهيم عباس نتو ، تهامة ١٩٨١م.
١١ - المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي . نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود، دار أمية ، الرياض ١٤١٤هـ .
١٢ - غزو في الصميم، عبد الرحمن حسن حبنكة ، دار القلم ، بيروت ١٩٨٢م .
١٣ - فى محيط التربية، د. علي بن عبد الرحمن التويجري، الجزيرة العدد (٧٨٠٢). تاريخ ٧ فبراير ١٩٩٤م .
١٤ - من قضايا التعليم، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨٦م .
١٥ - في محيط التربية، مرجع سابق.
١٦ - التربية فى اليابان المعاصرة، د. إدوارد شامب، مجلة (الفيصل) العدد رقم (١٠٠).
١٧ - دراسات فى أصول التربية ، مرجع سابق .
١٨ - من قضايا التعليم ، مرجع سابق.
١٩ - أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني. وراجع المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية..
٢٠ - المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية، مرجع سابق.
٢١ - قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم.
٢٢ - الثقافة العربية والتحولات العالمية الراهنة. د. محمد شيا، مجلة شؤون عربية العدد (٧٥) سبتمبر ١٩٩٣م.
٢٣ - درس للعالم الإسلامى، أمة معرضة للخطر ، حول حتمية إصلاح التعليم، ترجمة د.يوسف عبد المعطي . دار الصحوة القاهرة ١٩٨٦م.
٢٤ - الرؤى المستقبلية للتعليم في الوطن العربي (ندوة)، مجلة المستقبل العربي، العدد (١٠٨) فبراير ١٩٨٨م .
٢٥ - أمة معرضة للخطر، مصدر سابق .
٢٦ - ٢٧ - آليات التخطيط الشامل للإصلاح التعليمى، مصدر سابق .
٢٨ - التشخيص، عملية التخطيط التربوي، الوحدة الثالثة ، قسم السياسة التربوية (اليونسكو)، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٩٢م .
٢٩ - الرؤى المستقبلية للتعليم في الوطن العربي (ندوة) ، مصدر سابق.
٣٠ - الإصلاح التربوي في الولايات المتحدة. إعداد مجموعة الدراسة اليابانية. ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨٨م.
٣١ - آليات التخطيط الشامل للإصلاح التعليمي، مصدر سابق.
٣٢ - ٣٣ من قضايا التعليم ، مصدر سابق .
٣٤ - الملامح الرئيسية للبنيان التربوي في الوطن العربي، د. لطفي بركات. مجلة الفيصل العدد (١١٣) أغسطس /آب ١٩٨٦م .
٣٥ - مشكلات التربية في البلاد العربية، مجلة التربية الحديثة، العدد الثالث، فبراير/ شباط ١٩٧٣م.
٣٦ - الثقافة العربية والتحولات العالمية الراهنة، مرجع سابق.

اليهود في أسبانيا الإسلامية



د. حسن ظاظا

لم يكن سعي اليهود إلى (استعمار) فلسطين منبثقا عن رغبة ملحّة في (العودة إلى الوطن التاريخي) كما زعمت الصهيونية، وكما ملأت الدنيا بما نشرت من دعايات وشعارات. بل كانت وراء ذلك أسباب خفية، في مقدمتها أزمات من معاداة اليهود واضطهادهم في الغرب، فيما اختصره اليهود في (اللاسامية). فالإنسان اليهودي في العالم المسيحي كان يحمل لعنة قتل المسيح، وهي عند النصارى جريمة أبديّة لايمحوها الزمن، ونداء إلى ثأر لاتخمد ناره، ولاتبرد عبر الأجيال، حتى انعقد المجمع المسيحي المسكوني (أي الشامل لكل الدنيا المسكونة) في الفاتيكان - عاصمة البابوية الكاثوليكية في روما - واستمر من عام ١٩٦٢ إلى ١٩٦٥م تحت رعاية البابا يوحنا الثالث والعشرين والبابا بولس السادس، واشتهر في التاريخ النصراني باسم (الفاتيكان الثاني)، لأن (الفاتيكان الأول) كان من ١٨٦٩ إلى ١٨٧٠م، في عهد البابا بيوس التاسع، وفي هذا المجمع المسكوني الأول تقررت عصمة البابوات - كالأنبياء والرسل - مما أحدث انشقاقا في صفوف الكاثوليك. أما مجمع الفاتيكان الثاني فقد تقررت فيه تبرئة اليهود من قتل المسيح، بناء على اقتراح قدمه «الكردينال بيا». ولم يُحدث هذا القرار انشقاقا، بل أحدث سخرية، لأنه جاء بعد العدوان الثلاثي على العرب ١٩٥٦م في حرب ضارية شنتها إسرائيل واشتركت فيها فرنسا - نكاية في الجزائر التي كانت تحارب من أجل استقلالها - وبريطانيا الخائفة على نفوذها في إفريقيا وآسيا، من أن يسري إليها لهيب النضال من أجل التحرر في منطقة الشرق الأوسط. ثم رغبة الثلاثة المعتدين في القضاء على مايثيره لهم عبدالناصر من إزعاج، بالإضافة إلى حرص الأمريكان - في أوج الحرب الباردة بينهم وبين الشيوعية - في الإبقاء على الدولة الصهيونية الحليفة لها درعاً وسط تلك المعمعة. وساعد على إقرار اقتراح الكردينال بيا رواسب ثقيلة من جرائم الدكتاتورية الهتلرية ضد اليهود تحت شعار اللاسامية. ففهم أبسط الغربيين أن تبرئة اليهود جاءت ترضية لهم، وتضامنا مع الدول العظمى فيما تعلنه من اتجاه نحو السلام والديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير... الخ.

كانت الصهيونية منذ القرن التاسع عشر هي الحل اليهودي الأمثل في مواجهة اللاسامية، بعد أن عاشوا في ظلها قرونا طويلة في أوربا مكروهين محتقرين، يعيشون في أحياء خاصة بهم هي «الجيتو» محرومين من صفة المواطن، ومن حماية الدولة، ومن حق امتلاك الأراضي أو العقارات، ومن التعليم العام، وحتى من اختراق البلدان المسيحية راكبين، فكان لزاما عليهم أن ينزلوا عن ركائبهم، وأن يسيروا على أقدامهم، عن يسار الشارع، وأن يعلقوا على ثيابهم مايدل على أنهم يهود، فأصبح «الجيتو» هو وطنهم الوحيد، يخالطون فيه الأشرار من نفايات المجتمع المسيحي بما يتبعها من فوضى وإباحية، بالإضافة إلى إباحة تعدد الزوجات في الشريعة اليهودية بدون تحديد للعدد، مما كان يمثل مظهرا صارخا من الفوضى الأخلاقية في نظر المسيحي الملتزم الذي يحرم عليه دينه أن يتجاوز الزوجة الواحدة، كما يحرم عليه الطلاق.

وكان اليهود يكتسبون رزقهم من الربا، أو يلجأون إلى بعض الموانيء كالبندقية مثلا، فيعملون في السفن أو في تجارة البحر، أو يجدون حماية ورعاية عند بعض الحكّام والبارونات إذا صاروا لهم أتباعا، ورُسُلاً إلى عشيقاتهم، أو مورّدين لتلك العشيقات، أو مستشارين عند تدبير المؤامرات أو الاغتيالات، أو أطباء وكيماويين ومهندسين وبنائين ومنجمين. لكن الغالب عليهم كان البؤس والشقاء والازدراء. وفي مذكرات تيودور هرتسل، مؤسس الصهيونية العالمية، وَصْفُ كثير من مواقف الإهانة لليهود، عند تحصيل الضرائب منهم، وعند الحجز على منقولات مساكنهم، بحيث كان الضرب بالسياط أخف الوسائل للتفاهم معهم عند أتفه خلاف، في روسيا، وبولندا، ورومانيا، وبلغاريا.. وغيرها.

وسارت الأمور في إمبراطورية النمسا والمجر وتشيكوسلوفاكيا على نحو أقل اضطهاداً ونكاية لليهود، لأن شعوب هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف في قلب أوربا لم يكونوا منحدرين من أصل واحد، ولايدينون بدين واحد، وليس لهم لسان واحد، فوجد يهود تلك الإمبراطورية متسعا يتحركون فيه ويفكرون، ويتعلمون أيضا حتى أعلى المستويات الجامعية، ومنهم هرتسل، الذي كان أديبا وصحفيا - باللغة الألمانية - ودكتورا في القانون، وقبل هذا كله يهوديا إشكنازيا (أي من يهود العالم المسيحي) غافلاً عن ثقافته الدينية، لايتذكر منها إلا الأعياد التي أُثِر فيها

اليهود
في إسبانيا الإسلامية

عن الأسلاف قضاء الليل كله في شرب الخمر، وكان زعيم الصهيونية هذا سكيرا وخميرا وزير نساء. وكان صحفيا متجولا في بلاد كثيرة من أوربا، فرأى التنافس على الاستعمار بين جميع الدول الأوربية، خصوصا استعمار آسيا وإفريقيا. ورأى أبناء دينه من أولئك البؤساء المفاليك أتباع منظمات (أحبّاء صهيون) يصلون إلى فلسطين في حالة من الفقر يرثى لها، يشتغلون أُجراء في مزارع أسرة روتشيل الواسعة الثراء، أو في مؤسسات اللورد مونتفيوري البريطاني، أو في تعاونيات نحيلة هزيلة، هنا وهناك، تطبق الشيوعية الماركسية في حياتها. وكان هرتسل طموحاً وواسع الخيال. فلماذا لايقلّد يهودُه البريطانيين أو الفرنسيين أو الألمان أو الروس، فيأخذون لهم (مستعمرة) تصبح لهم وطنا، ويقيمون فيها حكومة يهودية مستقلة ذات

> **مقامة يهودية تتحسر على أن العربية ابنة الجارية هاجر فاقت العبرية ابنة الحرة سارة**

سيادة؟ وأكد هذا في نفسه أنه في ذلك الوقت كان يقيم في باريس ويعمل بالصحافة، وأن قضية ضابط فرنسي يهودي هو «ألفريد دريفوس» اتُهم بالخيانة، وحكم عليه بالإعدام، ثم خُفف الحكم إلى السجن مدى الحياة، قد عادت إلى التحرك أمام القضاء من جديد، بعد أن تولى الأديب الفرنسي الكبير «إميل زولا» إثارتها مرّة أخرى، وظفر بحكم بإعادة النظر فيها. وصاحَبَ هذا هياج شعبيّ من أنصار اليهود وأعدائهم أدى إلى الكثير من حوادث الشغب والعنف، وانطلقت المظاهرات في باريس تطالب بالعدالة والمساواة بين اليهود وغيرهم أمام القانون، ومظاهرات أخرى معادية لليهود تصيح: الموت لليهود! يسقط إميل زولا! وكانت هذه الصيحات تحت نافذة هرتسل. فقام مذعورا، ويئس من أي وفاق مع اليهود في أوربا، فهذه فرنسا، بعد مائة سنة من الثورة، وإعلان الدستور، وحقوق الإنسان ماتزال تطلب «الموت لليهود»! وبدا له أن حل هذه المشكلة أن ينشيء اليهود لهم وطنا تحت شعار تاريخيّ مثل: أرض الأسلاف، ومهبط الأنبياء، ومقر مملكة سليمان وداود.. أي فلسطين. وكان يتخيل أن هذا البلد لايسكنه أحد إلا أحبّاء صهيون بفقرهم وجوعهم، وشراذم قليلة من البدو تهيم بين الجبال بالغنم والماعز والإبل، وقبضة من الباشوات والموظفين الأتراك. وماعليه إلا أن يحمل الشعب اليهودي بالسفن من أنحاء الشتات كافة، إلى يافا وحيفا وأورشليم وصفد وطبرية وغزة، لتتم المعجزة التي عجز عنها الكثيرون من قبله، حتى الأنبياء، وبدأ فورا في كتابة تصوراته عن هذا الوطن السعيد في كتابه المشهور "دولة اليهود". وهنا بزغت أمامه ضرورة المال لنقل كل هذه الخراف الضالة من بني إسرائيل إلى أرض الأسلاف. ووجد أكثر أغنياء اليهود يشكون في جدوى هذه النفقات، فاعتذروا عنها، أو أعطوا القليل الذي لايفيد. لكنه بهذا القليل دعا إلى المؤتمر الصهيوني العالمي في مدينة «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م. ومن كتابه، ورئاسته للمؤتمر اتخذ صفة الزعيم العالمي لليهود، وقابل بهذه الصفة الإمبراطور الألماني «فلهلم الثاني» الذي مهّد له زيارة للسلطان عبدالحميد تمت دونَ أن يظفر بأي وعد من السلطان خاص بفلسطين.

في كل هذه الجولة التي عرضنا بها قضية فلسطين من الجانب اليهودي - وبسرعة - يتضح لنا أن الحركة الصهيونية كانت، منذ نشأتها وإلى الآن، إشكنازية خالصة، وأنها تقليد من الإشكناز لما رأوه من سادتهم الأوربيين في الغرب من التهافت على الاستعمار، ومارأوه من جانب الشعوب الأوربية الصغيرة من سعي حثيث نحو التحرر والاستقلال: بولندا، اليونان، إمارات الصرب والجبل الأسود والبوسنة والهرسك والكروات، رومانيا، بلغاريا.. وغيرها كثير. كان اليهودي الإشكنازي يشهد كل هذا، ويعيش فيه، فلماذا لايحقق ذاته القومية في وطن قومي، بأية حجة، ولأية تَعلّة؟ وكانت الظروف مواتية: فالسلطان العثمانيّ يسيطر على فلسطين، والدول الغربية تريد أن تنتزعها منه، وليكن ذلك بأيدي اليهود، تحت حماية الغرب، بعدائه التقليدي لسلاطين الإسلام منذ صلاح الدين والحروب الصليبية. وبدا لهرتسل وجماعته أن الأمور تسير على مايرام، وقد سارت فعلا كذلك بلا معوّقات كبيرة لمدة قرن من الزمان. إذ توالت المؤتمرات الصهيونية بنظام، وحصلت هذه الجماعة على (وعد بلفور) من بريطانيا عام ١٩١٧م، وقد تأكدت هزيمة تركيا العثمانية مع حليفها ألمانيا في نظر خبراء الحرب والسياسة في العالم. وأسرعت الصهيونية إلى إرسال فرقة من (المتطوعين اليهود) يسيرون مع الجيش البريطاني الزاحف على فلسطين بقيادة ألنبي، وكان على رأس هذه الفرقة الصهيوني الإشكنازي المتعصب «جابوتنسكي» أستاذ الكثير من زعماء إسرائيل الذين نعرفهم، وفي مقدمتهم «مناحم بيجن». كما كان يشرف على التحرك القتالي لهذه الفرقة اليهودي الإشكنازي الروسي «ترومبلدور» الذي سبق له العمل في الجيش الروسي وفقد إحدى ذراعيه في الحرب، فاشتهر بين عرب فلسطين المعاصرين له باسم «أبو دراع». ولأول مرة ارتفعت الراية الصهيونية على رؤوس مجندين يهود على أرض فلسطين.

كان لابد من هذه المقدمة حتى يتبين لنا أن الصهيونية لم تكن (سياسة عامة) لجميع اليهود، بل كانت دعوة إقليمية من اليهود الإشكناز فقط، لأنهم كانوا مضطهدين في أوربا المسيحية. أما يهود إسبانيا الإسلامية فلم يعرفوا هذا الاضطهاد إلا بعد أن طردت هذه البلاد يهودها - مع العرب - فآثروا البقاء في ظل الإسلام في شمال إفريقيا ومصر والسودان والحبشة واليمن وتركيا وإيران والعراق وبلاد الشام وفي الولايات الإسلامية من روسيا، وصارت لهم ثقافة خاصة ومزدهرة جدا منذ أعالي العصور الوسطى، لأنها نشأت وترعرعت في ظل الحرية الإسلامية الممنوحة لأهل الذمة من النصارى واليهود والصابئة. وهذه

الظاهرة تفسر لنا أن اليهود «السفَرْدْ» - وهي كلمة تعني إسبانيا وردت مرة واحدة في سفر النبي عوباديا من كتب العهد القديم - لم يشقوا إلا بعد أن هاجر عدد كبير منهم إلى فلسطين بإغراء دعاة الصهيونية الذين كانوا يبحثون عن مهاجرين يهود في كل مكان، وتحقق لهم ماأرادوا عندما اشتعل الصراع بين الكيان اليهودي والعرب. فهؤلاء اليهود «الإسلاميون» يعيشون في إسرائيل بصفة مواطنين من الدرجة الثانية، لهم معابدهم، ورئاساتهم الدينية، وكتبهم، والأحياء التي يعيشون فيها، والأعمال التي يرتزقون منها، ويأنف من أدائها سادتهم الإشكناز، وكثير منهم جاء بالقوة.

ومع ذلك فإن اللغة العبرية التي اختارتها الدولة الصهيونية هي لغة يهود الأندلس وفي هذا الصدد حدث جدال كبير بين زعماء الصهيونية حول اللغة الرسمية للدولة، وكان الاتجاه الغالب هو اعتماد لغة «اليديش» وهي اللهجة الألمانية اليهودية التي يتفاهم بها الإشكناز في جميع أنحاء العالم، ولكن الرومانسية الصهيونية عادت فقالت إن هذه الدولة تقوم على دعائم (تراثية)، وأفصح اليهود في استعمال لغة الأسلاف هم يهود الأندلس (السفَرَد) الذين أحيوها في ظل الإسلام، وضبطوا قواعدها على نهج اللغويين العرب في خدمة لغة القرآن الكريم. وفرق بين أن يسمع النصراني القادم من أوربا أو أمريكا لهجة ألمانية مكسرة متعثرة، وأن يسمع رنين أصوات الحكماء والأنبياء يتردد في شوارع القدس وأسواق تل أبيب.

وهكذا أقرّوا صاغرين بجعل عبرية «السفَرَد» اللغة الرسمية للدولة في كل نواحي الحياة، في التعليم والإعلام والعسكرية والمسرح والغناء، وأنشأوا لهم مجمعاً لغوياً يسهر على إنجاح المشروع.

وإذا كان «السفَرَد» هم يهود إسبانيا الإسلامية، فكيف وصلوا إلى هذه البلاد النائية؟ هنا يجد الباحث المدقق سيلاً من المسامرات الخرافية الأسطورية، أهمها، وأكثرها شيوعا بين اليهود السفَرَد، أن داود وسليمان كانا يرسلان سفراء إلى ملوك إسبانيا ومعهم نساؤهم وحاشيتهم من بني إسرائيل، فاليهود السفَرَد هم سلالة هذا «السلك الدبلوماسي» الذي بعثه أعظم وأقدس ملكين في تاريخ اليهود! وبطلان هذه الأسطورة لايحتاج إلى عناء فداود وسليمان كانا يحكمان في فلسطين حوالى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد. والتاريخ العلمي لإسبانيا هو:

١- عصر ماقبل التاريخ، حيث وجدت عشائر تسكن الكهوف وتتخذ أدوات من الحجر الصلب المصقول وذلك منذ ثلاثين ألف عام قبل المسيح، وهو العصر الحجري الحديث. وتلك العشائر تنتمي إلى قبائل (الكِلْت) النازحة من الهند، ولذلك شاعت تسميتهم: الجنس «الهندأوربي» أو الآري.

٢- استمر هذا الغموض إلى عام ١١٠٠ قبل الميلاد تقريبا، عندما وصل الفينيقيون القادمون من لبنان إلى سواحل فرنسا وإسبانيا والمغرب، فأنشأوا لهم موانيء أهمها «قديشة». وحذا اليونان حذوهم فأسسوا ميناء «أليكنْتس»، وأعقبهم القرطاجيون من تونس في القرن السابع قبل الميلاد فأنشأوا ميناء «إيبيزا». ومامضى قرن من الزمان حتى استعمروا الساحل الجنوبي لإسبانيا.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد أسس «أزْدروبَعَلْ» القرطاجني قاعدة له في إسبانيا، سمّاها أيضا «قرطاجة».

٣- ثم امتدت مطامع الاستعمار الروماني إلى إسبانيا، وظلوا بجيوشهم يغزون تلك البلاد طيلة القرن الثاني قبل الميلاد، وتمّ لهم الاستيلاء عليها عام ١٩ قبل الميلاد.

٤- بدأت المسيحية تنتشر وتتغلب على الوثنية منذ القرن الثالث الميلادي.

٥- اكتسحت قبائل من الجرمان الشماليين إسبانيا، وكان أكثرهم من «الوندال»، واستعمروها بعد غزو استمرت غاراته من ٣٩٥ إلى ٤٠٩م فسميت «الأندلس» اشتقاقا من اسم «الوندال».

٦- وغزتها قبائل شمالية أخرى هم «القوط» منذ عام ٤١٠م، وأقاموا فيها مملكة مزدهرة كان من أهم مدنها «طليطلة» و «إشبيلية».

٧- بين عاميّ ٧١١م - ٧١٤م اكتمل الفتح الإسلامي لإسبانيا، باستثناء المناطق الجبلية في الشمال.

٨- انسلاخ الأندلس عن الخلافة العباسية ببغداد عام ٧٥٦م، وقيام الخلافة الأموية بعاصمتها قرطبة، على يد عبدالرحمن الداخل. وبدأ معه العصر الذهبي للحضارة الأندلسية، وتأخر إعلان انفصال الأندلس عن الدولة العباسية حتى عام ٩٢٩م.

٩- تحرّك ملوك النصرانية وأمراؤها على إثر هزيمة المسلمين أمام الفرنسي شارل مارتل في معركة بواتييه في الجنوب الغربي من فرنسا عام ٧٣٢م أي قبل قيام الدولة الأموية في الأندلس بعشرين عاماً. وبدأت حركة الأمراء النصارى على إثر هذه الهزيمة، وصارت بعض هذه الإمارات ممالك تتربص بالمسلمين الدوائر، اشتهرت منها: لايون - قشتالة - نافار - قطالونيا - أراغون، كل هذا والمسلمون منغمسون في الترف، لايُعنون حتى بنشر الدين الإسلامي بين السكان الأصليين!.

١٠- قيام دولة ملوك الطوائف عام ١٠٠٢م بعد وفاة المنصور، آخر الخلفاء الأمويين.

١١- انتقال الملوك المسيحيين إلى الهجوم، واستيلاء ألفُونس (الأزفونش) على طليطلة عام ١٠٨٥م.

١٢- انتصر الافرنج على الموحدين الذين قامت دولتهم على أنقاض دولة ملوك الطوائف عام ١٢١٢م، ثم سقوط جزيرة ميورقة في أيديهم عام ١٢٢٩م كما سقطت إيبيزا في يد جاك ملك أراغون عام ١٢٣٥م، ثم جزيرة مينورقه في يد ألفونس الثالث.

١٣- انتهاء الحكم الإسلامي في إسبانيا أمام جيوش فرديناند ملك أراغون وزوجته إيزابيلا ملكة قشتالة. وتعاقب الأحداث التاريخية العظيمة في العالم بعد عودة الكاثوليكية إلى إسبانيا، وصدور قوانين طرد المسلمين واليهود من البلاد، وإنشاء محاكم الإرهاب الكهنوتي المسيحي المعروفة باسم «محاكم التفتيش»

وافق اليهود الإشكناز صاغرين على جعل عبرية (السفرد) اللغة الرسمية للدولة الصهيونية

اليهود
في إسبانيا الإسلامية

واكتشاف الدنيا الجديدة، ثم سقوط بيزنطة (القسطنطينية) في يد المسلمين بقيادة السلطان التركي محمد الثاني (الفاتح). وبعدها بقليل واجهت المسيحية الكاثوليكية أخطر مشكلة واجهتها وهي البروتستانتية.

ومعذرة في هذا الاستقراء الذي يتبين منه أن إسبانيا في عهد سليمان وداود لم يكن بها ملوك ولا دول، وأنها كانت ماتزال حضاريا في مرحلة ماقبل التاريخ، كما أن الوثائق اليهودية القديمة نفسها لاتذكر شيئا عن رحلات سفراء يهود إلى إسبانيا. والراجح أن يهود إسبانيا جاؤوا مع الفتح العربي فقط، ولعلّهم أتوا من القيروان حيث كانت تعيش جالية يهودية نشيطة سياسيا، لها مغامرات مع واحد من أولئك الحالمين، كان يريد أن ينشيء مملكة لليهود، واسمه «إلداد الداني» وملأ قلوب معاصريه حوالي عام ١٩٧٠م بأغرب الخرافات.

وأحلام اليهود بإقامة مملكة لهم يُصبح البشر جميعا عبيدا لها، تبدو في نفوسهم وكأنها مرض عضال مزمن، منذ قضى بختنصرّ على مابقي من مملكتهم في أورشليم، في القرن الخامس قبل الميلاد. فما جاء جيل من اليهود إلا تمنوا أن يكون جيل الملك. وفي لغتهم العامية إذا أرادوا أن يعبروا عن إعجابهم بشيء يرون أنه حاز كل الجمال والكمال صاحوا «هذا مَلِك!». كما كانوا يعتقدون أن قيام ملك في اليهود هو بشرى بارتفاع الغضب الإلهي عنهم، واقتراب مجيء المسيح المنتظَر! ففي منتصف القرن الثامن الميلادي مثلا انتشرت أخبار مملكة اليهود الخَزَر بين حُجاج بيت المقدس من اليهود، لأنهم رأوا إخوانا لهم في الدين، واقفين بخشوع أمام حائط المبكى، مع أن سحنتهم وملابسهم وشمائلهم تختلف عما ألفوه. وعرفوا أنهم جاءوا من «مملكة الخَزَر» اليهودية الواقعة في الجنوب الروسي بين إقليم القوقاز ونهري الدُون والفولجا. ووصل أمر هذه الملكة إلى مسامع حَسْدَاي بن شَبْرُوط كبير وزراء عبدالرحمن الثالث الأموي في قرطبة، وكان من كبار أثرياء اليهود الأندلسيين وعلمائهم ومثقفيهم، فكتب رسالة طويلة بالعبرية إلى ملك الخزر للتعارف، ولعرض مايشاء من مساعدة لمملكته النائية، مع وصف رائع للأندلس، وللحضارة العربية فيها، وماتتسم به الدولة من عدل وتسامح. وعلم الوفد المرسل إلى الخزر أن الأسرة الحاكمة هناك لم تكن يهودية ولا منحدرة من أصل يهودي، ولكن مرّ بالبلاد، في عهد «الخاقان بولان» ملك الخزر، حاخام يهودي طيب، أعجب به الخاقان، وأعجب بدينه عندما شرحه له، فآمن به وتهوّد على يدي هذا الحاخام، ودخلت الرعية في دين ملكها لأنه كان يحرّم بيع أبناء الفقراء في أسواق العبيد حتى بالإكراه. وطبعا خابت آمال الحالمين بالفرج الرباني، لأن الدين قد تحقق في الواقع، ولكن العنصرية - وهي الأهم - ماتزال غائبة عن الساحة، فلاأحد من سلالة موسى أو هارون أو سليمان وداود!

فهذه الحادثة وماقبلها من حركة الْداد الداني في القيروان، ألهبت نفوس اليهود، وحيّرت عقولهم: هل الشريعة لاعلاقة لها بالعنصر؟ وتزاحم المفكرون والفلاسفة اليهود يخوضون في هذا الموضوع وأشباهه، بل أُوْحي إلى أعظم شعرائهم وكتابهم بالعبرية والعربية الأديب والطبيب والرحالة التاجر يهودا اللاوي (١٠٧٥ - ١١٤١م) بكتاب ألفه بالعربية، وتخيل فيه أن خاقان الخزر أعمل فكره في الكون فآمن بأن له خالقا حكيما، غير هذه الأصنام التي يعبدها. فأمر بإحضار شيخ مسلم وقسيس مسيحي وحاخام يهودي وفيلسوف يوناني للمناظرة، ومَن غلبت حجته، وأجاب عن كل أسئلة الخاقان بولان؛ اتبع دينه وجعله الدين الرسمي للمملكة. وبطبيعة الحال كان المؤلف قد خطط قبل أخذ القلم لإفحام الفلسفة والنصرانية والإسلام، وانتصار الحاخام، وجعل عنوان كتابه (الخزري، أو الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل) وطار ذكر هذا الكتاب في كل مواطن اليهود مترجما إلى العبرية بقلم اليهودي الأندلسي إبراهيم بن شاءول بن يبُّون، كما تُرجم إلى لغات أوربية كثيرة.

والمتتبع لأخبار اليهود في ظل الإسلام يلمس أنهم كانوا في أزهى عصور الحضارة العربية يعيشون مع المسلمين في ثراء وسعة، يعلّمون ويؤلفون في كل شيء، ويكتبون الشعر الموزون المقفى في الغزل والخمريات ووصف الطبيعة والمدح والهجاء والرثاء والشعر الديني والتأملات الفلسفية والأغنيات الخفيفة، بل وصل تقليدهم للعرب إلى أن كتبوا باللغة العبرية المقامات المسجوعة على طريقة بديع الزمان الهمذاني والحريري. واشتهر من اليهود الأندلسيين بالمقامات - إلى جانب الشعر - يهودا بن سليمان الحريزي (لايفترق عن الحريري إلا بالزاي المعجمة بدل الراء المهملة) وكان رحالة طول عمره إلى وفاته عام ١٢٣٠ تقريباً. ومجموعة مقاماته عنوانها بالعبرية «تحكَمُونِي» أي معلّم الدهاء. وفي مقدمتها يتحسر على أن العربية - وهي بنت الجارية هاجَر - فاقت العبرية بهاءً وجمالاً وهي بنت الحُرَّة سارة. مما دفعه إلى أن يفيق من نومه، ويعبيء كل تفكيره للدفاع عن هذه اللغة المقدسة العريقة مقتفيا أثر أديب عربي اسمه الحريري، إذا قورن به كل من اكتسى بالبلاغة عرف أنه مايزال عارياً!

وفي بحوث الفقه عكفوا على التلمود، فظهر فيهم من الفقهاء إسحق بن غياث وإسحق بن يعقوب الفاسي وناتان بن مَصْلَيحْ بن البزّاق الصقلي، وفي علم الأخلاق يكتب ابن فاقودة بالعربية والعبرية كتابه المشهور «واجبات القلوب» وعنوانه الكامل «الدليل إلى واجبات القلوب». وفي تفسير العهد القديم والمِشْنَا - التي يسمونها الشريعة الشفوية، تشبيها لها بالحديث - لاتكاد الدراسات والتفاسير يحيط بها الحصر نذكر منهم العلماء: آبرَبَانيل - داود قمحي - سليمان الإسحاقي - وأما الأطباء والصيادلة فربما خَبَتْ أنوارهم بالمقارنة بموسى بن ميمون، وإن لم يكونوا ممّن يخمل ذكره. فالنحوي اليهودي الأكبر مروان بن جناح كان طبيبا وصيدليا، وعدُّوا من مؤلفاته كتاباً في «المفردات»، وهي الأدوية البسيطة المؤلفة من عنصر واحد، ومن الممكن أن تدخل في تركيب كثير من العناصر. والظاهر أن الطب قد نبّه عنده إتقان العبرية حتى ألف فيها أدق دراسة في النحو، وقاموسا عبريا عربيا لألفاظ العهد القديم، ثم إن قراءته للتلمود كان لامفرّ له فيها من إتقان الآرامية، وكان لابد له في الطب من قراءة بقراط وجالينوس وغيرهما باليونانية،

ولممارسة المهنة على المرضى كان يتفاهم باللاتينية والعربية الدارجة والإسبانية العامية والبربرية المغربية. وكان كثير من أبناء دينه اليهود يتقنون لغات كثيرة لطول ما تقلبوا في مناكب الأرض.

وبعد غروب شمس الإسلام في الأندلس، وظهور القرار الغاشم بالتطهير الديني في إسبانيا على يد إيزابيلا الكاثوليكية وزوجها فرديناند، يأخذ اليهود عصا الترحال من جديد: إلى المغرب والشرق الإسلامي من ناحية، أو إلى انجلترا وهولنده اللتين كانتا بمعزل عن التعسف الكاثوليكي لانتشار البروتستانتية فيهما، أو إلى أمريكا بعد اكتشافها لحاجتها إلى الناس من أي جنس أو لون أو دين.

لقد كانت حضارة الإسلام في الأندلس أمرا فريدا في عصرها وفي العالم، هذه الحرية في الفكر والبحث والتأليف والتصنيف والابتكار، لم تُقاسِ من التزمت والتضييق إلا في المرحلتين الأخيرتين تحت حكم الموحدين والمرابطين، وليتهم عادلوا هذه الشدة بشيء من العناية بنشر الإسلام بين طبقات الشعب في إسبانيا، فلو كان ذلك حدث لأصلح خطأ وقع فيه سابقوهم، ولاصطدم الزحف المسيحي الآتي من الشمال بشعب مؤمن حريص على عقيدته، ولكن هذا الزحف لم يجد أمامه قوة شعبية ترد عاديته، فعمل ماشاء لايحسب حسابا إلا لقلة ضئيلة من العرب والمسلمين طردتهم بعد ذلك محاكم التفتيش أو دجّنتهم بأن فرضت عليهم الخروج من الإسلام، وأما من بقي في إسبانيا من اليهود فقد عمدوا إلى التستر والتقية، شأن كثير من الأديان إذا تعرض أبناؤها لجرائم التطهير الديني، وكان ذلك في غضون القرن الخامس عشر، وقبل جلوس إيزابيلا الكاثوليكية على عرش قشتالة وزواجها من فرديناندو، ملك أراغون، ففي ذلك الوقت كانت الأحقاد الدينية والعنصرية بين النصارى الإسبان والمسلمين العرب ومن يلتف حولهم من اليهود، قد بدأت بكل شراستها في الأندلس، بتأثير الدعوة الملتهبة التي كان يبعثها رجال الدين الكاثوليك ضد أولئك «الكفار». ووصل الأمر إلى جرائم سمّاها الكاثوليك الإسبان «أوتو دا في» أي التطهير بالنار، فكانوا يجمعون المصاحف وكتب اليهود ويكدسونها في ميدان عام ويحرقونها بالنار، ويجبرون أصحابها على الارتداد عن دينهم واعتناق الكاثوليكية، وإلا كان نصيبهم هم أيضا التطهير بالنار، بإحراقهم أحياءً في الميادين العامة، أو بإضرام النار عليهم في بيوتهم. فكان المسلمون يغادرون البلاد أفواجا، هم والطبقات الشعبية من اليهود. أما أثرياء اليهود فقد عمدوا إلى «التظاهر» بالنصرانية، بوضع تمثال العذراء والمسيح والحواريين وصورهم في أماكن معينة من منازلهم أو معابدهم، مع أداء طقوس عبادتهم اليهودية في الخفاء. وأطلق الإسبان على هؤلاء اليهود اسم «المرّانوس» أي الخنازير - على أرجح الأقوال - وإن كان بعض الباحثين يفترض أن أصل التسمية عربي انزلق إلى عامية النصارى الإسبان من لفظة (المُرائين)، الذين يظهرون غير مايبطنون. وقد انتهى أمر هذه الطائفة السرية من اليهود «المرانوس» إلى أن انتشرت في البرتغال، وفي سالونيك باليونان، وفي البندقية بإيطاليا، وفي أمستردام بهولنده، وفي لندن، وفي المكسيك. ومع الزمن بقيت طقوس المرّانوس سرّية خفية كما كانت، حتى بعد أن خفت حدة التعصب ضد اليهود منذ عام ١٧٧٠م، وكذلك بعد الإلغاء الرسمي لمحاكم التفتيش النصرانية الكاثوليكية عام ١٨٨٤م. وماتزال أعداد من يهود التقية هؤلاء تمارس طقوسها في البرتغال والمكسيك.

التطهير بالنار حركة جمع فيها الكاثوليك المصاحف وكتب اليهود فأحرقوها، وقذفوا أصحابها في النيران

لم يقترن تاريخ الإسلام، لافي الشرق ولا في الغرب بمثل هذه الفظائع، حتى في أدق الأزمات التي واجهها المسلمون في عهد ملوك الطوائف، والموحدين، والمرابطين، بل في عهد الحروب الصليبية في مصر والشام، وفي عهد التوتر السياسي المعاصر والمخيف بين الدولة الصهيونية الحالية والعرب. قد تكون وقعت حوادث فردية مؤسفة من أفراد من الناس ضد اليهود، ولكنها لم تأخذ صورة الاضطهاد الرسمي الذي تنظمه الدول ضد اليهود. وهذه من أنصع الصفحات البيضاء لتسامح الإسلام وحماية حكوماته المسلمة للأقليات الدينية الأخرى التي تعيش فيها. ومن أهم الأدلة على ذلك وجود أقسام متخصصة وكراسي أستاذية نشيطة في الجامعات الإسرائيلية لدراسة الفكر اليهودي في ديار المسلمين، وفي إسبانيا على الخصوص، وإن كانوا في بحوثهم يغمغمون الكلام عن وجوه التأثر المباشر في الفكر اليهودي بالحضارة الإسلامية، حتى في الفقه اليهودي، وعلوم التوحيد والعقائد، ومناهج التفسير لكتبهم الدينية. أما في العلوم مثل الكيمياء والطب والفلك والتشريح والزراعة والرياضيات والغناء والموسيقى فإن المتصل بهذه الأبحاث يشعر بأن المؤلف اليهودي يحرص على أن يجرّ الغطاء الدافىء الوثير فوق أمّته، مع الوضوح الصارخ بأن كل خيط في هذا الغطاء من إنتاج إسلامي، بمغازل عربية، وعلى منوال دقيق سبق المسلمون إلى تصميمه واستعماله.

في باريس مثلا جمعية يهودية تطلق على نفسها (جمعية الطب العبري) تصدر مجلة دورية علمية متخصصة، احتفلت منذ سنين بالطبيب اليهودي الأندلسي الأصل موسى بن ميمون، وأصدرت بهذه المناسبة عددا خاصا من مجلتها، قرأته بعناية وخرجت منه بأن موسى بن ميمون كان من عباقرة دهره، حتى انتشر في زمانه تعبير يهودي شعبي يقول: مِن موسى إلى موسى لم يظهر من يشبه موسى. ويقصدون أنه بين موسى بن عمران عليه السلام، وموسى بن ميمون عبقري الأندلس الإسلامية، لم يظهر لهما شبيه عبر التاريخ. وستكون لنا - إن شاء الله - مقالات كثيرة نبين فيها حلقات السلسلة المتصلة التي صاغها المسلمون واستفادوا فيها - بكل تواضع - من الهنود واليونان والسريان، واليهود أيضاً، ثم بذلوا طرفها يتعلق به من يشاء من بني الإنسان. ذلك أن الحضارات لاتقوم على رجل واحد، ولابين عشية وضحاها، بل على أجيال وأجيال تتعاون على استشراق أنوار الحقيقة وسط ظلمات القلوب، وتأخذ من كل شيء أحسنه، قريباً كان أم بعيداً.

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر:

الجمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير في الأنساب

للبلبيسي إسماعيل بن إبراهيم الحنفي (٧٢٨/٨٠٢هـ) (٢)



حمد الجاسر

"اللباب" لابن الأثير علي بن محمد بن محمد الموصلي (٥٥٥/٦٣٠هـ) هو خلاصة كتاب "الأنساب" للسمعاني عبدالكريم بن محمد بن منصور (٥٠٦/٥٦٢هـ) الذي يعد أهم مصدر في موضوعه عند المشارقة، وكتاب الرشاطي عبدالله بن علي اللخمي الأندلسي (٤٦٦/٥٤٢هـ) بتلك المنزلة عند علماء المغرب، ويمتاز على أنساب السمعاني بأن فيه من المعلومات عن جزيرة العرب من حيث تحديد بعض المواضع الأثرية المتعلقة بالنسبة إليها، وذكر أنساب كثير من القبائل مما يتعلق بسكانها مالايوجد في غيره مما لم يصل علمه إلى العلماء المشارقة مما نقله الرشاطي من مؤلفات الهمداني أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المتوفى في منتصف القرن الرابع، ومن أشهرها "الإكليل"(١)، ومن مؤلفات أبي علي هارون بن زكريا المعاصر للهمداني، وأشهر كتبه كتاب "التعليقات والنوادر"(٢)، ومع غزارة معلومات كتاب الرشاطي إلا أن علماء المشرق لم يستفيدوا منه، ولم يعرفوه إلا في عهد متأخر، ومن أشهرهم في ذلك ابن حجر العسقلاني الذي نقل منه نصوصاً في مؤلفاته ككتاب "الإصابة" وكتاب "تبصير المنتبه" وقبله استفاد منه الحافظ مُغُلْطَاي بن قَليج (٦٨٩/٧٦٢هـ) في كتابه "الاتصال لكتاب ابن سليم وابن نقطة وابن الصابوني والإكمال" وهو كتاب استدرك فيه على كتاب "الإكمال" لابن ماكولا، وعلى بعض المؤلفات التي في موضوعه(٣).

وكتاب مُغُلْطَاي لايقتصر على النسبة فحسب، بل يتوسع في تصحيح الأسماء وسيأتي الكلام عنه، ومن بعد مغلطاي جاء الحافظ ابن حجر، ثم صاحبنا البلبيسي الذي جمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير.

وجاء بعده الخيضري محمد بن محمد الشافعي الدمشقي ثم القاهري (٨٢١/٨٩٤هـ) فجمع بين كتاب "الأنساب" للسمعاني، وكتاب الرشاطي في كتاب "الاكتساب في تلخيص الأنساب" الذي تقدم الكلام عليه.

أما كتاب البلبيسي فيبدو أن صاحب "تاج العروس" قد استفاد منه، حيث عَدَّهُ من مصادره كما تقدم، ويُفهم من هذا أن الكتاب قد خرج من مسودة مؤلفه بحيث اهتدى صاحب "التاج" إلى معرفة اسمه وإلى الاستفادة منه.

أما المسودة فهي النسخة التي اطّلعت عليها من هذا الكتاب، وسبق أن صُوِّرت لي منها نسخة أُعَرْتُ جامعة الملك سعود شريطها (فيلمها) فاقتنت منها صورة.

ومن المعروف أن مسودة أي كتاب تعدُّ إذا كانت بخط المؤلف من أوثق نُسَخه، إلا أن الباحث في هذه المسودة يجد فيها كثيراً من الاضطراب في الترتيب والإشارات إلى مواضع ناقصة، وَعَدَ المؤلف بإكمالها من مؤلفات أخرى، فمن الاضطراب ورود (البغدادي) قبل (الأخباري) وإدخال (الصباغ) بين (الشهرستاني) و (الشهيدي) وإيراد باب (الزاي والكاف) بعد (السبخي) ثم إتباع باب (السين والألف) إلى أمثلة أخرى من هذا القبيل.

وللنقص أمثلة كثيرة كأن يقول بعد المادة: (تكمل الترجمة منهما) أو (من عندهما) يقصد كتابَيْ الرشاطي وابن الأثير، وتكرر هذا في كثير من الصفحات أو يقول: (تكمل إن شاء الله في المبيضة) وقد يَعدُ بكتابة ترجمة فيفوته ذلك كقوله: (الهجري تذكر هنا ترجمة أبي علي هارون بن زكريا الهجري إن شاء الله تعالى) ثم لم يذكر شيئاً. ومع ذلك ففي هذه المسودة - مع اضطرابها - من العلم في هذا الموضوع مايستدعي الاهتمام بنشرها.

ويتضح كونها مسودة المؤلف ماأُدْخل بين أوراقها من جذاذات صغيرة، تحوي مواد ملحقة تكمل بعض النقص أو تضيف معلومات أخرى، وكاتبها هو كاتب الأصل، والكتابة بخط بين الثلث والنسخ، وهو جميل وواضح، إلا أن كثيرا من الكلمات غير معجمة، ولهذا تصعب قراءتها على وجهها الصحيح.

وتقع هذه النسخة في ثلاثة أجزاء تبلغ أوراقها (١١٦٨) ورقة. عنها (٢٣٣٦) صفحة.

١- الجزء الأول منها: يبتدىءُ من أول الكتاب، كتب في طرته: (الثلث الأول من الأنساب مختصر الرشاطي، وكتاب "اللباب" بخط حديث تحت هذا بخط حديث أيضا (اسم الجامع مذكور بخطه في آخر هذا المجلد، شكر الله سعيه ورزقه العفو والفوز بالوصول إلى درجة الرجال الذين ذكر الله...) ثم كلمات غير واضحة، ثم بخط مغاير: (في نوبة شرف الدين بن شيخ الإسلام عفا الله عنه أمين) ثم ختم المكتبة ونصه: (الله حسبي بسم الله الرحمن الرحيم، وقف هذا الكتاب مصطفى رئيس الكتاب) إلى آخر ماهو معروف في ذلك الختم، ورقم (٥٩٤).

وفي الصفحة الثانية: (كان اشتبه عليَّ مؤلف هذا الكتاب، لكونه لم يكتب في آخره غير إسماعيل الحنفي، ثم رأيت هذه الترجمة فعلمت أنه صاحب هذا الكتاب) ثم (مؤلف هذا الكتاب إسماعيل) إلى آخر الترجمة في صفحتين منقولة من "الضوء اللامع" للسخاوي.

يليها أول الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي - الحمد لله المحيط علمه بتفرق الأنساب)، ويلي هذه الصفحة جذاذات من الورق ليست متصلة بها.

وآخر هذا الجزء: (الحَديثي - بفتح الحاء وكسر الدال وبآخر الحروف ساكنة، وآخرها ثاء مثلثة، هذه النسبة إلى الحَديثة: مدينة على الفرات ينسب إليها حَديثي وحَدَثي وحدثاني، وذكر منها: يعيش بن الجهم المقدم ذكره، ويُنسب إليها الحديثي الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالوهاب الإسفراييني، سمع الطبراني وغيره وعنه الحاكم أبو عبدالله وغيره. هذا آخر الجزء الأول، وفرغ منه مؤلفه تعليقا العبد إسماعيل الحنفي لطف الله تعالى به وصلى الله على السيد الرؤوف الرحيم محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعترته الطيبين الطاهرين، ويتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى، باب الحاء والذال).

ويقع هذا الجزء في (٣٤٥) ورقة، وفي الورقة صفحتان.

ويلاحظ أن عدد الصفحات في هذا وفي الجزءين اللذين بعده ذكر اعتمادا على النسخة المصورة، وكثيراً مايكرر المصور الصفحات حين يقع بينها جذاذات تحتاج إلى تصوير، وقد يفوته تصوير بعضها.

٢- أما الجزء الثاني فأوله: (بسم الله الرحمن الرحيم: رب يسر وأعن - باب الحاء والذال المعجمة).

وينتهي الجزء الثاني في مادة (الشيبي) وآخرها: في الكلام على أبي زرارة أحمد بن عبدالملك الحجبي الشيبي، ثم نقل عن كتاب "أسد الغابة" كلاما ليس موجوداً في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب.

ثم تنتهي المخطوطة من هذا الجزء بحيث يبتدىء الجزء الذي يليه برسم (الشيرجي) أي بسقوط مواد منها في كتاب "اللباب": (الشيجي، والشيحي، والشيخي والشيرازي) وقد يكون هناك مواد أخرى منقولة من كتاب الرشاطي.

وقد يكون ماكتب عن هذه المواد موجوداً وموضوعاً في غير محله من الكتاب، إذ النسخة بحاجة إلى دراسة دقيقة، لترتيب موادها، ووضع الجذاذات الكثيرة منها موضعها.

وعدد الأوراق الموجودة في هذا الجزء (٣٧٥) عنها من الصفحات (٧٥٠) وكاتبه هو المؤلف كاتب الأصل.

٣- أما الجزء الثالث: فقد كتب في طرته: (الجزء الثالث من كتاب الأنساب، وهو آخر الكتاب، نفع الله به) والخط حديث، وختم المكتبة، وفوقه رقم (٥٩٦).

وأول الورقة الأولى بعد البسملة: (رب يسر وأعن ياكريم، باب الشين والياء) ثم الكلام عن (الشيرجي) وبعده (الشيرزي).

وآخر هذا الجزء (باب الياءين - الييشعي - الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، نسبة إلى ييشع بن الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، يقال لهم القارة، وقد ذكر في القاف، وقيل أيشع - بألف - وقيل: ييشع بن مليح بن الهون بن خزيمة والله أعلم، قال مؤلفه عفا الله عنه: فرغت من جمعه وتأليفه) ثم كلمات غير


الصفحة الأولى من الجزء الثالث


الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث

الجمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير في الأنساب

للبلبيسي إسماعيل بن إبراهيم الحنفي (٧٢٨/ ٨٠٢هـ) (٢)

واضحة وبعدها سنة (٧٩٧هـ).

والترجمة الأخيرة منقولة عن ابن الأثير.

وورق هذا الجزء (٤٤٨) ورقة عن (٨٩٦) من الصفحات.

ليس من المستبعد وجود نسخة أخرى عن هذا الكتاب القيم، إذ كلام الزُّبيدي صاحب "تاج العروس" يفتح الأمل في ذلك، ومع رداءة هذه النسخة من حيث اضطراب التأليف فيها قبل اضطراب ورقها وكثرة مافيها من الإضافات التي كتبت في جذاذات صغيرة ووضعت في غير مواضعها، إلا أن من مميزاتها أنها بقلم المؤلف، وهي مسودة الكتاب، وقد أنهى كتابة الجزء الأول منها المنتهي بـ (الخيلاني)؛ في شهر شوال سنة ٧٩٦هـ، وأكمل الكتاب سنة (٧٩٧هـ) أي قبل وفاته بخمس سنين - أعني المؤلف البلبيسي -.

والبلبيسي في كتابه هذا لايقتصر عند حد الجمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير، بل يضيف أشياء كثيرة من المؤلفات في هذا العلم، وقد يستطرد فيورد معلومات قيمة ذات صلة به وبغيره من العلماء كأن يقول في رسم (القسحمي): (ومن ولده مالك بن سويد بن أحدة بن قسحم له صحبة، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريد) ثم استرسل في ذكر ترجمته، وقال في آخرها: (وذكرت هذا في الجزء الذي جمعته في الأسماء التي غيرها النبي صلى الله عليه وسلم).

ويقول في رسم (الزَّرَنْدي): بفتح الزاي والراء وسكون النون وآخرها دال مهملة، زَرَنْدُ بليدة بأصبهان منها أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن خالد بن يزيد الشيرازي النحوي عن أبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن طلحة العبقسي، وأبي الحسن أحمد بن عبدالله الخركوشي، وعنه أبو محمد بن عبدالعزيز بن محمد النخشبي وغيره، قلت: ومنهم شيخنا الأستاذ الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن الحسن المحدث الأديب المدني، ولد بالمدينة الشريفة النبوية، على الحالِّ بها أفضل الصلاة والسلام، قبل السبع مئة، وتفقه، ورحل إلى العراق مع أخيه، وسمع ببغداد ودخل خوارزم ودمشق ومصر، وعني بالرواية، وقرأ وسمع وكتب وصنَّف، وولي خطابة الحنفية، والحِسْبة الشريفة بالمدينة النبوية، وله النظم الرائق والنثر الفائق، ومات سنة ٧٧٢هـ بالمدينة الشريفة - رحمه الله - ومن شعره ماأنشدنيه من لفظه وكتبه لي بخطه، قصيدة سماها "رشف ظلم الحبيب، في كشف ظُلم الكئيب" وأولها:

هَبَّ إذ هبَّ شمال وصبا
من كراهُ الصبُّ شوقا وَصَبا
صبَّ دمعًا فرحا في صبِّه
فرحا فازداد منه وَصَبا

وذلك سنة (٧٦٢هـ) انتهى.

ولعل نشأة هذا العالم (الزرندي) في المدينة هو الذي أوقع صاحب "القاموس" وشارحه بقول: (وزرند موضع قرب المدينة بل محلة من محلاتها نسبت إلى الزرندي الأنصاري، لأنه من مواضع العرب القديمة، على أن صاحب "القاموس" الفيروزآبادي أورد اسم: زرند في "المغانم المطابة(٥) غير محررة، ففي أولها: زرُند كَمِربد قرية من أعمال المدينة على نحو أربعين ميلا من جهة الشام، أخبرني بها أبو عبدالله محمد بن يوسف (محمد بن حزم)(٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم علينا بمدينة شيراز سنة (٧٤٤هـ) لم أسمع من غيره ولم أجده في كتاب وهو ثقة. انتهى، وذكر بعدها: زرند أيضا قرية بأصفهان قرب ساوة، بين الري وساوة. انتهى. كذا وردت المادة غير محررة، ولكن نص كلام البلبيسي أن الرجل من زرند القرية التي في أصفهان، ولم يذكر السمهودي - مع شدة تحريه - من محلات المدينة ولا المواضع القريبة منها موضعا بهذا الاسم في كتابه "وفاء الوفاء".

وسبق التنبيه على خطأ مفهرس الكتب المصورة في معهد المخطوطات، حيث نسب كتابا مخطوطا في دار الكتب المصرية للبلبيسي، وسماه "القبس" وسيأتي الكلام عليه، وعلى ذكر مؤلفه في الكلام على مُخْتَصَرَي

الحواشي:

(١) هو كتاب يقع في ١٠ أجزاء، نشرت ثلاثة أجزاء منها: الأول والثاني والعاشر في الأنساب، والثامن في محافد اليمن وقصوره ومصانعه.

(٢) عرف من كتاب الهجري في العهد الأخير قطعتان، قمت بتلخيصهما وترتيب موضوعاتهما وطُبعا في أربعة أجزاء صفحاتهما (٢٠٨٤).

(٣) انظر عن كتاب مغلطاي "العرب" - س ٢٨ ص ٧٠ - وسيأتي الكلام عليه.

(٤) في الحلقة الخامسة من هذا البحث ومابعدها.

(٥) ص ١٧٠.

(٦) صواب هذه الجملة: (إمام حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم).

تنويه

حول مؤلفات قوام السنة

قلت في البحث الذي نشرته هذه المجلة الكريمة (ع ٢١٣ ص٤٣) مانصه: (ولم يعرف من تلك المؤلفات في عهدنا سوى كتاب "سير السلف" وكتاب "المغازي") وفي هذا الكلام تسرُّعٌ مني، وكان ينبغي أن أقول: (ولم أعرف من تلك المؤلفات سوى كتابين).

فقد نبهني الابن الكريم عبدالرحمن بن ناصر بن سَعِيْد أحد طلاب السنة الرابعة في كلية اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بأن من مؤلفات قوام السنة كتاب "دلائل النبوة" الذي ورد ذكره في كتاب "هداية العارفين" وهذا الكتاب قد قام بتحقيقه الأستاذ/ مساعد الراشد أحد خريجي كلية أصول الدين من الجامعة المذكورة، ونشرته (دار العاصمة) في الرياض في أربعة مجلدات.

فللابن ابن سعيد الشكر على هذا التنبيه، وأرجو المعذرة من القراء.

حمد الجاسر

في النقد الأدبي وهمومه
من خلال بعض القضايا المعاصرة



محمد منذر لطفي

تاريخ النقد الأدبي.. وتاريخ المعارك الثقافية .. وتاريخ الأنصار والأضداد.. كلُّها تواريخ حافلة ومثيرة وذات شجون، ومن المؤسف أن يكون عددُ النقاد الذين ينشدون الحقيقة، ويتوخون الصدق والموضوعية عندما يتعرضون بالنقد والتقويم لنتاج الكتاب والشعراء قليلاً جداً.. ولا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في أكثر الحالات تفاؤلاً.. على الرغم من أنهم (أكثر من الهمِّ على القلب) في هذه الأيام، كما يقول المثل العامي.

لذلك ومن هذا المنطلق بالذات.. منطلق الصدق والموضوعية.. وتسليط الضوء على بعض الحقائق الأدبية بغية كشفها وعرضها بحريَّة وأمانة تامتين في الأسواق الأدبية والساحات الثقافية ليراها الجميع بكل وضوح، رأيت أن أقدم منظورًا للنقد الأدبي المعاصر حول بعض البدهيات والقضايا الأدبية التي كان ـ ومايزال وسيبقى ـ كثيرٌ من النقاد على امتداد الساحة الأدبية للوطن العربي يختلفون حولها، فيزيدون نقدنا الأدبي المعاصر همومًا على هموم.

البدهية الأولى

وتتلخص في أنه لايختلف اثنان في أيامنا هذه حول كروية الأرض، كما لايختلف اثنان أيضًا حول وجود القمر المضيء، على الرغم من وجود الكلف الحقيقية المنتشرة هنا وهناك على سطحه، وإذا كان بعض نقادنا اليوم لايرون القمر إلا من خلال «كلفه أو وجهه الآخر»، وبالتالي فإنهم يهملون ـ عمدًا أو سهوًا ـ الحديث عن ضوئه أو بعض أشعته السحرية الغامرة، فإن بعضهم الآخر أوتي من صفاء النفس ونقاء السريرة.. وصدق الشعور وموضوعية التقويم، ماجعله يتعدى مستوى الرؤية بالحواس إلى الرؤية الفكرية الشاملة للأثر الأدبي المدروس.

روح سلبية

ما أردتُ قوله في هذه البدهية هو الإشارة إلى الروح السلبية التي ينظر من خلالها غالبية النقاد إلى الأعمال الأدبية للآخرين عند مُزاولتهم مهنة النقد الشاقة ـ إذا صح التعبير ـ، تلك الروح التي تطفو بشكل واضح وصريح فوق سطح مقالاتهم، بل فوق كل فقرة أو جملة من جمل تلك المقالات، فإذا بها ملأى بالمغالطات الأدبية المقصودة التي يستعملون فيها عمدًا ذكاءهم ومكرهم الأدبيين كليهما لستر تلك المغالطات، سواء من خلال استخدام الأسلوب الزئبقي المناسب أو انتقاء العبارات اللولبية التي يمكن أن نُحمِّلها أكثر من معنى.. أو اللجوء إلى المناورات الأدبية بأنواعها كافة، بغية تضليل الآخرين وإيهامهم بالتزام الموضوعية، وتَبنِّي المنهج النقدي الصحيح، حيث يظن هؤلاء النقاد ـ وبعض الظن إثم ـ أن مهمة الناقد تنحصر في البحث عن الجوانب السلبية المظلمة فقط في العمل الأدبي المدروس أو المنقود، واصطيادها ثم التركيز عليها وإشباعها شرحًا وتفصيلاً، مع إهمال كامل أو شبه كامل لأي (قبس نور.. أو إطلالة ربيع.. أو ظلال واحة.. أو وعد بيدرٍ) يجدها الناقد في ذلك العمل، وكأنَّ الغاية من النقد ـ والحالة هذه ـ تجريحُ الآخرين وتسفيه آرائهم والتهجم عليهم في بعض الأحيان لدرجة إحلال الشتيمة محل النقد البنَّاء والإساءة المتعمَّدة محل التقويم الموضوعي، والهزل والخيال السلبي الذي ليس له أي رصيد محل الواقعية والجد الإيجابي.

وفي رأيي أن مثل هذا العمل أبعد ما يكون عن النقد الصحيح المعافى، لأنه لا يحمل في طياته أية بارقة إيجابية يستطيع القارئ أو المنقود أن يفيد منها، أو أن يُكوِّن من خلالها فكرة موضوعية عن العمل الأدبي أو صاحبه.

هاتفون ومادحون

وكما أن المجتمع الثقافي والنقدي مُصابٌ بمثل تلك الفئة من «الشاتمين»، كذلك فإنه مُصابٌ

من خلال بعض القضايا المعاصرة

في النقد الأدبي وهمومه

أيضا بفئة أخرى من «الهاتفين والمادحين»، وكما أن تلك الفئة تسعى إلى اصطياد الصغائر والسلبيات فقط، ثم تكبيرها في مجهر «العدسات الألف» بغية الإساءة إلى أصحابها عمدًا ووضعهم في أسفل سافلين، كذلك فإن هذه الفئة تسعى، جاهدة هي الأخرى لالتقاط بعض اللفتات الإيجابية فقط للعمل الأدبي، ثم تكبيرها في المجهر ذاته لتضع صاحب ذلك العمل في أعلى علّيين، مُتسترةً - عن قصد أو عن غير قصد - على الكبائر السلبية، وحتى على الصغائر في ذلك العمل، لسبب بسيط واحد، هو أن صاحبه ينتظم في صفوف «القبيلة الأدبية» لذلك الناقد، أو من أبناء عترته وعشيرته الأقربين، وهو ما يدعو هذا القسم من النقاد - والذي يشكل الغالبية الغالبة - إلى الوقوف على الرصيف المعاكس، رصيف الإيجابية الزائفة والعاطفة الفضفاضة التي تكون عينُها كليلةً عن كل عيب، وبالتالي فإن نقدها لنتاج الآخرين يكون معينًا لا ينضب من عبارات الثناء والمديح التي تفتقر إلى الموضوعية ولاتُسمي الأشياء بمسمياتها، وبالتالي فإن مثل هذا النقد الذي ليس له رصيد على صعيد الواقع لايُسمن ولايُغني من جوع، وإنما يُسهم في إذكاء الشعور بروح الفوقية والغرور عند الكاتب والشاعر والقاص المُتحدَّث عنه، كما ويسهم في إضلال الذوق الأدبي الأصيل.

ما أردتُ قوله هو أن معظم النقد الأدبي عندنا يسير ضمن مجالين اثنين، فهو إما مادح وإما قادح إلا من رحم ربك ، ودون أن يكون لهذا القدح أو ذاك أي رصيد واقعي ملموس ومعلَّل على ساحة الواقع والمنظور، ومردُّ ذلك فيما أرى إلى الروح غير الرياضية التي تسود صراع المدارس الأدبية التي تؤدي بدورها إلى وجود الجماعات المتباينة على ساحة الأدب والثقافة والفكر وتكريسها لذلك الصراع، وبالتالي انقسام النقاد أنفسهم حولها بين مؤيِّد ومُسفِّه، بالإضافة إلى النظرة الأحادية الجانب التي تمثل هوى الناقد وعاطفته تجاه الأثر الأدبي المدروس وليس موضوعيته وعدالة أحكامه، وبذلك يبتعد عن نقد وتقويم النتاج الأدبي للآخرين استنادًا إلى المعايير والموازين الفنية المعترف بها، والخاصة بكل مدرسة أدبية ويقترب من التعصب لجانبه المُفضَّل ولونه المُحبَّب الذي يؤمن به ولا يعترف بالكمال إلا له.

الموضوعيون

وهناك فئة ثالثة موضوعية، تعمد أثناء النقد إلى وضع النقاط الصغيرة والكبيرة على الحروف بكل ما للحقيقة من وقع قاسٍ في بعض الأحيان في نفس الكاتب والقارئ على حد سواء، فتُعطي بذلك ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وتذكر السلبيات كافة «بصغائرها وكبائرها»، كما وتذكر الإيجابيات كافة « الصغيرة منها والكبيرة أيضًا» لتصل في نهاية المطاف إلى التقويم والنقد الصحيحين.

الديبلوماسية الواقعية

ثمة فئة رابعة تعتمد على الموضوعية أيضا أثناء النقد، ولكنها تلجأ إلى أسلوب آخر غير الذي تتبنَّاه الفئة الثالثة المذكورة أعلاه، وتُحاول هذه الفئة من خلاله أن تصل إلى هدف النقد المتمثل «بالتقويم أولا وآخرًا» ولكن بطريقة هي إلى «الديبلوماسية الواقعية الإيجابية» أقرب منها إلى «المجابهة الواقعية السلبية».

بمعنىً آخرفإن الناقد الذي ينتمي إلى هذه الفئة يحاول أن يرصد الإيجابيات في العمل الأدبي، ويُسلط عليها بعض الأضواء ليلفت نظر القارئ إليها، وهو بعمله هذا يثلج قلب المؤلف من خلال شحنه بالإيجاب ورفع معنوياته، كما ويرضي القارئ، لأن الناقد لايكتفي بذلك بل يشير أيضا إلى السلبيات إشارات سريعة (برقيةً أو مُرمَّزةً إلى حد ما)، ويفهمها المؤلف والقارئ على حد سواء، وهو إذ يتبنَّى، فكرة الإشارة السريعة إلى تلك السلبيات والتلميح إليها بالرمز أحيانًا، فلكي تبقى معنويات صاحب العمل الأدبي جيدة وبخاصة إذا كان ينتمي إلى جيل الأدباء الشباب أو ما بعد الشباب بقليل، ولكي لا يخرج الناقد عن الغاية التوجيهية للنقد المُتمثلة بالتقويم الإيجابي، ويصل إلى التشهير العلني أو الجرح واتخاذ موقف الضد، ولكنه لا ينسى في المقابل أن يتصل بالكاتب شخصيًا إنْ أمكن وكان ذلك مُيسرا، ولاسيما إذا رأى ضرورة لذلك، ليضعه في الصورة الصحيحة والواضحة لسلبياته بعامة والكبائر منها بخاصة، ثم يناقشه فيها حتى يصل الاثنان إلى قناعة تامة حولها وحول تلافيها مستقبلاً، مُنفِّذًا بذلك نصيحة الخليفة الراشدي «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه والتي تنطبق على المسارح الحياتية كافة، بما في ذلك المسرح الأدبي والنقدي حين قال منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا جملته المأثورة: «رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي» والتي بات يُضرب بها المثل في أكثر من مجال، وبذلك تتحقق مهمة النقد المتمثلة في التقويم من غير تشهير والإصلاح من غير تنفير كما سبق وذكرت، لأننا شرقيون عاطفيون بطباعنا شئنا ذلك أم أبينا، وسواء اعترفنا بهذه الحقيقة أم لم نعترف بها.

هذا هو رأيي الشخصي والواضح في هذا الموضوع.. والذي أتبناه واقعًا عمليًا ملموسًا عند ممارستي الحديث عن نتاج الآخرين وتعرضي لهم بالدراسة والنقد.

سبب العلة

والواقع يشير إلى أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية لاعتلال النقد الأدبي عندنا لا رابع لها وتترك بصماتها بشكل واضح على مساره السلبي وتتلخص بالآتي:

١- النظرة الأحادية الجانب التي يمارسها بعض النقاد عند التصدي بالدراسة والنقد للأعمال الأدبية للآخرين، وبالتالي فإن هذا «البعض» من النقاد لا يُقوِّم العمل الأدبي المدروس تبعًا للمقاييس والموازين الفنية العائدة للمدرسة التي ينتمي إليها ذلك العمل الأدبي، وإنما يتم التقويم من خلال المقاييس والمعايير والموازين الفنية العائدة للمدرسة الأدبية التي يؤمن بها الناقد و«يتعصب» لها، والتي قد يكون موقعها في القطب المضاد، وفي ذلك بُعدٌ واضحٌ عن الموضوعية وإضاعةٌ بيِّنةٌ

لحقوق الآخرين.

٢ـ العاطفة التي تجمع بين الكاتب والناقد عند ممارسة هذا الأخير لمهمة النقد والتقييم، تلك العاطفة التي تنعكس سلبًا على الأثر الأدبي المدروس إذا كانت تدور في فلك السلب، بينما تنعكس بشكل إيجابي إذا كانت تدور في فلك الإيجاب، وفي كلتا الحالتين فإن الناقد لا يوصلنا إلى نقد موضوعي بنّاء وإنما إلى نوع من القدح أو المدح، ودون أن يكون لكليهما أي رصيد على صعيد الواقع الملموس، وهذه الظاهرة ـ أعني ظاهرة «العاطفة» بوجهيها السلبي والإيجابي ـ تمثل أهم الأسباب التي تؤدي إلى التجمعات الأدبية المتأخرة والتجمعات الثقافية المتباغضة والتي تنعكس في نهاية المطاف سلبًا على الإبداع الأدبي بأجناسه كافة.

٣ـ الثقافة السطحية أو المتوسطة لمعظم النقاد، مع أن الجميع يعلم أن مهمة الناقد أصعب بكثير من مهمة الكاتب لأن غايته الوصول إلى الأفضل والأكمل، ولا يستطيع أن يوصلنا إلى الأفضل والأكمل إلا من هو فاضلٌ وكاملٌ ثقافيًا. أما ما نراه حاليًا على الساحات الأدبية في مجال النقد فهو في معظمه لا يتعدى عبث الأطفال إلا من رحم ربك، هذا إذا استطاع صاحبه أن يتخلص من فقرتيْ (النظرة الأحادية الجانب، والعاطفة بوجهيها السلبي والإيجابي) المذكورتين أعلاه.

عقدة الإسكافي

إنّ افتقار الناقد إلى الثقافة المستمرة الواسعة على المحاور كافة الأفقية منها والعمودية وفي جميع المدارس والاتجاهات الأدبية القديمة منها والحديثة، يترك آثاره السلبية الواضحة في هذا المجال؛ مجال الدراسة والنقد، ويؤدي بالتالي إلى طمس الحقائق، وضياع الذوق الفني الأصيل، والاستهتار بالقيم والموازين الأدبية والفنية، واختلاط السالب بالموجب والأبيض بالأسود، كل ذلك نتيجة لازمة لعدم الوقوف على أرض نقدية صلبة والعبث المزاجي الأرعن بالنتاج الفكري والأدبي والفني للآخرين وعدم إعطاء كل ذي حق حقه، وهو ما نرى نماذج منه أحيانًا على صفحات بعض صحفنا ومجلاتنا العربية، ويُذكِّرنا بأشباه النقاد، وعقدة الإسكافي التي أرى أنه بات من الواجب الاستشهاد بقصتها في هذا المجال والتي تتلخص بالآتي:

مـرَّ رجل ذات يوم أمام حانوت إسكافي فضولي، كثير اللغو دونما فائدة، ضحل المعرفة لا يُدرك حدود نفسه، ولا يعرف مكان مقعده، فما كان منه إلا أن نظر إلى حذاء ذلك الرجل وقال منتقدًا:

ـ الأفضل أن يكون لون الحذاء كذا.

فأسرَّها الرجل في نفسه، مع أنه يعلم، ويعلم معه الجميع أيضًا خطأ هذا الحكم النابع من عقدة صاحبه المرضية (بفتح الراء) التي أدَّتْ بصاحبها الإسكافي إلى إضاعة إجادته لصنعته الأساسية في أشياءَ هامشية لا طعم لها، ولا معنى.

وفي اليوم التالي مرَّ الرجل ثانية أمام الحانوت دونما قصد منه، فما كان من الإسكافي حين رآه إلا أن قال منتقدًا أيضًا:

ـ الأفضل أن يكون لون ربطة العنق كذا.

وشد ما كانت دهشته عظيمة، وخيبة أمله مريرة حين بادره الرجل بقوله:

ـ اسمع يا هذا.. إن مجال نقدك يجب ألا يتعدى الحذاء.!

نستنتج مما تقدم أن الثقافة العميقة والمتنوعة من أهم الخصال التي يجب أن يتصف بها الناقد المعاصر الناجح، ليكون نقده موضوعيًا وآراؤه صائبة.

تلك هي في رأيي أهم الأسباب الرئيسة والهموم المعوِّقة لتقدم مسيرة النقد الأدبي عندنا


محمود درويش

ويقينًا لو أننا تمكنَّا من القضاء عليها بشكل جذري لأضحى النقد عندنا مُعافى سليمًا وبألف خير.

البدهية الثانية

وتتلخص في أن بعض النقاد أيضًا ما يزالون حتى اليوم يخلطون بين الالتزام والإلزام.. عمدًا أو عن جهل وغباء، ذلك أن الالتزام شيءٌ والإلزام شيءٌ آخر، وفي رأيي أن الالتزام في الشعر ـ على سبيل المثال ـ يُجسِّده رضاءُ الشاعر السير في خط أدبي معين لخدمة غرض واحد من أغراض الشعر، شريطة أن تكون هذه الخدمة تلقائية، ونابعة من الذات الداخلية، وليس لأي مؤثر خارجي أيُّ تأثير عليها.

وانطلاقًا من هذا التعريف الذي أرتضيه لنفسي، والذي وضعتُ بموجبه (الالتزام) ضمن إطار الرغبة والميل الداخليين، أرى نتيجةً لازمةً لذلك أن أُومن به ضمن هذا التعريف وتلك الشروط، وبالتالي أرى نفسي على الرصيف الآخر إذا كان المقصود منه فرض لون معين من الشعر (شكلاً ومضمونًا أو موضوعًا) ودون أن يكون لعملية النظم والإبداع أي رافد داخلي نابع من ذات الشاعر الناظم أو المبدع.

وأعتقد أن المشكلة ليست مشكلة التزام أو عدمه بقدر ما هي مشكلة تحديد المعنى الصحيح والواضح لهذه الكلمة أو المصطلح، وإعطائه صورته الحقيقية ودلالاته الواضحة التي هي في نظري (الرغبة والميل الداخليان) كما سبق وذكرت.

ولتوضيح ذلك بشكل عملي أقول: إننا عندما نرى أن معظم قصائد الشاعر «نزار قباني» على سبيل المثال تدور في فلك الهوى والمرأة، وأنَّ هويته الشعرية عُرفت على أنه وصَّافٌ لموضوعاته بشكل جيد، فليس معنى ذلك أنه التزم هذا اللون دونما إرادة منه، والصحيح ـ والحالة هذه ـ هو أن «نزار» وجد نفسه أقرب لهذا اللون من غيره، وألصق به من سواه، فترك نفسه على سجيتها دون قسر أو إكراه، ونظم ما حلا له فيه من أشعار وقصائد، أما لماذا اختار «القباني» هذا اللون من الشعر بينما اختار «أبو ريشة أو محمود درويش أو يوسف الخطيب» على سبيل المثال اللون القومي المُشبع بروح الجماعة، فيجب ألا يغرب عن البال

من خلال بعض القضايا المعاصرة

في النقد الأدبي وهمومه

أني هنا في هذه الكلمات القليلة المكثَّفة لن أتعرض بالحديث عن الأسباب والدوافع التي حدتْ بكل منهم لاختيار لونه المفضل وتبنيه له، وإيثاره على بقية الألوان، ذلك أن هذا الانتقاء نابع عن الذات وله جذوره التي تعود إلى مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية، بالإضافة إلى عامليْ البيئة والاستعداد الشخصي، والتي لامجال لشرحها الآن أو ذكرها بشيء من التفصيل، أو تسليط الأضواء عليها بغية سبرها واكتشاف ينابيعها ومصبّاتها.

طبيعة لا التزام

ومادام الشاعر الإنسان لا يُترجم شعرًا إلا مجموعة الأحاسيس التي يعيشها ويعانيها، والتي تنبع من كيانه ووجوده وواقعه، ومادام المبدأ القائل: إن الشاعر هو مجموعة الانعكاسات التي تصدر عن البيئة التي يعيشها ولكن بشكل أدق وحدس أوسع وأشمل، وإنه دائمًا وأبدًا المرآة الصقيلة والصورة الثانية الواضحة لمجتمعه الصغير الكبير، أقول مادام المبدأ مايزال صحيحًا، وسيبقى حاملاً صفة الديمومة والثبات، فأنا أرى - والحالة هذه - أن من الأفضل عدم استعمال كلمة (الالتزام).. وحذفها من قاموس المناقشة عند طرح أية مشكلة أو قضية من القضايا التي تتعلق بأي أدب من الآداب أو فن من الفنون، لأنها معنا تلقائيًا على الدوام، ونعيشها بشكل مستمر في حياتنا الاجتماعية اليومية، وعلى مسارحنا الوطنية والقومية واقعًا عمليًا ملموسًا، وذلك حتى لايلتبس الموضوع على الآخرين من جراء تفسيرها الخاطئ، أو إفراغ معناها في غير قالبه الحقيقي الأصيل، وها هو الشاعر القومي «سليمان العيسى» يقول في مقدمته النثرية التي تحمل عنوان «قطرات ضوء على الطريق» والتي قدَّم بها المُجلَّد الأول من أعماله الشعرية الكاملة ما نصه بالحرف الواحد حول هذا الموضوع.. موضوع الالتزام وملابساته: لا أُحب كلمة «ملتزم» ولا كلمة «التزام»، لأني أرى التعبير مصطنعًا مهما أُجيدتْ صياغته، قلتُ أكثر من مرة: إن الإنسان لا يلتزم لون عينيه ولاتنفسه الطبيعي ولاجلده الذي يعيش به، هذه الأشياء هي طبيعته هي وجوده، فلماذا نُصر على أن نفتعل التسميات..؟ (المقطع٨ - الصفحتان ٩ و ١٠).

سؤال يسيء إليك

وهذا هو الشاعر الأصيل «حامد حسن معروف» يقول في مقدمته النثرية أيضًا، والتي قدّم بها مجموعته الشعرية «أضاميم الأصيل» ما نصه بالحرف الواحد حول هذا الموضوع؛ موضوع الالتزام وملابساته أيضًا:

للأدب والفن أخلاقيتُهما، هذه الأخلاقية تُحدد سلوكية الأديب ورجل الفن، وإذن ليس لكَ أن تسألني هل أنت ملتزم "مُنتم"؟

هذا السؤال، مُجرد هذا السؤال. يُسيء في نظري إليك إلى مفهومك للأدب والفن.

لك أن تقول: إن لكل أدب قضاياه، لكل أثر أدبي قضيته، فما هي القضية هنا؟

أُجيبك ببساطة، باطمئنان: إنَّ هذه الكلمات التي تلفح عينيك باللهيب، أو تمسح أصغريك بالصقيع هي الجمال. يُقال هذه مبالغة في «الأنا» ومغالاة في «الفردية»



نزار قباني

لكن - مع هذا - أظل منسجمًا مع ذاتي، وذلك خير - ألف مرة من غيرية وازدواجية مكذوبتين! (المقاطع ٥ و ٦ و ٧ - الصفحات ١٣ و ١٤ و ١٥).

ويحضرني في هذ المقام أيضًا رأيٌ جدير بذكره والوقوف بين يديه بعض الشيء للدكتورة «بنت الشاطئ» حيث تقول «إن الخصومة في «الالتزام» لم تنشأ إلا عن خلط بينه وبين «الإلزام»، ونضال الأدب في سبيل الحياة والمجتمع لايمكن تصوره إلا مع «جبرية الالتزام لا الإلزام»، وأعني بالجبرية هنا أنها مفروضة على الأديب تلقائيا من طبيعة رسالته ومسؤولية ضميره، لايتلقاها من خارج ولايأمره بها آمر.

وتتابع الدكتورة «بنت الشاطئ» حديثها هذا فتقول: وإذا كان الشاعر «أبو العلاء المعري» يقدم لنا من خلال عشرة قرون مثلاً رائعًا «لجبرية الالتزام» من حيث هي مسؤولية ضمير وأمانة كلمة، فكذلك فعل روَّاد التحول وطلائع الثورات قبل أن تسمع دنيانا العربية بقضية الالتزام أو تخوض في جدلها العقيم حول الأدب الهادف وغير الهادف والفن للفن أو الفن للمجتمع ، ولاعلم لي بثورة عرفها التاريخ على مساره الطويل لم تسبقها طبيعةٌ فكرية وأدبية تكفَّلتْ عن التزام تلقائي بتعبئة القوى المخزونة للشعوب، وحراسة وعيها وضميرها، والتمرد على الفساد في إبان ضراوته، ورجم الطغيان في عنفوان جبروته والسهر في ليلة المحنة حُرَّاسًا على ضمير الجماعة يحدون ركبها في مسراه بالدعاء لميلاد فجر جديد».

الالتزام الفني

هذا هو الالتزام الحقيقي الذي يجب أن يؤمن به الجميع من أجل الجميع، هذا هو الالتزام الذي يحترم فيه الشعراء والكُتَّاب الحرف ويُجلُّونه، وبالتالي فإنهم لايكتبون الشعر إلا نتيجة تفاعل واعٍ ومرير وكامل مع موضوعه؛ نتيجة تفاعل لايكون فيه للنظم أي أثر على الإطلاق، لأن هناك بونًا شاسعًا - وكما يعلم الجميع - بين الشعر والنظم، هذا هو الالتزام الواضح في ذهني الالتزام الذي أدعو إليه، والذي لم يحاول «بعض» النقاد فهمه حتى اليوم عن قصد أو عن غير قصد.

الالتزام الخاص

ثمة نوع آخر من الالتزام، ويتمثَّل بالالتزام بمدرسة أدبية معينة على سبيل المثال، وهذا ما نُطلق عليه اسم «الالتزام الفني»، أو يتمثل بتيار اجتماعي أو سياسي مُحدَّدَيْن بقيم معينة أو برؤىً وأبعاد خاصة، وهذا ما نُطلق عليه اسم «الالتزام الخاص»، وكلاهما لايتعارض مع «الالتزام العام والشامل» بقضايا المجتمع والوطن. والأمة والإنسان، بل ويشكلان رافدين رئيسين له، وبخاصة ثانيهما وأعني به «الالتزام الخاص»، على الرغم من أن أولَّهما وأعني به «الالتزام الفني» يُمثِّل ويُجسِّد من حيث الواقع «التزامًا فنيًا بحتًا» بمعطيات ومعايير المدرسة الأدبية التي ينتمي الشاعر أو الكاتب إليها، ويؤثر الطواف في مدارها والسعي في فلكها، ولكن هذا النوع من الالتزام يبقى نابعًا من المجتمع، مُعبِّرًا عن نَفَسه (بفتح الفاء) وروحه - إذا صحَّ التعبير - غير مُبتعد عن «الالتزام العام والشامل» بحال من الأحوال.

البدهية الثالثة

وتتعلق هذه البدهية بالحداثة والمعاصرة، وهي البدهية الوحيدة التي أتفق فيها مع أولئك «البعض» من النقاد المعاصرين، على أن «الحداثة» في الشعر ليستْ مسألة «شكل»، مُضيفًا إلى ذلك أنها ليست مسألة ضياعٍ أو سراب أو ضبابية في المضمون، كما أنها ليست أيضًا تقليدًا أعمى، وغير واعٍ لما يُستورد من الخارج، أو لما يهبُّ علينا بين حين وآخر من تيارات أدبية غريبة معظمُها الغثُّ وقليلُها السمين فأنا مع الغموض والرمز النسبيَّين اللذين تتطلبهما الحاجة وطبيعة ومُجريات القصيدة الحديثة.. بحيث يُوَظَّفُ الرمزُ من أجل دلالته وخلفياته فقط وبالقدر المطلوب، ولكني لست مع الإبهام والتعمية والسرابية والضياع بحال من الأحوال، وأنا أيضًا مع الذين يؤمنون بفتح نوافذهم لمختلف النسمات الأدبية الإنسانية أيًا كان مصدرها وهويتها، وبالتالي التفاعل معها وإغناء تجاربنا الشعرية وأدبنا المحلي بها شريطة ألا ندع تلك الأنسام تذهب بهويتنا العربية وأصالتنا وتراثنا نتيجة ذلك الفتح ذات يوم، «فالجديد» المطلوب يجب أن يكون امتدادًا «للقديم» الأصيل، ولكنْ بأسلوب معاصر ومضامين معاصرة وشكل معاصر لايتعدَّى حدود «التفعيلة» ولايُلغيها ليصل إلى النثر ويصفه بالشعر، مع أن «الشكل الشعري» يبقى شكلاً سواء اعتبرنا مقياس الحداثة (الشكل أو المضمون أو كليهما معًا) ولكنْ لكل جنس أدبي صفاته الفنية المُميِّزة وخصائصه التعريفية الدالة التي لاغنى له عنها، وإلا فقد هوية الانتماء إلى ذلك الجنس الأدبي نتيجة فقده لواحدة من أبرز وأهم وأوضح مُقوِّماته الرئيسة وخصائصه العلَمية «بفتح اللام»؛ وأعني بها «الإيقاع والموسيقى والأنغام» سواء اعتمد الشاعر «وحدة البحر» شكلاً للقصيدة، وهو ما يُسمى بالشعر التقليدي (الكلاسيكي)، أم اعتمد «وحدة التفعلية» شكلاً لها، وهو ما يُشكِّل الجناح الموضوعي المعتدل الأصيل في مدرسة الشعر الحديث المعاصر. وفي كل الأحوال فإن الأشكال الشعرية ما هي في نهاية المطاف إلا قوالب، والجميع يؤمِّن على ماأعتقده، وهو أن الشاعر المبدع المتمكن يستطيع أن يصبَّ إبداعه في أي قالب يشاء، ومن هذا المنطلق بالذات كان مصدر تجديد الرواد الأوائل في شعرنا الطليعي الحديث المعاصر.. أمثال (السياب والقباني وعبد الصبور وحجازي والبياتي والحاوي وعدد من شعراء الأرض المحتلة وأدونيس في بعض مجموعاته الشعرية الأولى، وقبل أن يرحل عن مملكة الشعر والجمال والطيوب والضياء إلى مملكة الطلاسم والأحاجي والألغاز والكيمياء).



عمر أبو ريشة

البدهية الرابعة

وهي البدهية التي تقول: إنَّ هؤلاء «الكلاسيكيين الجدد» - وهذا هو التعبير الذي يحلو لبعض النقاد اليوم وصف من تقدم ذكرهم قبل قليل من الشعراء الرُّواد به - هم وحدهم الذين فهموا معنى التجديد على حقيقته الموضوعية الأصيلة، إنهم يريدون شعرًا جديدًا يستمد جذوره من تراثنا الأدبي العريق، وينفتح على الحديث، ليعطي بالتالي أزهارًا وثمارًا تلائم روح العصر وذوقه، ويمثل التجديد في «المضمون» مركز الثقل فيه، شريطة ألا يصل التجديد في «الشكل» حد الخروج على الأصول، وأعني بذلك عدم التحلل الكلي من عنصري التفعيلة والقافية - وإنْ تنوعتْ -، وألا يسمح التجديد في «المضمون» للرياح التي فتحنا نوافذنا لها أن تقتلعنا من الجذور، وتسحب «هويتنا» منا لترمي بنا في كهوف وأقبية وسراديب الآخرين.

ومن البدهي والمُسلَّم به أن هناك بونًا شاسعًا بين فتح النوافذ وبين التيارات التي مازالتْ تهب على مجتمعنا العربي بين آونة وأخرى حاملةً معها الموت المؤكد والدمار الشامل لتراثنا ولغتنا وحضارتنا التي نزهو بها على مر العصور والأجيال.

كلمة حق أخيرة أقولها في هذا الصدد.. وهي أن عطاء هؤلاء (الكلاسيكيين الجُدد) أفضلُ بكثير من عطاء من يحلُّ ضيفًا ثقيلاً على فُتات موائد الآخرين «شكلاً ومضمونًا» وبشكل مُشوَّه وغير واعٍ ومبتور، فيفقد بذلك السوقين الأدبيتين (المحلية والعالمية) على حدٍّ سواء.

ذلك أنَّ تيار التجديد الحقيقي الأصيل هو ذلك التيار الذي يعتزُّ بتراثه الإيجابي الخالد، ذلك الذي لايتنكر لماضيه الأصيل المضيء في الشعر ولايفرط في التحرر الحديث منه لدرجة الخروج عن الأصول الثابتة التي تمَّ الحديث عنها.

ذلك الذي يتفاعل تفاعلاً واعيًا وتامًا مع قضايا مجتمعه العربي المحلي أولاً، ثم مع قضايا المجتمع العالمي الشمولي ثانيا، فيتحدث عن هموم الإنسان العربي المعاصر بأبعادها كافة، ثم عن هموم الإنسان في كل مكان وعبر كل زمان وبأبعادها كافة أيضًا.

صداع العقول



أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

الفارابي
وميتافيزيقا العقيدة

قال أبو عبدالرحمن: لانُسمي الله سبحانه وتعالى إلا بما سَمّى به نفسه، ولانصفه إلا بذلك.

وما أُطلق على الله سبحانه من غير تسميته أو وصفه لنفسه نرفضه لفظًا ونناقشه معنى فنأخذ من المعاني ما قام به البرهان.

فليس في ديننا تسمية الله بـ «العاقل» فنرفض ذلك لفظًا، ولكن نأخذ من معاني العقل كله مقتضيات العلم والعدل والحكمة والإحسان والربوبية مما هو من لوازم الكمال والجمال.

وليس في ديننا وصف الله بمهندس الكون، ولكن نثبت أن هندسة الكون فعلُه وخلقه وتدبيره سبحانه وتعالى.

ولانصفه لفظًا إلا بما ورد به النص من الخلق والقدرة والإبداع والحكمة.

قال أبو عبدالرحمن: وعلى هذا القانون أتعامل مع عبارات لأبي نصر محمد بن محمدبن طرخان بن أوزلغ الفارابي (ت:٣٣٩) سَمَّىهُ ووصفته بغير توقيف في معرض الاستدلال على مسائل من العقيدة تتعلق بحق الرب سبحانه وتعالى.

لقد قرر الفارابي وجود الله، وأنه الخالق وأنه الواحد من معنى أن الله سبحانه واجب الوجود.

ومن معاني وجوب وجوده أنه تام واحد. فكيف ذلك؟

يرى الفارابي في كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» أن تام الوجود لايكون وجوده لشيء آخر غيره، فوحدانيته شرط لتمام وجوده.

ويقرر في رسالة «عيون المسائل» صفة واجب الوجود بأن واجب الوجود متى فُرض غير موجود لزم منه محال، ولا علة لوجوده.

وعلى مبدأ (بضدها تتبين الأشياء) أذكر أن واجب الوجود قسيم ما لم يذكره من الممتنع وهو محال الوجود، وقسيم ما ذكره وهو ممكن الوجود.

وصفة ممكن الوجود عند الفارابي أنه إذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال، فلا غنى بوجوده عن علة.

وممكن الوجود إذا وجد فإنما وجد بغيره لا بذاته.

وتعقبه الدكتور مدني صالح بأن تعريفه للتام لايعني أنه بَرْهَنَ على أن واجب الوجود تام.

قال أبو عبدالرحمن: تعريف التمام ليس برهانًا على أن ذلك الشيء تام، فاستدرك الدكتور جلي، واستدرك الدكتور مدني على الفارابي أن البرهنة على التفرد أو التوحد بصفات لا تفيد الوحدانية، بل لابد من البرهنة على أن المتفرد واحد!

إنما الذي يفيد الوحدة ضرورة استحالة الكثرة!.

ولخص الدكتور فلسفةً للفارابي نتيجتُها اليقين بأن الفارابي برهن على استحالة الكثرة.

موجز هذه الفلسفة أن الفارابي أكد أن الشيء لايمكن أن يكون علة وجود ذاته، لأن الإمكان دليل على الافتقار إلى علة.

والمرور من حالة الوجود بالإمكان إلى حالة الوجود بالواجب دليل على فاعلية العلل.

وتسلسُل العلل مُحال فيلزم من ذلك ضرورة التصديق بأمرين:

أولهما: أن العالم محدث لأنه ممكنٌ وجب بغيره. ودليل إحداثه وقوفه عند علة أولى لا علة لها.

وثانيهما: أن واجب الوجود بنفسه (الذي سماه العلة الأولى) واحد.

وبرهان الوحدانية: أن العلة الأولى علة واحدة يُرَدُّ إليها حدوث كل الممكنات.

وبرهان هذه النتائج عند الفارابي أنها مبنية

على بدهيـات أوليـة هي معـاني الوجـوب، والوجود، والإمكان.

وبيـان ذلك أن الفـارابي في رسالـة «عيـون المسـائل» قـرر أن من التصـورات مـا لايتم إلا بتـصور يتـقدمه كـالجسم لايتـصور معناه إلا بتصور الطول والعرض والعمق.

وبعكس ذلك الوجـوب والـوجـود والإمكان، فإن هذه الأشـيـاء معـان ظاهرة صـحيحـة مـركـوزة في الذهن لاتحتـاج إلى تصور شيء قبلها.

وقـرر الفـارابي أيضـا أن هناك تصـديقـات لاتُعلَم إلا بعـد العلم بشيء قـبلها كـالعلم بأن العالم محـدث لابد أن يُسبَق بالعلم بأن العالم مؤلف، وكل مؤلف محدث.

وبعد هذا البناء الفلسـفي انتقل الفارابي في آراء أهل المدينة الفـاضلة إلى وصف واجب الوجود بأنه يبهر الأبصار فلا تدركه لكماله.

ولهـذه النتيـجـة وصف الدكـتـور مـدني فلسـفـته بأنهـا قناعـة سـايكو، وأنهـا صـوفيـة فارابية!.

ووصف كل مراحل فلسـفته في الإلهـيات بثـلاث سمـات تعـتبر من المثـالب عند ذوي التفلسف من أبناء العصر، وهي:

١- الميتـافيزيـقية للبناء على تـصور لايسبـقه تصور كـالإمكان، وتصديق لايسبقـه تصديق وهو حدوث العالم.

٢- اللاهوتيـة بإنهـاء تداعي الأفكار عن العلل بافتراض حقيقة واجب الوجود.

٣- الصـوفيـة القـاضية بالـعجز عن إدراك واجب الوجود(١).

قـال أبـو عبـد الرحـمن: مـؤدى مـذهب الفارابي أن الكمال والوحدانيـة هما معًا معنى تمام الوجـود، لأن من وُجِد أكـمل منه فليس وجوده تامًا، ومن وجد مثله في الكمال فليس وجوده أتم وجود، فلايكون تام الوجود.

قـال أبو عـبـد الـرحـمن: إلا أن الاصطلاح بتام الوجـود مضلل، بل تمام وجـود كل شيء ما يليق به.

وإذا فسرنا تمام واجب الوجود عند الفارابي بأنه بمعنى الكـمال المطلق فـهـذا هو مـذهـب الموحـدين السـلفـيين، وهو نتـيـجـة الـنظر والبرهان.

والكمـال المـطلق عـقـيـدة المسلم، وتكون برهانًا على غيره بعد تمام البرهان عليها ذاتها.

والبـرهان من بديهـة أن كل عظمـة علمت في الكون فهي حادثة مخلوقة فلابد أن تكون صـادرة عـن أعظم، لأنه لايصـدر العظيم إلا عن أعظم. وهكذا بقية صفات الكمال.

ثم يضم إلى ذلك أدلة الوحـدانيـة كبـرهان التمـانع فينتج أنـه لا أعظم من الرب سبـحانه ولا أكبر ولا أعلم ولا أقدر.. إلخ.

ومـعنى وجوب الوجـود في كلام الفـارابي وغيره ضرورة تفسير الخلق بخالق.

ومعنى قول الفارابي «لاعلة لوجوده» مفسَّرٌ بقوله: «لايكون وجوده لشيء آخر غيره».

قـال أبو عـبـد الرحـمن: يـقبـل هذا الكلام بمعنى أصح، وهو أن ضـرورة تفـسيـر الكون بخـالق أعظم وأكـبـر وأعلم وأحكم وأقـدر.. إلخ: أوجـبـت الاعـتـقـاد بالرب في قـلوبنا، وأوجبـت أن لارب غيره وأنه الأول، وأن إلـيه المنتهى.

قال أبو عبـد الرحمن: والوجوب والإمكان في هذا الموضوع إنما همـا بالنظر إلى الذات لا إلى غـيـر ذلـك، وبيـانـه أن الممكن يـكون محتملاً لأن الله لايعـجزه شيء والأمر متعلق بإرادته، وقـد يـكون مـتـعين الوقــوع لوجـود المقتضي وتخلف المانع فيكون واجبًا بإيجاب الله لا بذاته.

وقد يكون تَعَيُّنه يقينًا، أو رجحانا، أو مجرد احتـمال لا بالنظر إلى المقـتضيات والموانع بل بالنظر إلـى درجـات علمنا وجـهـلنا بالوقـوع وبالمقتضيات والموانع.

قال أبو عـبد الرحمن: ومما يوجب التذكـير بشكر اللـه على نعـمـة البيــان والعـقل قـول الدكتور مدني صالح: « البرهنة على التفرد أو التـوحد بصفـات لاتفيـد الوحدانيـة، بل لابد من البرهنة على أن المتفرد واحد».

قال أبو عبـد الرحمن: هذا لغو غير مـتصور

يبقى العلم بالله تفصيلاً عن طريق العلم الشرعي والخبر الشرعي

لا في اللغة ولا في العقل.

والمراد، بالتـفـرد والتـوحـد تفـردٌ وتوحـدٌ معـهـود، وهو «واجـب الوجود»، فـصـارت النتيـجةُ تَوَحُّدَ متوحدٍ متعين، وتفردَ متـفردٍ متعين.

وإذن فـالنتيـجة أن التـوحـد تعني وحدانيـة المتوحد، لأن التوحد منسوب إليه، ومن توحد بصـفـة فـهو واحـد فـيـهـا.. هذا حكم اللغـة والعقل.

وفي سلسلة العـجب المقـتضيـة تذكُر شكر المنعم بالعـقل والبيـان قـول الدكـتـور مـدني «الذي يفيد الوحدة ضرورة استحالة الكثرة»

قـال أبو عبـد الرحـمن: المؤدى واحـد لأن الوحــدة نفي للكثــرة، ونفي الكثـرة اثبـات

الفارابي
وميتافيزيقا العقيدة

للوحدة.

ونضرب المثل بصفة الخلق ليست لغير الله سبحانه، فإثبات صفة الخلق لله وحده بأي برهان، وسلب صفة الخلق عن غيره بأي برهان.. كل ذلك يعني أن الخالق واحد، لأنه المتفرد في صفة الخلق.

وإذا أطلقت الصنعة والاختراع والإبداع والخلق على غير الله فذلك تجوُّزٌ لاحقيقة، لأن المخلوق لايوجد مادة ولا عنصرًا، بل يصنع من ماء خلقه الله، وتراب خلقه الله، ونار خلقها الله، وهواء خلقه الله.. وبأنامل خلقها الله، وبعقل خلقه الله، وبتعليم من الله، وبتعلُّم على خلق الله.

قال أبو عبد الرحمن: وقد خلط الفارابي بين البدهيات والتصورات عندما جعل معاني الوجوب، والوجود، والإمكان بدهية.

والواقع أن البدهي ما كان دليلاً على غيره، وأما معاني الوجود والوجوب والإمكان فإنما هي تصورات حسية، لأنها معان لغوية، واللغات رموز عن التصورات والإحساسات ومعنى الوجود ليس برهانًا على غيره.

ولإثبات هذا الفرق أذكر نماذج من البدهيات كانت برهانًا على غيرها، وذلك بالالتقاط من كلام للإمام أبي محمد ابن حزم رحمه الله تعالى فمن ذلك بديهة أن المخلوق لايعلم الغيب.

فهذه البديهة بني عليها العلم بحجية التواتر.

قال أبو محمد عن الطفل: «ومنها ـ أي من البدهيات ـ علمه بأنه لايعلم الغيب أحد، وذلك أنك إذا سألته عن شيء لايعرفه أنكر ذلك وقال: لا أدري».

ومن البدهيات العلم بأن الجزء أقل من الكل، فهذه برهان للطفل في سلوكه وإن كان لايحسن التعبير عنها.

وأمارة بنائه عليها أنك إذا أعطيته تمرتين بكى وإذا زدته ثالثة سُرَّ.

ومنها العلم بأن المتضادين لايجتمعان لأنك إذا أوقفته قسرًا بكى ونازع إلى القعود علمًا بأنه لايكون قائمًا قاعدًا معا.

ومنها العلم بأنه لايكون شيء إلا في زمان، والطفل يسأل بمتى عن كل ما استجد على معهوده ومنها العلم بأن لكل شيء طبيعة وماهية، وأن كل فعل لابد له من فاعل (٢).

قال أبو عبد الرحمن: وليس بصحيح قول الفارابي: أن تصور معنى الجسم مسبوق بتصور معنى الطول والعرض والعمق، لأن هذه الأشياء بعض معاني الجسم، ومعنى الجسم مكوَّن من تلك المعاني، فهو ذو حَيِّز وامتداد وأبعاد.

إذن لايقال: إن معنى الجسم مسبوق بتصورات، بل يقال: إنه جملة تصورات.

قال أبو عبد الرحمن: ومثل ذلك دعواه أن التصديق بأن العالم محدث مسبوق بالتصديق بأن العالم مؤلف.

بل الصواب: أن الحدوث طروء شيء، وأن المحدث حدوث عن فاعل قادر مختار سبحانه وتعالى.

وللمحدث صفات منها التغيُّر والتأليف، وليست هذه الصفات والتصديق بها سابقة للتصديق بأن العالم محدث، لأن تلك الصفات مأخوذة من الموصوف بالإحداث وهو العالم، وليست من معاني حدث اللغوية، بل معنى الحدوث لغة الطروء بعد أن لم يكن.

والتصديق بأن العالم محدث نتيجة التصديق بأن الله الأول الخالق لاشيء قبله ولا خالق غيره. فعُلِمَ جملة أن العالم كله بإحداث الله.

وعُلِمَ ضرورة أن لكل حادث محدثًا؛ لأن ذلك ضرورة عقل تخرمها المشاهدة ولاخبرة البشرية.

وعلم تفصيلاً أن هذا الشيء محدث للعلم بتاريخ حدوثه، أو بمشاهدة صفات الحدوث فيه كالتكوُّنِ التدريجي والتغيُّر.

والمثالب الثلاث اللاتي وصم بهن الدكتور مدني فلسفة الفارابي من الظلم والحيف، لأن واقع الدعوى ـ لاصحتها ـ ينصبُّ على جزء من فلسفة الفارابي وهو تكييف واجب الوجود بعد العلم بوجوده.

ففلسفته في إثبات واجب الوجود علميَّةٌ. وتوقُّفه عن التكييف منهج العلم، لأن مالا يعاين لايُكيَّف.

ومعنى وصف واجب الوجود بأنه يبهر الأبصار ليس تصوفًا ولا ميتافيزيقا خرافة ولا لاهوتًا من صنع البشر، بل ذلك نتيجة البرهان على أن واجب الوجود أكبر وأعظم وأعلم وأحكم وأعلى، وأن المخلوق ضعيف عاجز محدود الحس.

ويبقى العلم بالله علمًا تفصيليا عن طريق العلم الشرعي والخبر الشرعي والله المستعان.

الهوامش:

١ ـ راجع مجلة المورد / العدد الخاص بالفارابي.
٢ ـ انظر الفصل ١/ ٤٠-٤٢، دار الجيل، بيروت.

حوار مع

الروائي السوري حنا مينه :

الروايـة .. ديوان العرب الآن!

أجراه: خالد عواد الأحمد



تجربة الروائي العربي السوري حنّا مـينه تمثل ملمحًا بارزًا في ساحة الرواية العـربية المعـاصرة، وهو كـاتب مسكون بـهاجس السـعي لاقتناص كل مـاهو جوهري وتاريخي فنيًا، وامتلاك الشكل الروائي الصارخ بذاتيته، ساعده على هذا الطمـوح تجربة مـديدة، وانغـمَاس كـلي في الواقع العـربي الذي يمور بالأحداث والمتغيرات.

وُلِدَ الرجل عـام ١٩٢٤م في كنف أسـرة فـقـيـرة فـي لواء الإسكندرونة السليب. عانى مرارة الفاقة، واكتـوى بعذاب التشرد، وتقلب في مهن شتى، خالط عمال البحر في الموانئ السورية، وعمال التبغ وعمال الحفر، والعاطلين عن العـمل والمشرديـن. كمـا كـابد مكـابدة قاسـية عـالم السـجون الأسـود، وتوافرت لديه من ذلك كله تجربة غنـية كان لها الدور الكبير في تفتح وعيه، وانخراطه في دروب الكفاح والمعرفة، مما انعكس على خطابه الروائي.

في هذا الحـوار الذي أجـريتـه مع حنا مـينه في مكتبـه في وزارة الثقـافة السـورية، نتعـرف جـوانب مهـمة في حـقل تجربة هذا الكاتـب العربي الكبـير، بعض آرائه في العـديد من القضـايا المتعلـقة بحـركة الرواية العربية التي قـال عنها ذات يوم إنها: «ديوان العرب في القرن العشرين»

بين الثقافة والمعرفة

ما المؤثرات والروافـد الثقافية التـي أسهمت في تكوين تجربتك الروائية؟

ثمـة مؤ ثرات وروافـد ثقـافـية كـثيرة، بـعضـها مـستـمد من الكتب، و أكـثرها من تجـارب الحيـاة. ولنذكر هنا قـول مكسيم جوركي: « ما نتـعلمه من النـاس هو الذي يظـل راسـخًا فـي النفس»، وقـــد تعلمتُ من الناس منذ وعيتُ الوجـود، ودفعتُ ثمنًا باهظًا لتلك الدروس التي تلقيتها في جامعة الحياة.

إن الثقـافة هي نتـاج الذهن والسلوك البـشري، والمعـرفة هي الحـصول على هذه الثـقافة بشقـيهـا: النظري والتطبيقي، وقد حصلتُ على ثقافة الكتب، لكنني، قبل ذلك، حصلت على ثقـافة العيش الذي كنتُ فـيـه كـالحديدة الـتي أُلقـيت في النار، وعلى مدى عمـري كله، ظلت حياتي، في سعـة تجاربها، حديدة تصهرها الحيـاة في بوتقة بؤسها الشديد، ثم تسقـيـهـا المعـرفـة المُتَحَصَّلة من الكـتب، وهكذا (تفولذ) المعدن الذي منه تَشكَّلَتْ تجربتـي الروائية، في الصيـاغة التي أعْطَيـتُها من بعد حيـاةً باعتـباري مبدعًا أديبًا.

إن الأدبيات الكلاسيكية الروسية، من بوشكين إلى تولستـوي وديستويفسكي وجـور كي وتشدرين وتشيخوف وغيرهم، والثـقافة الغربية، من جوته إلى تشيللر إلى هيجـو إلى ديكنز إلى همنجواي وآخرين كثيـرين، كانت روافـد في تشكيل ثقافـتي، لكن ما

الروائي السوري حنا مينه

الرواية .. ديوان العرب الآن!

تعلمته من حياة الكفاح والتشرد وممارسة المهن المتعددة، أمدني بالمادة الروائية المطواع المتسمة بالغنى.

ويمكنني القول أن ما أفدته من قصص والديَّ، وحكايات الصيادين والبحارة وأبناء الشعب الذين يعيشون في الأحياء الفقيرة والشوارع الخلفية، قد أفادني أضعاف ما أفدته من الكتب وَسَادة الثقافة المحترمين.

وكنت كما قال همنجواي، فلم أصف سوى ما رأيت وعايشت، ولم أكتب إلا عن التجارب الواقعية التي عرفتها معرفة معاناة، وكنتُ صادقا في كل شيء خبرته أو كتبته. من هنا تجد تلك الروح



ارنست همنجواي



الطيب صالح



تولستوي

الشعبية البطولية التي يتسم بها أبطال رواياتي وقصصي، فالجميل هو الصادق ولا شيء غير ذلك، وجماليات أدبي قد أكسبها صدق تجربتي - وامتلاكي مفهومًا عن العالم قد وفرَّه لي الحس التاريخي - قدرًا كبيرًا من الواقعية الفنية التي أقول جهارًا إنني أديبها، وبخاصة في مجال البحر، هذا العالم الذي تفردتُ به، لأن أدبنا العربي، القديم والحديث، لم يقاربه رغم أننا نعيش على شواطئ بحار عديدة.

واقعية ثلاثية الأبعاد

أين يقف حنا مينه بعد هذه التجربة من الرواية العربية؟ هل يعدُّ امتدادًا لحركة الرواية العربية التي ظهرت بوادرُها بُعيْد الحرب العالمية الثانية، أوإنه نسيج وحده؟

سوف أكون مغاليًا إذا قلت إنني نسيج وحده، رغم أن أدب عالم البحر قد كان عطائي ، ولا تنفصل تجربتي - من حيث البنية الأسلوبية - عن تجربة الرواية بعد الحرب العالمية الثانية وقبلها، ولكن الامتداد المقصود في التجربة يتعلق فقط بالواقعية التي قامت على أنقاض الرومانسية التي انتشرت في مصر وبعض أقطار الوطن العربي قبيل الحرب العالمية الثانية.

وإذا كانت الواقعية، كما عَرَفَتْها روايات توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس، و توفيق يوسف عواد وغائب طعمة فرحان وعبد السلام العجيلي كرعيل أول، ثم روايات جبرا وصلاح حافظ وغيرهما من الجيل الثاني، قد عَرفت بُعدين اثنين: هما الماضي والحاضر، فإن واقعيتي تجاوزت في واقعيتها إلى البعد الثالث وهو المستقبل، إضافة إلى أن واقعيتي تأخذ الرومانتيكية في حسابها، فمن يتحدث عن الطبيعة كما في رواية «الياطر»، وعن العاصفة كما في «الشراع والعاصفة»، وعن الكفاح كما في رواية «الثلج يأتي من النافذة»، فإنني روائي واقعي رومانتيكي، وهذا ما لاحظه النقاد جيدًا.

سيدة الأجناس الأدبية

هناك على الساحة الروائية أسماء بارزة أهمها في مصر نجيب محفوظ، وفي السودان الطيب صالح، وفي العراق جبرا إبراهيم جبرا، إضافة إلى أسماء أخرى مهمة. أين موقع حنا مينة من هذه الأسماء، من حيث التجربة الروائية، ومن حيث هندسة الرواية؟

هذا السؤال يُوجَّه إلى النقاد، فدوري أنا ينتهي عند الانتهاء من كتابة الرواية، ويبدأ بعد ذلك دور النقاد في تعيين موقعي، وتصنيف المعمار الروائي في أعمالي.

ولو كان هناك نقد أدبي عربي يواكب الإبداع الأدبي في شتى أجناسه، لكان قد أعطى الجواب على سؤال كهذا، لأنه من صميم مهمته، فالناقد يعرف أكثر وأحسن من الروائي في أي موقع هو، وعلى أية صورة تنهض عمارته الروائية. ومن المؤسف أن النقد الأدبي العربي متخلف عن حركة الإنتاج الأدبي، وهو يكاد يكون غائبًا عن الساحة الأدبية تمامًا.

لا يعني هذا أنه ليس ثمة نقاد في الوطن العربي، لكن الحركة النقدية العربية التي عرفتها فترة الخمسينيات قد ضَمُرت الآن، وأصبح النقد تعريفيًا هامشيًا متخلفًا جدًا.

وعلى كلٍ، إذا كان هناك مايُنقد في الأجناس الأدبية في وضعنا الراهن أكثر من غيره فهو الرواية، لأنها سيدة الأجناس الأدبية، ولها مكانة الصدارة، ولهذا يميل إليها الكتاب «ويُخلِّطون» فيها تخليطا.

كيف حملت القلم؟

كتابك «كيف حملت القلم؟» تسجيل دقيق لتجاربك، وتضاريس حياتك، ونظرتك إلى الكون والحياة والناس. هل هو مشروع سيرة ذاتية أو رواية من نوع خاص؟

هذا الكتاب ليس سيرة ذاتية ولا رواية بأي شكل. إنه آراء في الأدب، وبعض تجارب من الحياة، وفيه عرض لنماذج من الناس عرفتهم في حياتي،

وتقاسمت معهم الخبز والملح.

لقد أمطرني الذين يكتبون دراسات عن رواياتي، لنيل الدرجات الجامعية بالأسئلة، كما حملت إليّ رسائل القرّاء الكثير من الاستفسارات عن موضوع الكتابة، وكيف بدأت بها؟ ولماذا؟ إلى آخر قائمة طويلة من الاستيضاحات حول آرائي في بعض المسائل الأدبية، وفي كتابي «كيف حملت القلم؟» محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة والاستفسارات. وإذا كان الكتاب ينطوي على نزوع قصصي، فذلك عائد إلى أنني قاص، ولست دارسًا أو باحثًا، ولا أستطيع ، حتى في بسط آرائي

دفعت ثمنًا باهظًا للدروس التي تلقيتها في جامعة الحياة.

الأدبية المجردة، التخلص من ملكة القص الروائي، ولا أدري هل هذا من الحسنات أو السيئات، ولا يهمني الحكم في هذا المجال.

إنني أكتب، وبالطريقة التي تتوافق مع الموضوع، ثم لا يعنيني ما يقوله الآخرون.

ما مفهومك للرواية (المؤدلجة)، وهل هناك فن روائي جمالي خارج إطار الفكر (الأيديولوجيا)؟

ليس من أدب دون فكر، وليس من فكر إذا كان خاليًا من نزعة فكرية ما (الأيديولوجيا)، ولكن هناك مذاهب فكرية (أيديولوجيات) لا مذهب (أيديولوجيا) واحد. وفي كل الأحوال فإن (الأيديولوجيا) لا تتبدى صافية، خالصة، في أيّ عمل أدبي. لأن الأدب يحمل في ذاته رواسب القديم وبشائر الجديد، ومن هنا فإن (الأيديولوجيات) دلالة حديثة أكثر منها مقولات سياسية أو اقتصادية، وكل أدب يحاول أن يبني نفسه على أساس ذهني، وعلى إسقاطات فكرية وتعسفات حوَارية، هو أدب فقير، مُسَطَّح، غير جدير بهذه التسمية.

السينما ونبض الرواية

ثمة بون شاسع بين روايتك المقروءة وروايتك المرئية «المؤفلمة». فمن المسؤول عن فقدان هذا البريق؟ هل السينما أو الإخراج. أو أن ثمة شيئًا آخر تراه أنت فقط؟

المسؤول عن عدم المطابقة بين الرواية والفيلم هو السينما، بكل تقنياتها. إنهم لا يستطيعون إبراز نبض الرواية عند تحويلها من صورة مقروءة إلى صورة مرئية، وهذه خطيئة وَقَعَتْ فيها السينما في أكثر بلدان العالم تقدمًا.

إذن لماذا تألقت أعمالُ نجيب محفوظ في السينما، وكثير من أعمال إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي العادية جدًا؟

لم تتألق كل روايات نجيب محفوظ في السينما. ولا كل روايات همنجواي نفسه. وقد سُئل المخرج السوفياتي الشهير أيزنشتاين: لماذا لم ينجح هذا العمل الأدبي في السينما؟ فأجاب: «لأنه عمل أدبي!»

أما أعمال عبد القدوس والسباعي فهي مادة صالحة للأفلام المصرية المعروفة.

الموضوع يتطلب شكله

في رواية «مأساة ديمتريو» دخلت تجربة حنا مينه الروائية مرحلة جديدة، حيث لجأ إلى الكتابة بأساليب روائية جديدة. فهل هذه محاولة لإيجاد علاقة جدلية ما بين الشكل والمضون، أو إنه نوع من التجريب الروائي الجديد؟

أكتب الرواية بأساليب مختلفة. إن «الياطر» لم تُكتب بأسلوب «بقايا صور»، و «الشمس في يوم غائم» لم تكُتب بأسلوب «المستنقع» أو «القطاف» أو «نهاية رجل شجاع». الموضوع هو الذي يتطلب شكله، ولست مهتمًا بالتجريب أو الصرعات الروائية.

ما صورة الرواية المستقبلية كما يراها حنا مينه؟

هناك مقولة رائعة لأندريه مالرو مفادها: إن الرواية الحديثة وسيلة محظوظة للتعبير عن العنصر المأساوي في الإنسان.

هل حملت الرواية العربية المعاصرة هذا التصور برأيك؟

نعم في بعضها على الأقل.

بإيجاز ... كيف ترى مسؤولية المبدع العربي في صنع المستقبل العربي؟

على المبدع العربي أن يبلور عصرًا تنويريًا نحن بحاجة إليه ولْنَدَعْ الكلمات الكبيرة عن صنع المستقبل العربي من خلال الكلمة جانبًا.

من أعمال حنا مينه الأدبية :

الروايات:
١- المصابيح الزرق، ١٩٥٤م.
٢- الشراع والعاصفة، ١٩٦٦م.
٣- الثلج يأتي من النافذة، ١٩٦٩م.
٤- الشمس في يوم غائم، ١٩٧٣م.
٥- الياطر، ١٩٧٥م.
٦- بقايا صور، ١٩٧٥م.
٧- المستنقع، ١٩٧٧م.
٨- المرصد ١٩٨٠.
٩- ثلاثية حكاية بحار، ١٩٨١م.

القصص:
١- الأبنوسة البيضاء.

كتب أخرى:
١- أدب الحرب مع الدكتورة نجاح العطار، ١٩٧٥م.
٢- ناظم حكمت (السجن- المرأة - الحياة) ١٩٧٨م.
٣- ناظم حكمت ثائرًا، ١٩٨٠م.
٤- هواجس في التجربة الروائية - مقالات - بيروت، ١٩٨٢م.
٥- كيف حملت القلم؟.

قصة قصيدة

وصية ذي الإصبع لابنه

د. محمود الربداوي

وصيّة ذي الإصبع العَدواني لابنه أُسَيْد:

أ أُسَيْدُ، إنْ مـــالاً ملكــ ـتَ فَسِرْ به سيرًا جميلا
آخِ الكرامَ إنِ اســتطعْـ ـت إلى إخائهم سبيلا
واشــربْ بكأســهم وإنْ شربوا به السُّمَّ الثميلا
أهِنِ اللئـــام ولا تكنْ لإخائهمْ جملاً ذلولا
إنَّ الكـــرامَ إذا تُوا خيهمْ وجدتَ لهم فُضولا
ودَعِ الذي يَعِدُ العشيـ ـرةَ أن يسيل ولن يَسيلا
أبُنيَّ إنَّ المـالَ لا يبكي إذا فقد البخيلا
أ أُسَيْدُ إنْ أزمعتَ مِن بلدٍ إلى بلدٍ رحيلا
فاحفظ، وإنْ شحط المزا رُ أخا أخيك أو الزميلا
واركبْ بنفسك إنْ هممْـ ـتَ بها الحزونة والسهولا
وصِلِ الكرامَ، وكن لمن ترجو مودَّته وَصولا
ودَعْ التواني في الأمو رِ، وكن لها سَلِسًا ذلولا
وابسُطْ يمينكَ بالندى وامدُدْ لها باعًا طويلا
وابسطُ يديك بما ملكـ ـتَ، وشيِّد الحسَبَ الأثيلا
واعزِم، إذا حاولت أمْـ ـرًا يفرج الهم الدخيلا
وابذل لضيفك ذات رحْـ ـلكَ مكرمًا حتى يزولا
واحلُلْ على الأيفاع لِلْـ ـعافين، واجتنب المسيلا
وإذا القُرومُ تخاطرتْ يومًا، وارعدتِ الخَصيلا
فاهصُرْ كهصر الليث حَضّـ ـبَ من فريسته التليلا
وانزل إلى الهيجا إذا أبطالُها كرهوا النزولا
وإذا دُعِيتَ إلى المهمِّ... فكن لفادحه حَمولا

يشكّل أدبُ الوصايا جنسًا أدبيًا يكاد يكون قائمًا بذاته، يمتد على مساحة كبيرة في أجناس أدبية أخرى كالشعر والنثر والخطب والرسائل المكتوبة والحوارات الشفهية. وهو جنس أصيل عريق في الأدب العربي، يوغل في القِدَم حتى أعماق تاريخ الأدب، مارسه الشاعر والناثر والحكيم المفوّه قبل أن يمارس الكتابة والتدوين، وتناقله الرواة لنفاسة موضوعه وكثافة مادته، ولكنه انحسر وتراجع في الأدب العربي الحديث. ومع كل هذه الميزات التي تتوافر في أدب الوصايا فإنه لم يَحْظَ بالدراسات الأكاديمية الجادّة إلا في القليل النادر، فظل هذا الأدب «روضة أُنُفًا» تستحق من الدارسين الجهود التي تُكافأ بكشف المجهول وبلذة الارتياد.

ولعل أخصب ألوان أدب الوصايا ذلك اللون المتمثل بوصايا الآباء للأبناء؛ لأن هذا النوع من الوصايا أصدق عاطفةً، وأكثف تجربة وأكثر واقعية وأحفل أفكارًا.

ووصيّة الأب لابنه تُمليها ظَروفٌ حياتية واجتماعية

وسياسية، تحتّم البوح بمكنونات الأفئدة. ومن هنا جاء صدقها وعفويّتها، ومن هنا جاءت قيمتها الفنية والفكرية.

ومن هذا المنظور يُنظَر إلى وصية ذي الإصبع العَدواني لابنه أُسَيْد، موضوع هذه القصيدة فالموصي رجلٌ كبير حنّكته التجارب، فجعلته سيّد قبيلة عَدوان، سادها بميزات توافرت فيه، فذاق طعم السيادة والسؤدد، ومارسها بحكمة ورويّة، فكان الحكيم الذي تلجأ إليه القبيلة فيما شجَرَ بين أفرادها من مُعضلات، فكان يعالجها ويرأب صَدعها.

فذو الإصبع - بالإضافة إلى أنه سيّد فارس مقدام، له غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة - كان شاعرًا حكيمًا، وجاء من نسله شعراء مارسوا فن القول، لعل أشهرهم ابنته أُمامة، وقد ساق له أبو الفرج الأصبهاني قصة طريفة تتعلق ببناته الأربع اللواتي عَضَلَهن فترة عن الزواج. والرجل مشهودٌ له بالشاعرية في مجتمع الجاهلية، له قصيدة نونيّة تؤيد رصانة شعره، مطلعها:

يا من لقلبٍ شديد الهمّ محزونِ
أمسى تذكَّر ريّا أمَّ هارونِ

وهي قصيدة طويلة نفيسة يحفظ الأدباء منها أبيات الحكمة التي تداولتها الألسنة، والتي يقول فيها:

كلُّ امرئٍ راجع يومًا لِشيمته
وإن تخلّق أخلاقًا إلى حين
إنّي لعمرك ما بابي بذي غَلَقٍ
عن الصديق ولاخَيْري بممنونِ
ولا لساني عن الأدنى بمنطلقٍ
بالمنكرات، ولافتكي بمأمون
لا يُخرج القَسْرُ مني غير معضَبةٍ
ولا أَلينُ لمن لايبتغي لِيني
فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا
وإن غبيتم طريق الرشد فأتوني

لهذه الحكمة السديدة كان معاوية بن أبي سفيان يحفظ شعره ويستنشده ويتمثل به حواراته السياسية والاجتماعية.

ومن مُستَملح أخباره مارواه صاحب الأغاني عن قصيدته اللامية التي نحن بصدد الإشارة إليها، قال:

«ولمّا احتُضِرَ ذو الإصبع دعا ابنه أُسيْدًا فقال له: يابُنيَّ! إنّ أباك قد فني وهو حيّ، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عنّي: أَلِنْ جانبك لقومك يحبّوك، وتواضَع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك. ولا تستأثر عليهم بشيء يسوِّدوك، وأكرِمْ صغارهم كما تُكرم كبارهم يكرمك كبارُهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمحْ بمالك، واحمِ حريمك، وأعزز جارك، وأعِنْ من استعان بك، وأكرِم ضيفك، وأسرِع النهضة في الصريخ، فإنَّ لك أجَلاً لا يَعْدوك، وصُن وجهك عن مسألة أحدٍ شيئًا، فبذلك يتم سؤددك ثم أنشأ يقول:

أ أُسيد، إن مالاً ملكت فسرْ به سيرًا جميلاً... إلخ.

هذه الحكمة المكثّفة في النصّين الشعري والنثري هي جماع التجربة والعقل الحصيف لرجل مارس السيادة وألمَّ بطرفٍ كبير من مكارم الأخلاق التي تعارف عليها المجتمع القبلي في جاهليته. فلمّا أحسّ بدنوّ الأجل واقتراب المنيّة لم يجد خيرًا من ابنه، وأحق من فلذة كبده، ينقل إليه (حصيلة العمر) المعنوية. فكانت هذه الكلمات النثرية الموجزة، والأبيات الشعرية المركزة.

الذوق بين الذاتية والموضوعية

د. ربيع محمد عبد العزيز

يعد مصطلح الذوق من أكثر المصطلحات النقدية شيوعا في مصنفات النقدة والبلغاء على اختلاف أزمانهم، وتباين مذاهبهم النقدية، فهو موجود خلف كل عمل نقدي، سواء اعترف الناقد بوجوده، أم ادعى الموضوعية الخالصة، وزعم أن موضوعيته ليس فيها أثر من الذاتية.

والذوق لغة: مصدر ذاق يذوق ذوقا، ولك أن تقول: ذواق ومذاق طيب؛ فالذواق هو المأكول والمشروب؛ والمذاق طعم المأكول أو المشروب. ويكون الذوق فيما يحمد ويكره، قال تعالى: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ (النحل:١١٢)؛ أي ابتلاها بسوء ما خبرت من عقاب الجوع والخوف. (١)

والذوق اصطلاحا: ملكة يحكم بها على الأشياء عن طريق الإحساس والتجربة الشخصية، وغالبا ما تتدخل أهواء الناقد في هذه الملكة (٢)؛ ومعنى هذا أن الذوق مجموعة من المواهب الفطرية والخبرات المكتسبة، التي تعطي صاحبها حق إصدار أحكام تستحسن عملا وتستهجن آخر؛ ولذلك نجد مفهوم الذوق عند الزمخشري يتسع بحيث يشمل ملكة الحكم على الناس والأشياء، ولا يقتصر على نقد النصوص والآثار الأدبية، ومن ثم يسوغ لك القول: «ذقت الناس وأكلتهم، ووزنتهم وكِلْتُهُمْ، فما استطبت طعومهم، ولا استرجحت حلومهم، وذاق القوس: تعرف لينها من شدتها» (٣).

وما من ذوق إلا وينهض على أساسين: أساس موهوب، لا يد للإنسان فيه، وإذا اكتفى الإنسان به سُمِّي ذوقُهُ ذوقا فطريا مجردا. وأساس مكسوب، يتحقق بالدربة والمران؛ إذ يتعهد الإنسان ذوقه الفطري بالرعاية والصقل، عن طريق إدمان قراءة الآثار الأدبية، وطول صحبتها، وحفظ القطع الممتازة منها، والمرانة على استقبال تأثيراتها الجمالية والتفاعل معها. فإذا بلغ الذوق هذا المرتقى استطاع أن يتدثر بدثار من الموضوعية، التي تعطيه مشروعيته، وتجعل القراء يثقون في الأحكام النقدية التي تصدر عنه.

وإذا كان الذوق الفطري المجرد ذاتيا، فإن المعرفة المكتسبة هي التي تصبغه بالموضوعية؛ ولذلك يخطئ من يظن أن النقد الموضوعي يخلو من الذاتية. كما يخطئ من يعتد بالحكم النقدي الصادر عن ذوق فطري مجرد، وإلى هذه الحقيقة فَطِنَ خلف الأحمر عندما قال له قائل: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك، فما كان من خلف إلا أن قال له: إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته، فقال لك الصيرفي: إنه رديء، هل ينفعك استحسانك له. !؟ (٤).

وإذن فالذوق الفطري المجرد هو نوع من التحكم في الشعر والنثر بغير سند، ولذا علينا أن نُعْرِضَ عن الأحكام الصادرة عنه، وأن نثق بأنه كما أن للنقود صيارفة يختصون بتمييز صحيحها من زائفها، كذلك للأدب قضاة يجمعون بين الذوق المصفى والمعرفة العميقة، وهم وحدهم المختصون بالقضاء في جيده ورديئه، وتمييز صحيحه من زائفه.

ويثير مصطلح الذوق العديد من المشكلات النقدية، فمن ذلك أن الأذواق تختلف باختلاف العصور والبيئات، بحيث يستحسن في عصر أو بيئة ما لم يكن مستحسنًا في عصر أو بيئة أخرى، وقد نبه عبد الكريم النهشلي على هذه الحقيقة، إذ يقول: «قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره» (٥).

ولايقتصر اختلاف الأذواق على أبناء العصور المتعاقبة والبيئات المختلفة، وإنما يختلف الذوق بين أبناء العصر الواحد والبيئة الواحدة، ومن ثم تختلف الأحكام النقدية التي تصدر عن مثل هذه الأذواق، ولاينعقد الإجماع على تقديم شاعر بعينه، أو تفضيل ناثر على أقرانه. وفيما رواه ابن سلام الجمحي ما يدل على ذلك، يقول: «سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما». (٦)

على أن اختلاف الأذواق له جانب إيجابي، وله جانب سلبي، أما جانبه الإيجابي فمن أبرز

مظاهره أنه لا يجعل نقد الأدب يعرف كلمة أخيرة أو حكما نهائيا، وهذا من شأنه أن يخلق رواجا نقديا، ويجعل كل جيل من النقدة يعيد النظر في موروثه النقدي، ويعيد قراءة النصوص الأدبية القديمة. ولاشك أن تعاقب القراءات يضيء في النصوص جوانب خفيت على الأسلاف، ولاسيما إذا استثمر الناقد المعاصر ما يقدمه له العصر من مناهج وأدوات معرفية لم تكن متوفرة لأسلافه، وهكذا يجدد الدرس النقدي نفسه، ويصبح اختلاف الأذواق مصدر صحة للنقد الأدبي.

أما الجانب السلبي لاختلاف الأذواق فمن أبرز مظاهره أن الناقد حين يواجه نصوص الأدب الأموي مثلا، لن يستطيع أن يصطنع لنفسه ذوقا خاليا من أية شوائب عصرية ولا يصح أن يحتفظ بذوقه العصري في مواجهة نصوص قديمة. وإزاء هذا فإن مواجهته للأدب الأموي لن تسفر عن نتائج دقيقة، أو إن شئت فقل: إن احتفاظنا بأذواقنا المعاصرة إزاء تلك النصوص يشكل خطرًا عليها؛ لأننا سنذوقها بذوق عصري، وقد نستهجن فيها ما كان في العصر الأموي مستحسنًا، كما قد نرى فيها أشياء أقل مما تنبغي رؤيته، ونحملها من التأويلات فوق ما تطيق.

ولكن ما يخفف من خطر هذا الجانب السلبي لاختلاف الأذواق، أن أذواقنا العصرية ليست منبتة عن أذواق أجدادنا في العصر الأموي أو ما قبله وما تلاه من العصور، وإنما هي حلقة في سلسلة الذوق العربي العام، ومن ثم فهي إنْ تكن تحمل الكثير من ملامح عصرنا الراهن، فإنها أيضا تحمل قدرا ليس بالقليل من أذواق أجدادنا فيما تقضي به عوامل الوراثة، ولولا ذلك لانقطعت الصلات بين ماضي أدبنا وحاضره المعيش.

ومن المشكلات التي يثيرها مصطلح الذوق: عجز الناقد ـ أحيانا ـ عن تسبيب انطباعاته الجمالية، وإخفاقه في تبرير بعض أحكامه النقدية،



د. محمد مندور

وتلك مشكلة لا سبيل إلى إنكارها أو تجاهل خطرها؛ لأن النقاد الصادقين مع أنفسهم وقرائهم لايترددون في الاعتراف بها، على نحو ما نرى في اعتراف الدكتور محمد مندور: «ومن المؤكد أن أي ناقد لايمكن أن يستطيع تبرير وتسبيب جميع انطباعاته وأحاسيسه الجمالية المرهفة الهَروب» (٧).

إن الاعتراف بالعجز عن التبرير خير من إنكاره، وهو عجز راجع إلى أن الناقد يحس في النص أشياء دقيقة مرهفة بحيث يعسر عليه أن يقتنصها بكلماته، وأن يطوعها لألفاظه؛ ولذلك ينبغي ألا نفقد الثقة في ذوق الناقد، حتى حين يعجز عن تبرير بعض أحكامه؛ لأن الناقد في نهاية الأمر ليس سوى إنسان لن يستطيع ـ مهما أوتي من رهافة الحس وصفاء الذوق وسعة المعرفة ـ أن يحيط بكل الدقائق علما، وهذا من شأنه أن يفتح المجال أمام النقاد المحدثين كي يبنوا فوق ما بنى أسلافهم، ويضيفوا إليه، ويكملوا نقصه، ويتلافوا عيوبه.

ومن المشكلات التي يثيرها مصطلح الذوق أيضا، أن أهواء الناقد تتدخل في أحكامه، وتلون آراءه، بل قد تفسدها أحيانا، وهنا ينبغي أن نفرق بين الأهواء الفنية الصحيحة، والأهواء الشخصية المريضة؛ فعندما لايكتم الآمدي إعجابه بالبحتري فليس ذلك مفسدا لأحكامه، ولاسيما أنه يفضل أبا تمام على البحتري غير مرة. أما الأهواء الشخصية المريضة فهي لا ريب مُفْسِدَةٌ للنقد، باعثةٌ على عدم الثقة به. ومن مظاهرها ما تنقله المصادر من عداء ابن الأعرابي لأبي تمام، حتى إنه سمع منشدًا يقول:

وعاذل عذلته في عذله

فظن أني جاهل من جهله

أخذ يهتف طربا بما يسمع، وطلب إلى المنشد أن يكتب له هذه الأرجوزة؛ لأنه لم يسمع بأحسن منها، فلما أبلغه المنشد أنها لأبي تمام صاح به: خرق خرق (٨)..!! إن الرواية تُفْقِدُنا الثقة في ذوق ابن الأعرابي، حتى وإن بدا ـ أحيانا ـ متجردًا من أهوائه الشخصية. وحين يفقد الناقد ثقة قرائه يفقد جانبا من أسباب استمراره وفاعليته.

ومهما يكن من أمر فسوف يظل الذوق من أكثر المصطلحات النقدية إثارة للجدل، وأكثرها حضورافي كل عمل نقدي. ويظل الناقد مطالبا في كل الأحوال بأن يُنَزِّهَ ذوقه عن التحكمات المغرضة والأهواء المريضة، حتى لا يَفْقِدَ ثقة القراء فيه. ولا أظن أنني أعدو الصواب إذا قلت إن الذوق كما ينمو ويصقل بالدربة والمران، كذلك يعتل ويذوي بالإهمال والكف عن رعايته وتهذيبه، ولذا ينبغي على كل ناقد ـ مهما تقدمت به السن ـ ألا يعتقد أن ذوقه بلغ درجة الكمال، أو تجاوز مرحلة التهذيب والصقل، أو لم يعد بحاجة إلى التغذية والرعاية.

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب ٤٠١/١١، ط بولاق

(٢) الجوهري، الصحاح ص ٤٤٧، ت: عبد الله العلايلي، ط دار الحضارة العربية، د. ت .

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة ص ٢٠٩، ط دار صادر. دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

(٤) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ١٧/١، ت: محمود شاكر، ط: الثانية، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.

(٥) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٩٣/١، ت: محيى الدين عبد الحميد، ط: دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء. د.ت.

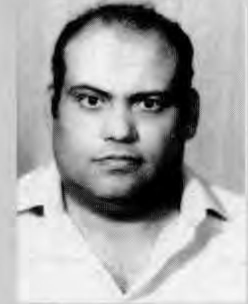
(٦) طبقات فحول الشعراء ٢٩٩/١.

(٧) د. محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون ص ٢١٧، ط نهضة مصر، د.ت.

(٨) الصولي، أخبار أبي تمام ص ١٧٥، ت: خليل عساكر وآخرين، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.

المشترك اللفظي
من مظاهر الثراء اللغوي

عبد الملك عبد الرحيم



يمثل «المشترك اللفظي» ظاهرة لغوية، عرفتها لغتنا العربية، وكانت موضع اهتمام الدارسين المهتمين بلغتنا الجميلة ودقائقها وأسرارها منذ آماد بعيدة.

والمشترك اللفظي يُقصد به مجيء اللفظ الواحد لمعنيين أو أكثر، أو هو ـ بعبارة أخرى ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه، فمن معاني العين مثلا: عين الإنسان التي يبصر بها، والنقد من الدراهم والدنانير، ومخرج ماء البئر، ومطر أيام لا يقلع، والجاسوس، والشيء نفسه، وغير ذلك.

ويرى الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، في كتابه «تاريخ آداب العرب»، أن مأتى هذه الظاهرة من تعدد الوضع وتباين اللغات، وأن أكثره راجع إلى الاشتقاق والمجاز؛ لأن الألفاظ متناهية والمعاني لا تتناهى، فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك، واختصاص اللفظ الواحد بمعنيين أو أكثر.

وقد استأثرت هذه الظاهرة اللغوية منذ زمن بعيد باهتمام الباحثين من ذوي الثقافة اللغوية الواسعة، ومن الأمثلة الناصعة التي تطالعنا في هذا المجال أبو العميثل الأعرابي، المتوفى سنة ٢٤٠هـ - ٨٥٤م، الذي كان عالما باللغة، وشاعراً مجيداً، وقد وجّه جانباً كبيراً من عنايته لقضية المشترك اللفظي، وَعَدَّهُ إحدى الظواهر اللغوية الجديرة بالتسجيل والتدوين، صونا للغة العربية وتحديدا لاستعمالاتها، وقد سجل اهتمامه بهذه الظاهرة في مخطوطته التي تحمل عنوان «ما اتفق لفظه واختلف معناه»، وهي تمثل الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من بين مؤلفاته العديدة في مجال الشعر واللغة، وقد بذل جهداً مشكورا في تحقيق هذه المخطوطة الدكتور محمود شاكر سعيد، وصدرت ضمن منشورات نادي جازان الأدبي، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

وقد اتفق الأستاذ المحقق مع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي فيما ذهب إليه في أصل نشأة هذه الظاهرة اللغوية، وأضاف إلى ذلك عوامل أخرى، هي.

- اختلاف اللهجات العربية، حيث استعملت كل قبيلة ألفاظاً خاصة لمعانيها، فلما جمع اللغويون اللغة لم يشيروا إلى ذلك، فصارت الألفاظ كأنها مترادفة.

- اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة، في حين تكون الألفاظ ذات دلالة خاصة في اللغة المقترض منها.

- التطور اللغوي، فإن بعض الألفاظ تختلف معانيها باختلاف الزمان والمكان، مما يجعلها من المشترك اللغوي.

كما قدم المحقق خلاصة لآراء عدد من علماء اللغة، زبدتها أن لغتنا العربية أفادت من وجود «المشترك اللفظي» في وجود ظاهرة التورية فيها، وهي استعمال الألفاظ المشتركة في معان غير متبادرة إلى الذهن، كما أفاد منها بعض الناس حيلة للخروج من اليمين المكره عليها، حيث يقصدون باللفظ معنى آخر غير الذي يقصده خصومهم. وأفاد من ظاهرة المشترك اللفظي أيضاً بعض علماء اللغة الذين ألفوا في المشجّر والمداخل والمسلسل، وهي ظواهر وفنون لغوية معروفة في كتب اللغة، كما يخلص إلى أن النظرة المتأنية في كتاب «أبي العميثل الأعرابي» تؤكد أن العربية أقدم اللغات التي لا تزال تتمتع بخصائصها، من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وخيال، مع القدرة على التعبير عن مدارك العلم المختلفة، كما تؤكد أن من مميزات لغتنا العربية أنها بطيئة التطور، ولولا هذه الميزة لم يستطع أبناء العصر الحديث أن يقرؤوا القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الشعر الجاهلي، فيفهمونه كما يفهمون ما يُكتب اليوم.

ولا شك أنَّ العناية بمثل هذه الدراسات اللغوية وتطويرها واستمرارها من أجَلِّ الوظائف المنوطة بعلماء العربية، ليجعلوها قادرة على استيعاب معارف العصر، تلبية لرغبة الناس في المحافظة على لغتهم، وأنَّ إعداد معاجم عصرية كاملة متجددة ضرورة ملحة، لكنها تحتاج إلى دربة كاملة بتراث الدراسات اللغوية العربية، إلى جانب المعرفة بما وصل إليه علم اللغات من تحليل وتصنيف في مجالات الصوتيات والدلالات والتراكيب، لنبقي للغتنا ما أراده لنا علماؤها الأفذاذ تحقيقا لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحجر: ٩).

ونختم هذا المقال بإيراد مثل واحد مختصر من أمثلة المشترك اللفظي، مما جاء في كتاب «أبي العميثل الأعرابي»، وهذا المثل هو كلمة «الفيء» حيث يقول:

-الفيء أربعة أوجه:

الفيء: الظِّل من آخر النهار ومن أوله.

الفيء: الغنيمة

الفيء: الرجوع من الغضب، يقال: فلان سريع الغضب، سريع الفيء.

الفيء: القطيع من الطير، قال الراعي:

كَأَنَّ على أعْجازها كلما رأتْ
سماوته فيئاً من الطَّيْرِ وُقَّعا

عَلِّميني

أحمد سالم باعطب

عَلِّميني كيفَ أتلو   من سجلِّ الحبِّ سَطرا
وانقشيني بين الحنايا   وشَغافي ألف ذِكْرَى
واقرئي وهجَ عُروقي   أحرفاً تنبضُ شِعرا
واسكبي لحنَكِ عذباً   في فمي ينسابُ سحرا
واجعلي في كلِّ جَفْنٍ   من جفوني لكِ فجْرا
أبْصِرُ العُمرَ ربيعاً   باسماً عَيناً وثَغرا
عَلِّميني حين تطويني   ليالي الصَّيف هَجرا
أسفحُ القلبَ حَناناً   وأزفُّ الصَّفحَ بِشرا

عَلَّميني الحبَّ همساً   أتهجَّاهُ اشتياقا
واملئي قلبي حنيناً   وازرعي دربي فراقا
واتركيني وشُجوني   في اغترابي نتساقَى
أحتسي الهَمَّ اصطباحاً   أرتوي منه اغتباقا
ودَعي الأحزان تلهو   بين أضلاعي عناقا
واتركي اللهفة تسقي   مُهجتي كأساً دهاقا
إنَّ طعمَ الوجد يحلو   في فمِ الصبِّ مذاقا
وأريج العود يزكو   كلَّما ازداد احتراقا

الرواية والمعلوماتية

إعداد: بيوض أحمد

إذا أردت أن يبقى بطل روايتك حرا إلى نهايتها وإذا أردت أن يموت قبل ذلك، يمكنك اليوم ذلك بواسطة المعلوماتية. هذه الأخيرة تسمح من الآن فصاعدا بإشراك القارىء في تأسيس روايته وبنائها بحيث يمتزج فيها الأدب باللعب الإلكتروني والمكتوب بالصور والرسوم.

فالمعلوماتية قد طبعت منذ عدة سنوات الرواية في الولايات المتحدة الأمريكية، إنه لايتعلق الأمر باستعمال الآلة لتحرير الكتب بنوع جديد، ولكن ببساطة نقل البنيات المنطقية لبرامج العقول الإلكترونية واستغلالها في إنتاج روايات مختلفة البنية مرئيا وعلى الورق. كيف ذلك؟

في الواقع، إن أي برنامج، مكون من مجموعة من الأوامر تتسلسل تبعا لكل لحظة يختارها المستعمِل (بكسر الميم)، ويأخذنا للرسوم كنموذج، فإن كُتَّابا وروائيين قد وضعوا مؤلفاتهم في هذا المجال بحيث يختار القارىء نفسه بناء قصته وفق القرارات التي يتخذها. ففي كل فقرة له الخيار بين عدة إمكانات، فلنتصور مثلا: قصة رحالة يكتشف أرضا جديدة، وبوصوله إلى مفترق الطرق هل يذهب يسارا نحو البحر؟ أو يمينا نحو الجبال؟ أو مستقيما نحو الغابة؟ فعلى القارىء هنا أن يقرر وفق اختيار المغامرات المختلفة التي يقوم بها بطل الرواية في كل اتجاه يأخذه. فيمكننا إذن قراءة الرواية نفسها ثلاث مرات أو خمس أو حتى عشر مرات بدون قراءة الحكاية نفسها دائما.

هذا النوع من القصص المسمى بـ: التركيبي Combinatiore يمارس بكثرة في البلدان الأنجلوسكسونية وخاصة لدى الأطفال. وقد تُرجمت أول رواية من هذا النوع إلى الفرنسية من طرف فوليو - جينيور Folio - Junior تحت عنوان: ساحر جبل النار Le Sorcier de la Montagne.

وقد تَكَوّن لهذا الغرض فريق من الباحثين بفرنسا أنتج أول رواية مرئية تفاعلية Roman tel ematique interactif تسمى آسكو Ascoo تختزن في ذاكرة العقل الإلكتروني بحيث يمكن للقارىء تصفحها بواسطة مطراف فيديو تكس Terminal VideoteX أو فيزيوفون Visiophone أو عقل إلكتروني صغير.

بين الرواية التركيبية والكتاب المرئي

إن الكتاب المرئي كالرواية المسماة بالتركيبية، يتفرع كما الشجرة بحيث أن كل خيار يقود إلى فرع مختلف. وبعض الفروع بدلاً من انقسامها بدون نهاية تلتقي بأخرى مُكونةً بذلك مغالقا في بنية القصة. وبالإضافة إلى الخيارات التي تمنح للقارىء، فإن هناك كلمات مفاتيح مسطرة على الشاشة بإمكانها هي الأخرى الإفلات من القصة الرئيسة لتعرفنا أكثر عن الكلمة اللغز التي تم انتقاؤها.

إن الكتاب المرئي كالرواية التركيبية يمكن قراءته عدة مرات بدون حكاية القصة نفسها دائما، إذ يمكن أن يحمل حكاية لقصة شاملة فيها دسيسة أو حياة شخصية واحدة من شخصيات الرواية أو قص حكاية أماكن الدسيسة أو حتى إبراز العلاقات العائلية بين مختلف شخصيات الرواية.

وأخيرا هناك ميزة أخرى وهي أنه باستعمالنا لكل الإمكانات الطباعية للفيديوتكس فإن الصفحات المرئية يمكنها المزج بين النص والصورة. فالرسومات تأتي لتدعم الصورة الموصوفة في النص، فتظهر الظلال والتقاسيم كما تظهر الأشياء الأخرى كالدم مثلاً.

إن الرواية التركيبية المرئية تربط إذن بين إمكانات الكتاب المرئي وإمكانات البحث عن الكلمة المفتاح من جهة، والإمكانات الطباعية بالفيديوتكس من جهة أخرى. لقد ولد الكتاب الأول الفريد من نوعه في ذهن أربعة باحثين وهم: كاميل فيليبير Camile Philibert وغيوم بودان Guillaumme Baudin مسؤولين عن الطباعة والكتابة، ثم

جـاك إيـلي Jacques Elie وجـون بول مـارتـسـان J.P. Martin مـســؤولين عن الإخراج. وقـد قامت شركـة النشـر والإخراج للصحافة المكتوبة والسمـعية ـ البصرية بفرنسا SERPEA، وهي شركـة صغيـرة متخصـصـة في المسائل المتعلقة بالاتصال وإنتاج المجلات التقليدية والخدمات الإعلاميـة والاتصاليـة التفـاعلية والسمعية ـ البصرية بإيواء البـاحثين وإعارتهم العتاد والوسائل اللازمة لذلك.

اللغة والأسلوب

إن الرواية التـركـيـبـيــة المرئيـة الأولى من نوعها والمسماة آسكو، تبدأ كالقصة البوليسية وكل شخصية من شخـصياتها يمكنها أن تؤثر في الأسلوب الروائي والتصويري للقصة. وبما أن الشـاشة لاتـسـمح أبدا باسـتـعـمال جـمل طويلة ووصف أطول فإن الكتابة الروائيـة فيها تتـمـيـز بالسـهولة والمباشـرة. ولكن وبواسطة اللعب بالرسـوم، فـإن صفـحـة مـرئية واحـدة يمكن أن تحـتـوي على الـعـديد من الرسـائل التـبليـغـيـة. فـالكتـابة إذن في هذا النوع من القــصـص هـي خليط من الـشـريط المصــور والكتـابة الكلاسـيكيـة، ولكـن هذه الرواية ليست لها نهـاية، أو بالأحرى كل النهـايات يمكن تصـورها بواسطة الخـيـوط اللامـرئيـة لبرنامج العقل الإلكتروني. فهناك إذن، العديد من التركيبات الممكنة.

وقد زود الكتاب الرواية بعلبة رسائل إلكترونية Messagerie لتـمـكين القـراء مـن الاتصــال بأبطال الرواية وذلك لإحـداث تفـاعـل بين الآلة والقارىء، ليناقش بناء القصة ومحتواها.

ولاتعـتبـر الرواية التـركيـبـية المرئيـة من هذا المنظور أدبا فقط، بل لعبة إلكترونية أيضا حيث إنه يجـري منذ عدة سنوات تكيـيف الأدب مع الآلة في الولايات المتحدة الأمريكية.

قراءة بالمقابل

وبالرغم من أن رواية آسكو، مـازالت تنام في ذاكـرة العـقل الإلكتـروني لـ: SERPEA في انتظار أن تجد هذه الأخيرة الطريقة الناجعة لتسويقها على نطاق واسع وجعلها في متناول كل الذين يملكون مطراف فـيـديو تكس وهم يتكاثـرون يومـيــا، إلا أن قــراءتهــا لن تكون بالـطبع مـــجــانا لأنـه يجب دفـع رســـوم المواصــلات لمصلحــة البـريد والمواصـلات، وتأخـذ الشركـة الآنفة الذكـر حقوق الـقراءة الإلكتـرونيـة. ولهـذا يجب القـول أن تكلفـة سـاعـة قـراءة واحـدة تسـاوي قيـمـة كـتـاب عـادي، الأمـر الذي يبين غــلاء تكلفـة قـراءة قصة واحدة من هذا النوع.

تساؤلات وانشغالات

إنه لمن المبكر الحكم على مستقبل الرواية التركيبية المرئية بحيث إنه لايسعنا سوى طرح العديد من التساؤلات أولها: مامصير الرواية العادية؟ ثم هل يجد القـراء الرواية التـركـيـبـيـة المرئيـة باهظة الثـمن؟ وهل يفـضلون ـ بمجـرد امـتلاكـهم لعـقل إلكـتروني صغـيـر ـ الكتب المسجلة عـلى اسطوانات؟ أم سيـبـقون أوفـيـاء للرواية المكتـوبة على الـورق العادي؟ وأخـيـرا هل سـيكون هذا النمط الجـديد من الـتعـبـيـر موضة أم سيكتسح مستقبلا حياتنا الثقافية؟

الواقع أن هذه الـتـسـاؤلات تضــاف إلى العديد من انشغـالات الأدباء حول هذا اللون من الرواية وحول حقوق تأليفها ونشرها إذ إنه بإشراكها للقـارىء، هل تصبح إبداعا فرديا أم جماعـيا؟ ثم ما هي الصيغة التي تـسـتعـمل من هذا المنظور، لإعطاء حـقوق تأليـفها ونـشرها وتوزيعها؟.

الانتصار على الذات

من انتـصـر على نفســه عـاد الانتـصـار على الآخرين بالنسبة إليـه أمرًا بالغ السهولة. إن المرء هو الذي يضع نفسـه موضعـها، فالنجـاح هو أن تتغلب على مواطـن ضعفك، بينمـا يعني الفشل أن تـتغلب مواطنُ ضعفك عليك.

ولو كـان أحـد الناس مـصـابا بـالأثرة وحب الذات، لتـجمع حـوله أناس متـملقون. والمحترفون للتـملق والمجاملة ـ والحق يقـال ـ هم أسـوأ بضـاعـة يمتلكها إنسان. ولو أنه كان إنسانًا عجولا لطار قلبه جـزعـا وهلعا، حيث ينـبغي له أن ينتظر في سكون اللحظة القـادمـة ومـا ستنكشف عنـه... وبالتـالي سيعود هو محروما من النجاح المتوقع ـ عـاجلا أو آجلا دون لـزوم... وأما لو كان لايعرف في الحياة سوى نفسـه، ولا تهـمه سـوى مـصـالحة الفـردية الذاتية، فلـن يحسن التعـامل مع الناس، في حين أنه لابد من حسن التـعـامـل مع الناس لممارسـة حيـاة ناجحة سعيدة بينهم.

الحقيقـة هي أن أسبـاب النجاح والفشـل كلّها تكمن في داخل المرء ذاته. فينبـغي عليه ـ أولا وقبل كل شيء ـ أن يستعرض نفسه، ويبحث عن سبب كل هزيمة يتعرض لها في داخله هو. فـما يكمن في داخلك لن تعثر عليه في الخارج مهما أتعبت نفسك في طلبـه، والنتيـجة الـتي تُنال باستـخدام مـواهبك الذاتية، لن تستطيع الوصول إليها عبر التناطح مع الآخرين.

إن نفس الإنسان تحمل استعـدادين متقابلين في آن واحد: فهي تنطوي على مادة الاعتراف جنبا إلى جنب مع الميل إلى عـدم الاعـتـراف. وتوجـد فـيـهـا عـاطفة الشكر والامتنان إلى جـانب نفسيـة الكفـر والنكران للجـمـيل. كـما أنهـا تعـرف الفـرح برقيّ الغير والحقد عليه في الوقت نفسه.

النصر في هذه الدنيا لمن يحرز الانتصار على نوازع السوء الكامنة في داخله، والهزيمة لمن ينهزم أمامها.

وحيد الدين خان

دراسات فى أدب الجزيرة العربية (٧)



ابن معمّر، وقصيدته الطَّنَّانة في بكاء الدرعية (١٢٣٤هـ/١٨١٨م)

د. عبد الله بن محمد أبو داهش

ليس بغريب على أدبنا العربي شعر بكاء المدن، وإنما هو معروف معهود، ولعل الظروف السياسية، والفكرية، والبيئية التي منيت بها البلاد تعد من دواعي نشوء هذا الغرض الشعري، فلقد تسبّب الدمار، والخراب، والسعي في الأرض بالفساد في شيء من ذلك، قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾(سورة الروم:٤١)، وماواقع الدرعية في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، من هذا الحال ببعيد، إذ مُنيتْ بكيد محمد علي باشا والي مصر، وطموحه السياسي الموهوم، فلقد سيّر جيشًا بقيادة ابنه إبراهيم الذي تمكن من الاستيلاء على الدرعية في اليوم الثاني من شهر ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م(١) بعد مقاومة باسلة دامت نحو: «ستة أشهر وبضعة أيام»(٢)، ولم تضع الحرب أوزارها من بعد إلا في شعبان عام ١٢٣٤هـ(٣)، معلنة خراب الدرعية ودمارها.

ولقد تلقى إبراهيم باشا من أبيه أمرًا بذلك، حيث: «أنذر سكان المدينة بإخلائها فأُخليَتْ، وطلب من جنده أن يهدموا البقية الباقية من أسوارها وأبراجها، وأن يَدُكوا دورها وقصورها، وحوانيتها، وأن يقطعوا أشجارها، ونخيلها، ففعلوا، وتفرق أهلها في البلدان، وصارت قبل انقضاء عام على المصالحة أثراً بعد عين»(٤)، وذلك كله: «بعد حرب ضروس استمرت قرابة عامين»(٥)، مما أوجد عند الشعراء شعوراً حزينا صادقا في الحديث عن هذه الكارثة، واستطار الأمر فغشى أنحاء الجزيرة العربية، حيث بكى أولئك الشعراء واقع الدرعية، ورثوا رجالها في نتاج أدبي يكاد يكون مميزا نادرا، وظل الألم يسري في نفوس الشعراء حتى عصرنا الحاضر، فلقد: «كان لسقوط الدرعية تأثيره المباشر، وغير المباشر في مناطق شبه الجزيرة العربية»(٦)، وبخاصة في ميدان الشعر، بالرغم من ضياع معظمه، وفقدانه.

ويكاد عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر(٧) (١٢٠٣ - ١٢٤٤هـ) يتفوق على معاصريه في وفرة شعره الذي أنشأه في بكاء الدرعية، فضلاً عن وضوح تجربته، وصدقها، لأنه اكتوى بلظى الحرب وسعيرها، وشهد الواقع الأليم ورآه، مما وسم نتاجه بصدق التجربة ووضوحها، فالحق أن هذه الكارثة: «قد استفظعها الناس كلهم»(٨)، وأنطقت ـ كما يقول أحد الكتاب المعاصرين ـ «لسان الرثاء فأفاض يقطر دماً، ويستوقد حرارة ومرارة»(٩).

وقد ظل ابن معمر يحمل هموم هذا البلاء مُذْ شهد وقوعه بهذه المدينة، وحتى أدركه الموت، حيث رأى الفاجعة، ورحل مغترباً من بعدها، إذ ظل الحنين يشده إلى وطنه، وينتابُهُ إلى ذكر إخوانه الذين فرقهم الزمان، وأخرجهم الأعداء، مما أوجد له شعراً وافراً غير يسير. وقد وصفه ابن بشر بأنه: "كان أديبا... وله أشعار رائعة لاسيما في أهل الدرعية، فإن له فيهم قصائد، منها القصيدة: الطنّانة(١٠) التي رثاهم بها، وذكر ماجرى لهم، وعليهم"(١٢).

ومهما يكن الأمر فإن هذه القصيدة الموسومة بالطنّانة تكاد تفوق بقية قصائد هذا الشاعر، بل قصائد معاصريه الذين شهدوا أحداث هذه الفتنة، إذ تمثلت فيها لوعة الشاعر، ووضوح تجربته، وقوة إيمانه، على الرغم من إغفال المصادر لمعظم أبياتها، إذ يلاحظ على تكوينها الفني: السقط، وعدم الاتساق، مما يشير إلى ذهاب عدد من أبياتها، وبخاصة في صدرها، وأنها قد أتت متأثرة بقصائد بعض

شعراء هذه الأمة الأوائل، ومنها قوله:

إليكَ إله العرش أشكو تضرعا   وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا
وكم قتلوا من عصبة الحق فتية   هُداة وِضاء ساجدين وركعا
وكم دمروا من مربع كان آهلاً   فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا
فأصبحت الأموال فيهم نهائبا   وأصبحت الأيتام غرثى وجوعا
وفرَّ عن الأوطان من كان قاطناً   وفُرِّق إلفٌ كان مجتمعا معا
مضوا وانقضت أيامهم حين أورثوا   ثناء وذكرا طيبا قد تضوعا
فجازاهم الله الكريم بفضله   جناناً ورضوانا من الله أرفعا
فإن كانت الأشباح منا تباعدت   فإن لأرواح المحبين مجمعا
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا   ويجبر منا كل ماقد تصدعا
ويعمر للسمحا ربوعا تهدمت   ويفتح سبلاً للهداية مهيعا
ويظهر نور الحق يعلو ضِياؤه   فيضحي ظلام الشرك والشك مقشعا
إلهي فحقق ذا الرجاء وكن بنا   رؤوفاً رحيما مستجيبا لنا الدعا
ألا أيها الإخوان صبرا فإنني   أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعا
ولاتيأسوا من كشف ماناب إنه   إذا شاء ربي كشف ذاكَ تمزّعا
وماقلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة   ولاجزعا مما أصاب فأفجعا
فما كان هذا الأمر إلا بقدرة   بها قهر الله الخلائق أجمعا
وذلك عن ذنب وعصيان خالق   أخذنا به حينا فحينا لنرجعا
وقد آن أن نرجو رضاه وعفوه   وأن نعرف التقصير منا فنقلعا
فيا مُحسنا قد كنت تحسن دائما   ويا واسعا قد كان عفوك أوسعا
نعوذ بك اللهمَّ من سوءِ صُنعنا   فإن لنا في العفو منك لمطمعا
أغثنا أغثنا وادفع الشدة التي   أصابت وصابت واكشف الضر وارفعا(١٢)

قلت: إن مثل هذا الشعر يدفع الظنَّ بضعف الأدب في بيئات الفكر ببلدان الجزيرة العربية، كما يدحض القول بوقوع هذا النتاج الأدبي تحت طائلة الألاعيب اللفظية السائدة يومئذ في بعض بلدان الوطن العربي الإسلامي الكبير، كذا يحقق هذا الشعر صدق العقيدة ووضوحها لدى الشاعر فهو من بيئة علمية جادة، تراه يلجأ إلى الله في تشك ورجاء، ويلح في انكسار وألم مما أضفى على هذه الأبيات صدق الإيمان ووضوح المعتقد، إذ نلمس أنها قد اكتست بمعالم التوبة، وملامح الخوف، فلاينفد بيت واحد دون تذكر لحقيقة الإسلام، ووضوح اليقين، يكثر الشاعر من الدعاء، ويعترف بالذنب شأن العابدين الصادقين حتى إذا أفاض في إيضاح مكنونه، وأبدى شكواه انكسر في إيمان عميق يردد الدعاء، ويظهر الرجاء في ألفاظ متكررة متناسقة:

أغثنا أغثنا وادفع الشدة التي
أصابت وصابت واكشف الضر وارفعا(١٣)

وفي المقابل لهذا القول نلمح عفوية الشاعر، وعدم تنقيحه لنصه، إذ الأمر عصيب، والمقام جلل، لم تدع الخطوب لهذا الشاعر الفرصة للنظر والخدمة، وإنما أتت هذه الأبيات شاهدة على الواقع الذي يعيشه الشاعر، بل هي دليل حقيقي على واقع الشعر في نجد الذي لم يكن ظاهراً من قبل نتيجة لواقع المجتمع الديني، وماهو عليه من اليقظة والجدّ، إذ لم يدع هذا الحال الفرصة للشعراء أن يبسطوا رؤاهم الشعرية شأن غيرهم من شعراء الجزيرة العربية، ولكنهم لم يلبثوا حتى أسعفهم الواقع المرير الذي شهدوه وعايشوه فانبجست مشاعرهم بالشكوى والألم، شأن ابن معمر في هذه القصيدة، ولسنا في هذا المقام بغافلين عن مستوى هذا النظم الشعري، ومماأصابه من أسباب التقريرية، والخطابية، فهما من لوازم العمل الأسلوبي في هذا النص.

الحواشي:

(١) انظر: "الأخبار النجدية" للفاخري، ١٤٨، و"محمد علي وشبه الجزيرة العربية" لعبدالرحيم عبدالرحمن ١/٢.

(٢) منير العجلاني، "عهد عبدالله بن سعود"، ١٢٩، بدون معلومات للنشر.

(٣) إبراهيم جمعة، "الأطلس التاريخي للدولة السعودية"، ٩١، ط١، دار الكتاب المصري، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

(٤) المصدر نفسه، ٩١.

(٥) سليمان بن محمد الغنام، "قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠م)"، ٣٣، ط١، مطبعة دار البلاد ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٦) عبدالرحيم عبدالرحمن، كتابه السابق، ط١، دار الكتاب الجامعي، مصر، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

(٧) قال عنه الزركلي: "من علماء نجد، ولد في الدرعية أيام ازدهارها، وأخذ عن علمائها، وصنف «منحة القريب - ط» في الرد على كتاب لأحد القسوس البريطانيين، وفي أيامه كانت الحرب مع إبراهيم باشا بن محمد علي، وخربت الدرعية، وتفرق رجالها، فرحل ابن معمر إلى البحرين، وتوفي فيها"، ١٧/٤، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) محمود شكري الألوسي، "تاريخ نجد"، ٢٦، ط١، مطبعة السلفية، مصر ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

(٩) عبدالله بن خميس، "معجم اليمامة"، ٤٢١، ط١، مطبعة الفرزدق، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(١٠) قال عنها البسام: "ومن تلك القصائد قصيدته التي سمّاها علماء نجد الطنّانة" "علماء نجد"، ٤٤٦/٢، ط١، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

(١١) ابن بشر، "عنوان المجد"، ٦٧/٢، ط٤. مطبعة دار الهلال، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(١٢) المصدر نفسه، ٦٧/٢، ٦٨، ٦٩.

(١٣) المصدر نفسه، ٦٩/٢.

الكندية جاكلين فيمات:

طفل أرشدها إلى الله

لم تستسغ النصرانية منذ نعومة أظافرها، فبالرغم من أن والدتها كانت نصرانية متعصبة، إلا أن الطفلة جاكلين فيمات كانت لا تكره شيئًا قدر كراهيتها للأوقات التي تقضيها في الكنيسة كل يوم أحد، وكثيرًا ما أبدت لوالدتها تبرمها من هذا الروتين الأسبوعي الذي فرضته عليها، بخاصة أنها لا تعي شيئا مما يقوله القس ويردده الحضور خلفه، إلا أن الأم المتعصبة لعقيدتها أبت أن تصغي لابنتها، ورأت أنها تحتاج إلى تربية أكثر تشددًا بإلحاقها بمدرسة الكنيسة لتتعلم كيف تتعبد على عقيدة النصارى.

في المدرسة الكنسية

ست سنوات أمضتها جاكلين في المدرسة الكنسية تتربى على أيدي خادمات المعبد، إلا أن كثافة الدروس، والجهد المبذول معها لإقناعها بالنصرانية لم يؤديا إلى نتيجة ، إذ ظلت غير مقتنعة بما تسمعه وتردده، لذا حرصت مديرة المدرسة على عزلها عن بقية الطالبات عند ممارسة الطقوس النصرانية ، حتى لاتؤثر بأفكارها فيهن، وتشككهن في صحة عقيدتهن. وأمرت بأن تبقى خلال تلك الطقوس مع الراهبات، اللواتي تثق في انتمائهن إلى عقيدة التثليث.

الاتجاه إلى الإلحاد

لم يكن سبب نفور جاكلين من النصرانية معرفتها لديانة أخرى، فهي - بحكم صغر سنها - لم تكن تعرف دينًا سواها، لكنها لم يصعب عليها أن تجد في عقائدها أشياء كثيرة غير منطقية، مثل تلك المنزلة التي يحتلها القسس فوق غيرهم من مخلوقات الله، أو جدوى ما يسمونه «كرسي الاعتراف»، أو تلك الأناشيد التي لامعنى لها التي يرددها النصارى خلف القسس، ولأنها لم تكن تعرف دينًا آخر سوى النصرانية ، فقد مالت لأن تكون ملحدة (لا دينية).

إعجاب بالراهبات .. وشك

حقيقة أنها أحبت المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأمه العذراء، إلا أن حبها لهما لم يمنع من عدم تقبلها لفكرة كونه ابن الله - تعالى الله عما يقولون - وكذلك أحبت الراهبات ، وأحست أنهن يخلصن في عباداتهن ، لكنها لم تقتنع بجدوى ذلك مادام أصل العبادة مشكوكًا فيه، وما لبثت أن أدركت مع الوقت أن إعجابها بهن نبع من هجرهن لمتاع الدنيا، وليس لما يمارسنه من عبادة، وتمنت في داخلها لو استطاعت أن تسمو مثلهن عن صغائر الدنيا وتفاهاتها، شرط عدم ممارسة عقائدهن غير المنطقية.

التوقف عن الكنيسة

حين بلغت جاكلين الثامنة عشرة من عمرها، تقدم أحد الشباب للزواج منها، ووافقت هي بفرحة ، إذ رأت في زواجها خلاصًا من سيطرة أمها على حياتها، وطابت حياتها مع زوجها، بخاصة حين وجدته غير متدين، ومن ثم لم تعد تذهب إلى الكنيسة كما كانت تجبر قبلاً.

وأدى توقفها عن الذهاب إلى الكنيسة وعن ممارسة طقوس الديانة النصرانية إلى اضمحلال ما تبقى من آثار التثليث في داخلها، وتحولها إلى مُلحدة لاتؤمن بدين، وهذا شيء طبيعي يحدث لأي إنسان من أية ديانة، حين يترك ممارسة الطقوس الدينية، ويحيا بفكر لا ديني، ينسى معه وجود الله، وقد يذهب إلى حد إنكار هذا الوجود.

طفل يرشدها إلى الله

كانت جاكلين - كأي امرأة - تتوق إلى الإنجاب، وملء عواطف الأمومة الجياشة الكامنة فيها، إلا أن إرادة الله - عز وجل - لم تشأ تحقيق هذه الرغبة، وحين يئست سعت إلى تبني طفل في شهره الثالث، كان ذلك في أكتوبر من عام ١٩٦٦م ، ولم تكن تدري حين تبنت هذا الطفل أنه سيكون الآية التي ترشدها إلى وجود الخالق.. كانت تنظر إلى طفلها المتبنى بشغف ، وتراقبه وهو يحبو، وكثيرًا ما كانت تتساءل : ما أروعه؟ كيف جاء؟ ومن خلقه!

وشكّلت تلك التساؤلات بداية انعتاقها من ظلام الإلحاد، وانطلاقها إلى رحاب جديدة، رحاب الإيمان.

البحث عن الخالق

لأربع سنوات، ظلت تبحث عن خالق لهذا الكون، تأملت في آيات الله من شمس وقمر وبحار ومحيطات، متساءلة عن أيها الخالق، لكنها لم تجد إجابة شافية. وشاءت عناية الله أن تتوجه ذات يوم إلى إحدى المكتبات لتبحث عن كتب تساعدها على تعليم ابنها المتبنى الأسماء والكلام، فإذ ببصرها يتجه إلى ركن الكتب الدينية، فأقبلت عليه، متصفحة ما يضمه من كتب، إلى أن وجدت بين يديها جزءًا مترجمًا لمعاني القرآن

الكريم ، ودون أن تدري بنفسها، دفعتها قوة خفية داخلية إلى طلب استعارته.

نحو الإيمان

حين قرأت جاكلين ترجمة معاني القرآن الكريم، بدأت خطى وئيدة نحو اعتناق الإسلام، إذ وجدت فيما قرأته الكثير من الحقائق التي تلتقي مع العقل والمنطق، فشخصية المسيح - عليه السلام - كما قدمها القرآن تقبلها الفطرة السليمة، إذ أضفى عليه كتاب الله من التوقير ما هو أهل له، لكن بصفته نبيًا مرسلاً من قبل ربه لإبلاغ رسالة معينة لشعب معين، ولم يفتها أن تلحظ أن القرآن الكريم تضمن نهيًا عن كثير من الأمور التي تضر الإنسان، واستوقفها - بصفة خاصة - النهي عن أكل لحم الخنزير، حيث سبق وأن تبينت أضراره من خلال معايشتها لمأساة حدثت في موطنها مقاطعة كيبك الكندية خلال الستينيات الميلادية، إذ عم المقاطعة وباء من جراء أكل سكانها لحم الخنزير، توفي على أثره خلق كثير، مما حدا بالسلطات هناك إلى منع أكله، حتى اختفى الوباء، ثم عادت وسمحت به، وكان لهذه الحادثة وما قرأته عن نهي الإسلام عن تناول لحم الخنزير أثر كبير في اقتناعها بصدق كتاب الله.

إعلان إسلامها

قررت جاكلين فيمات - وقد شرح الله قلبها للإسلام - أن تترك الإلحاد، وتعلن إسلامها على الملأ، ونفذت ما أرادت، لكنها فوجئت بمعارضة شديدة من والدتها، وأصدقائها، فالجميع كانوا يفضلون أن تظل على إلحادها ولا تعتنق الإسلام دينا، لمعرفتهم أن الملحد ربما عاد يومًا إلى حظيرة دينه، بينما مَنْ عرف الإسلام واعتنقه عن قناعة لايمكن أن يعود مرة أخرى إلى عالم الضلال، وكانت محنة لم تجد جاكلين خلالها من يقف إلى جانبها، أو يؤازرها، خاصة مع اعتقادها الخاطئ بأن ليس هناك مسلمون في كندا، حتى تتعرف عليهم، ويشدوا من أزرها.

جهل بأمور العقيدة

صمدت المهتدية الجديدة أمام كل الصعوبات التي واجهها بها مجتمعها النصراني، وتمسكت بحبل الله، مستمدة من إيمانها قوة دافعة، تحول دون وصول سهام مهاجميها إليها، وتردها إلى نحورهم.

لكنها - مع ذلك - ظلت تجهل الكثير من أمور العقيدة الإسلامية، فالكتب وحدها لاتكفي لأن يتعلم الإنسان تعاليم شريعة سماوية مثل الإسلام، ولابد أن يوجد معها مَنْ يشرح التعاليم لمن يجهلها، لذا وقعت - بحسن نية - في جملة أخطاء خلال تطبيقها تعاليم دينها الجديد، فعلى سبيل المثال قرأت أن هناك خمس صلوات مفروضة على كل مسلم ومسلمة يوميًا، ولم تدرك أن هناك أوقاتًا محددة لهذه الصلوات، فكانت تختار بنفسها خمسة أوقات تقرأ فيها القرآن وتعتبرها صلاة، وتعلم أطفالها قراءة الفاتحة باللغة الفرنسية، وتصوم في شهر رمضان المبارك عن الطعام فقط دون الماء.

تصحيح عقيدتها

ظلت جاكلين على جهل بالتعاليم الصحيحة للعقيدة الإسلامية، حتى انتقلت إلى مدينة مونتريال بعد طلاقها من زوجها، وفي تلك المدينة الكبيرة وجدت نفسها وحيدة، ولأنها لقيت من أذى النصارى ما يكفي، عمدت إلى البحث عن أبناء الجالية العربية التي سمعت بوجود كثير منهم في مونتريال، وأمسكت بدليل الهاتف تبحث عن اسم عربي أو مسلم لتتصل به، وهللت فرحة حين وقع بصرها على اسم المركز الإسلامي ورقم هاتفه، حيث بادرت من فورها إلى الاتصال بالمركز، معرِّفة بنفسها وقصتها مع الإسلام، وراجية أن تجد بين الجالية المسلمة نساء يساعدنها على الخروج من وحدتها، ويعلمنها مبادئ الشريعة التي أحبتها، وآمنت بها.

في المركز الإسلامي

كان مسؤولو المركز الإسلامي في مونتريال عند حسن ظن جاكلين، إذ رحبوا بها، ودعوها إلى الحضور للمركز، والتعرف على أخواتها في الله من المسلمات، وتطوعت امرأة عربية مسلمة بتعريفها مبادئ الدين الإسلامي وقيمه.

في البداية طلبت جاكلين من المرأة العربية المسلمة أن تعرفها على الإسلام مرة واحدة، إلا أن تلك الداعية أفهمتها أن الشريعة الإسلامية بحر كبير، يحتاج المرء إلى وقت لعبوره خطوة خطوة.

وعرّفتها تلك الداعية أن الحجاب فرض على المرأة المسلمة، صيانة لعفتها ورقيًا بها عن الغرائز الوضيعة، وسموًا بها عن أن تكون ملهاة للرجال، فارتدته، آملة أن يتقبل الله عبادتها ونسكها.

الإسلام ينتشر

لقد مر ما يزيد عن ربع قرن على إسلام جاكلين فيمات، وحسن إسلامها، وباتت تعرف كل شيء عن جوانب عقيدتها الإسلامية، شيء واحد آلمها، هو أنها كفلت ثلاثة أطفال قبل أن يمنَّ الله عليها بنعمة الإسلام، لكنها لم تحاول تعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، ولم تسع لإنقاذ أرواحهم من الضلال بجعلهم مسلمين، إذ كانت - آنذاك - تحيا المرحلة التي سبقت سفرها إلى مونتريال، التي لم تجد خلالها من يرشدها إلى العقيدة الصحيحة، ومن هنا كان فهمها للعقيدة الإسلامية قاصرًا وخاطئًا في أحوال كثيرة ، إذ أخذت قوله تعالى «لا إكراه في الدين» على منحى خاطئ.

وترى جاكلين أن الإسلام ينتشر بسرعة في شمال أمريكا، بعد ما عُرفت مبادئه السامية وغاياته النبيلة، ولن تمر عقود إلا ونرى راية لا إله إلا الله عالية خفاقة في كل مكان من تلك القارة.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

التسبيح باليد اليسري

هل التسبيح باليد اليسرى جائز ؟

منصور العمار - جدة

لابأس بهذا - إن شاء الله تعالى - لكن التسبيح باليد اليمنى لعله خير، لما ثبت عن عائشة -رضى الله عنها- أنه صلى الله عليه وسلم « كان يعجبه التيمن في شأنه كله » ومنه في : « تنعله وترجله وفي شأنه كله » لكن ذكرت أنّه لابأس باليد اليسرى ، والله أعلم .

أسماء الكمال

ماترون فيمن يُسمى "هدى ، إيمان" ؟

ط . ط . - جدة

لست أرى هذا لأنه من باب التزكية، ولأنه من أسماء الكمال المحققة للوصف المراد، فلعل من تسمى بمثله يُغيره ، وإلا فالمقصد على النية الصالحة، والله أعلم.

حديث صحيح

هل ثبت أنَّه صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا يأأهل مكة إنا قوم سفر » ؟

إبراهيم ن. ن. ن - حائل

نعم ثبت هذا عنه -صلى الله عليه وسلم- فإنه صلى بهم الفريضة ركعتين، ثم لما سلَّم أتموا هم الركعتين الأخريين، وهذه سنة ثابتة بقيت لأنه -صلى الله عليه وسلم- شرعها، فمن كان مسافراً وجاء إلى قوم وكان هو أقرأهم للقرآن -أي أفقههم لأحكامه- فإنه يصلي بهم ركعتين، ثم هم يتمون الركعتين الأخريين إذا فرغوا من الأوليين .

اشرب وتيمم

إذا وجدت ماءً لايكفي للوضوء والشرب فهل أتوضأ وأدع الشرب ؟

داود راجا بلالا - السنغال

بل تشرب ، فإن بقي شيء من الماء فتتوضأ منه، وإذا لم يكف لكمال الوضوء فتأخذه إذا ظننت العطش مرة أخرى وتتيمم، وتصلي .

حكم أكل الضفدع والبومة

الضفدع والبومة وسرطان البحر هل تؤكل ؟

محمود م. م. م - بيشة

أكل الضفدع كانت العرب تكرهه، لكن لم يرد نص بتحريمها، أما البومة فهي -والله تعالى أعلم- حرام لأنها ذات مخلب، ولأنها تأكل الخشاش، لكن يكفي عموم ماورد أنها ذات مخلب.

بر الوالدين والأهل

هل البرّ دين

الشيخ عبدالله م. ل - جده

بر الوالدين دين يحصل ولو طال المطال فمن برَّ أبويه، وقام بهما وعليهما -ولو كانا مجنونين ومقعدين- ثبت أجره إن شاء الله تعالى، وَبرَّه بنوه ووصلوه وخدموه، وقد جرى قصص من هذا على صفات عجيبة لم تتم إلا بفضل الله ثم ببر وصلة الوالدين.

أما صلة الأقارب من العمومة والأخوال ونحوهم وأولادهم فهذا يزيد بركة العمر وبركة الحياة، خاصة إذا كانوا ذوي سابق ود وصلة وبر وجميل مصنوع.

يمهل ولايهمل

كيف أعرف أن دعوتي على الظالم مستجابة ؟

بكر . ن . ط -الرياض

ليس من اللازم أن تعرف هذا ، لأن الله تعالى قد يخفي عقابه عن المظلوم ، فيصاب الظالم بمصائب خفية كحب الدنيا جداً أو الجاه والرفعة، أو كثرة الولد مع قلة العلم، وضعف الدين .. وهكذا.

فالمقصود أن هذا من "فقه الدعاء" ومثل هذا كثير، لكن يجب أن لايستعجل المظلوم الإجابة، فالله تعالى يستجيب ويأخذ، وإذا أخذ لم يفلت، وأخذ الله تعالى عجيب، فإنه قد يمهل ثم يُقطِّع المظلوم بين حين وحين، ثم يأخذه فجأة وغالب الظَلَمة تنتهي حياتهم في الثمانين من العمر أو نحوها، والله أعلم.

سنة الفجر

كيف ترون سنة الفجر ؟

عمر بن سعيد - جده

سؤالك هذا عام لم تفصله على وجه يكون جوابه محدداً، لكني أذكر أن سنة الفجر سنة مؤكدة لاتترك، ووقتها بعد دخول الفجر الثاني وقبل الصلاة، ويقرأ فيها بعد الفاتحة: " قل يأأيها الكافرون" في الركعة الأولى، وفي الثانية: "قل هو الله أحد" فإن فات وقتها فيقضيها بعد طلوع الشمس.

ردود

الدكتور سمير مستجان - باكستان :

يصلك جواب خاص عن زراعة الأعضاء

الأخ: م. ن. ل - الرياض :

هذا بينك وبين وزارة المعارف

الأخ : نواف ب .ب .ب - الأفلاج :

لم توضح السؤال .. آمل الكتابة مرة أخرى

الأخ : مراد م. م. م - الاردن - الزرقاء :

حسب السؤال الطلاق لا أظنه قد حصل ، يمكنك تفصيل السؤال ، وان اكتفيت بالجواب هذا فهوخير.

المهندس : م . م. م. ن - جدة :

هذه رشوة واضحة .

الشيخ : علي .ب . م - بريده - القصيم :

كلا فيجوز أذان الصغير ، كما يجوز الأذان بغير طهارة صغرى، أما الجنابة فلايجوز معها للمؤذن الدخول إلى المسجد، والله أعلم .

الأخ : بندر . ط - عفيف :

يمكنك الاتصال بي شخصياً لذلك الغرض .

الأخ : عبدالعزيز . ز . ح نجران :

راجع المحكمة فهي صاحبة الاختصاص في مثل هذا.

ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي

د. عبدالله التطاوي

من الصعب أن نتصور - بدايةً - إمكان أن يطرح مقال - مهما كانت درجة التركيز فيه - رؤيةً شاملة لحركة الترجمة وأصدائها في العصر العباسي بالذات، ربما لخطر الظاهرة في ذاتها من ناحية، أو اتساع المساحة الزمنية للعصر نفسه، واستغراق علمائه في تيار الترجمة من ناحية أخرى.

من هنا يبدو الحوار - في أدق صوره - مجرد رؤوس أقلام، أو هو مجرد دليل علمي على الأبحاث والدراسات المتخصصة التي خاضت في الموضوع أو اقتربت منه . ويكفي هنا أن نشير - بشكل مبدئي - إلى بدايات الطريق من خلال تفسير دلالة الترجمة في العصر العباسي على وجه التخصيص، وماتكشفه من ظواهر اتساع آفاق العرب العقلية، مما انعكس منه جانب - أو جوانب - في حرصهم ودأبهم على الترجمة، وتباريهم في النقل عن المواد الحضارية المتنوعة للأمم الأخرى التي احتكوا بها.

وتظل هذه الدلالة كامنة في عباءة الفكر العربي ذاته، خاصة حين بدا صامداً أمام المادة المترجمة، فلم يكن ليتخاذل أمامها، أو ليتنازل عن هويته، وكذا لم يكن ليندهش أو يستسلم، أو يكتفي أهله بدور التلقي، بل راح علماؤه ومفكروه يناقشون، وأضافوا حين أسهموا، وشاركوا وألفوا وأبدعوا، إلى جانب ماترجموه من ضروب الفكر المختلفة.

ثم كان تنافس رجال العلم والفكر بمثابة دليل آخر من أدلة ارتقاء حركة الترجمة، والإصرار على الإسهام فيها، بما يمثل ضروباً من النضج العقلي، ونموذجاً من موسوعية الفكر، وصورة من اتساع الآفاق إلى ساحات اللغات الأخرى التي حرص العرب على تعلمها والنقل من خلالها.

وكذا كان التسامح الخلقي لدى العرب أساساً من دوافعهم إلى تلقي تلك العلوم من شتى منابعها ومصادرها، وهو تسامح امتد إلى مانا له المترجمون أنفسهم من صور التكريم والتشجيع من قبل الخلفاء المسلمين. وقد بدا الرقي العقلي لدى العرب ظاهرة سيادية تحكم حركة الفكر لديهم، وتوجهه من خلال اصطناع ضروب من الاتساق بين علوم الأوائل والعلوم المنقولة.

وخروجاً من منعطف هذا التصور تكاد تتحق لدينا مقولة علماء الاجتماع في حوارهم حول مستويات التأثر الحضاري، وتعدد مراحله عبر الجوانب المادية، ثم مايليها من عمق فكري تتمثل فيه كل الثقافات، وأخيراً مايعقبها من حسّ وجداني يظل - بدوره - كامنا حتى يظهر أثره في فترات متأخرة إذا ماقيس بالمستويين الأولين.

ويبقى السؤال المبدئي لهذه الرؤية حول ماكانت عليه مكانة العرب من ضجيج حركة العلوم حولهم، وإلى أيّ مدى كان إسهامهم الإيجابي في حركة الترجمة؟ وماذا أضافوا إلى ماترجموه في العلوم والآداب؟ وماقيمة تلك الإضافة؟

فالترجمة بهذا المعنى يمكن أن تمثل جانباً من الصحوة الفكرية للفاتحين حين التحموا حضارياً وفكرياً بشعوب البلدان المفتوحة، فكان فتحهم للإمبراطوريات الكبرى بمثابة مهاد سخيّ لنشر الفكر العربي، ثم جدل بينه وبين بقية المصادر التي احتكوا بها، كما وضعوا لأنفسهم أسساً معرفية دقيقة وجديدة، بدت أصولاً كبرى في حواراتهم من خلال الترجمة، وبروز أذواقهم واتجاهاتهم العامة، مما يؤثر بالضرورة في مسار حركة الفكر وآداب الأمم بوجه عام.

من هنا تعددت حقول التأثير والتأثر بتعدد حقول

ازدهار حركة الترجمة
في العصر العباسي

الترجمة ذاتها، وبتنوع مجالات الفكر لديهم ، وربما ساعدهم في ذلك ماوجدوه من خزائن العلوم اليونانية منذ فتحوا فارس والشام، إذ كانت تلك العلوم قد نقلت إلى السريانية، فنقلوها إلى العربية، ثم تجاوزوا مرحلة النقل إلى مراحل أكثر عمقاً من حيث الفهم والاستيعاب. ومحاولات استكشاف ماوراء الترجمة من وعي عميق بالتفاصيل والجزئيات، مما يسمح لهم بالإضافة من خلال ممارساتهم وتجاربهم الخاصة، فكانت معالجتهم للمادة المترجمة شديدة الاتساع من خلال الدرس والتجريب، والمناقشة والقبول أو الرفض، أو إبداء الملاحظات، أو التحفظ، أو اكتشاف الجديد الذي لم يكن معروفاً لدى الأمم التي نقلوا عنها. ومن هنا يبدو صدق مقولة الدكتور البهبيتي من أن أوربا قد عرفت اليونان عن طريق الشرق والمسلمين خاصة أكثر مما عرفتهم عن طريق أنفسهم (تاريخ الشعر العربي ص ٢٣٥)

على أن التركيز - بدايةً - على اليونان يبدو مُسوَّغاً على المستوى التاريخي من خلال تعدد فروع الثقافة اليونانية التي نهل منها العرب، في مقابل ندرة مانقل عن الفرس من الخرافات والأساطير وصور التنظير السياسي، أو على غرار ماعرف عن "كليلة ودمنة" و "الأدب الصغير" و "الأدب الكبير" لابن المقفع، مع تحفظ ضروري يعكسه قول ابن النديم عن ابن المقفع من أنه نقل "كليلة ودمنة" عن الهندية والسريانية إلى العربية، ثم إلى الفارسية، خاصة إذا تعلق الأمر باتساع مجالات الثقافة لدى ابن المقفع نفسه، بدليل ماترجمه من آثار الهند والإغريق عن السريانية، وهو مايرجع أساساً إلى تمكنه من اللغة العربية بياناً وفصاحة.

ومن هنا كانت مظاهر النقل أشد ميلاً - بالدرجة الأولى - إلى الثقافة اليونانية، سواء في ذلك ماوقع من الترجمة منها مباشرة، أو من خلال السريانية كلغة وسيطة، حيث بدت لغة الثقافة التي تسهل قراءة المادة الوافدة، مما يرشحها لأن تكون وسيلة ابن المقفع لنقل "كليلة ودمنة"، وهو ماتكرر لدى حنين وإسحاق حين ترجما كثيرا من الكتب عن طريق السريانية إلى العربية.

ولعل من نوافل القول هنا - وإن بدت الإشارة إليه مُلحة - أن نرصد مجرد إشارة إلى نشأة حركة الترجمة في عهد مروان بن الحكم في العصر الأموي منذ ترجم يوحنا الكبير كتابين عن السريانية، كما ترجم اسطفن القديم لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة، وترجم له أيضاً كتبا في الطب والنجوم.

ثم نتجاوز سريعاً تلك الإرهاصات المبكرة إلى فترة ازدهار الحركة حين شقت سبلها عبر الأعصر العباسية، حيث شغل المسلمون في القرون الثاني والثالث والرابع من الهجرة بنقل العلوم الأجنبية، والعكوف على تحصيلها وشرحها وتلخيصها ، حتى لنستطيع الزعم بأن ترجمتهم عبر تلك الأجيال قد احتوت معظم آثار الثقافات الأخرى على اختلاف أوطانها بين يونانية أو فارسية أو هندية، على تباين -لابد منه- بين مواد هذه الثقافات، وحجم الإفادة من كل منها على حدة، ولاشك أن مواقف الخلفاء العباسيين كانت حافزاً يكمن وراء استمرار هذا التيار منذ فتح الرشيد نافذة الترجمة من خلال دار الحكمة، إلى ماكان من ابنه المأمون حين تولاها بالرعاية من بعده، وفي عهديهما أدى "البرامكة" دوراً بارزاً في هذا التشجيع، وكان لمراكز الترجمة دور بارز خاصة منها مدرسة "جنديسابور" (القريبة من البصرة)، وهو ماشهد امتداداً على مدار العصر الثاني، منذ شجع "المتوكل" ووزراؤه على استمرار تيار الترجمة، وهو ماعكسته الطبيعة النوعية للمادة المترجمة من ناحية، وكذا طابعها الكمي من ناحية أخرى.

فإذا ماتتبعنا حقول الترجمة أمكن رصد أهم المواد المترجمة بصورة تقريبية، تساعدنا في معالجتها -بالتأكيد- المصادر التي سجلت أخبارها، خاصة فهرست "ابن النديم" وبيان "الجاحظ" وتبيينه، إلى جانب غيرهما من المراجع والدراسات التي استوقفتها الظاهرة، فكانت موضع دراسة، ومعالجة، واستنتاج، على غرار ماصنعه الدكتور البهبيتي في تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، والدكتور غنيمي هلال في الأدب المقارن، والدكتور قدري طوقان في تاريخ العلوم عند العرب، إلى جانب كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان، وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان، وقصة الأدب في العالم للدكتور زكي نجيب محمود والأستاذ أحمد أمين، وضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين، ومن ثم يمكن إحالة القارئ إلى بعض المصادر والمراجع، إذا ماأراد المزيد من العمق والتفصيل في دراسة أبعاد الظاهرة وحدودها الواسعة.

ويبقى أمامنا أن نسلم أولاً ببدهية محددة تحكي دور الشعر بخاصة، أو الأدب بعامة، ضمن سياقات الحركة الأدبية في العصر، وهو ما يتأتى درسه -بالضرورة- ضمن ذلك السياق الثقافي العام الذي غذته حركة الترجمة، وسجلت فيه دوراً بارزاً، وكأنها -بذلك- كانت تكمل الهيكل الحضاري الذي تأثر به العرب على المستويات السياسية والمادية من خلال الاحتكاك والتفاعل وصور المصاهرة الحضارية مع ماحولهم من أمم مفتوحة باسم الإسلام.

كما تبقى أمامنا ملاحظة أساسية حول طموح العرب إلى كل ما وقعوا عليه من فكر الأمم التي فتحوا بلادها، أو تعاملوا مع أبنائها، وكأنما تخلوا عن فكرة أمة فاتحة غالبة وأخرى مفتوحة مغلوبة، سواء فسرنا ذلك من منطق سماحة الإسلام، وبالتالي سماحة الفاتحين، أو علّلنا له من خلال طموحات العربي لأن يستكشف ويتعرف على كل علوم تلك الأمم، أو هي صورة جادة من حدة النشاط الذهني الذي دفعهم إلى النقل والإفادة والاحتواء، بالإضافة إلى المشاركة والتأليف والمناقشة.

كما تظل حركة الترجمة مظهراً من مظاهر اتساع ثقافة المترجمين أنفسهم، سواء منهم من كان عربي المولد والنشأة، أو عربي الثقافة والفكر، إذ لابد لكل فريق أن يلم باللغة الأجنبية التي ترجم عنها، حتى يستطيع نقل مادتها، على نحو مايحكى عن إجادة حنين بن إسحاق لليونانية والسريانية والفارسية والعربية جميعا، وهو مايحكى منه جانب آخر يتعلق بأبي موسى الأسواري الذي كان يفسر الآية للعرب عن يمينه ثم يفسرها للفرس عن يساره مرة بالعربية وأخرى بالفارسية فلايُدرى بأي اللسانين هو أبين!

وهكذا بدت ثقافة المترجم كامنة -بالقطع- وراء ماترجمه، بالإضافة إلى ماشهده العصر ذاته من موسوعية العلم إلا في قليل من الأحوال، فإذا بنا نجد الطبيب فيلسوفا وشاعرا، وعالم الرياضة أو الفلك قريباً من الفكر الفلسفي، إلى مايشبه ذلك من مواقف تعكس تداخل الاتجاهات الفكرية، وتحكي قصة الحضارة العباسية في شكلها العام. وعندئذ تلمع أسماء كبار المترجمين، وتزدحم بهم ساحة الحياة العباسية، ويتنافسون فيما بينهم، ويتبارى الخلفاء العباسيون ووزراؤهم في استقطابهم وتشجيعهم، ويفرز العصر مجموعة من الأسماء لايسهل -ولايحسن- إغفالها بحال في عالم الترجمة، على نحو مايتردد عن إبراهيم بن المدبر وأحمد بن المدبر، وماكان من إسحاق بن حنين وحنين بن إسحاق وحبيش ابن أخته، وثابت بن قره وسنان بن

ثابت الذي شغل بكتاب " الأصول" لإقليدس. وكذلك لمعت أسماء كبار الأطباء ممن شغلهم نقل الكتب الطبية وذكرهم ابن أبي أصيبعة، ومنهم يوحنا بن ماسويه، وجبرائيل بن بختيشوع، وابنه بختيشوع، وداود بن سرابيون، وإسرائيل بن زكريا الطيفوري وغيرهم.

وكأنما راح المترجمون يتوارثون حركة الترجمة لإدراكهم حقيقة دورها في نقل حركة الفكر ورقي العلوم، وكأننا نجد اتجاها راقيا يوازي المناصب العليا، على غرار ماوقع في منصب الوزارة والكتابة الرسمية لدى الأسر الفارسية بصفة خاصة . وتنطلق حركة الترجمة، ويزدهر نتاجها، وتتعدد الحقول، وتتنوع المجالات، وتتسع المساحات، وتكثر أسماء الكبار من المترجمين، ويشهد العصر ضروباً من الازدهار الفكري، من خلالها يمكن أن ترتسم خطوطه الكبرى من خلال المفارقات التي راحت تعلن عن نفسها من حين إلى آخر، على نحو ماكان من تخلف الطب في أوربا حين أهملت المدارس الطبية تعليم الجراحة، لنجد لدى العرب فيها نبوغاً وتفوقاً وتميزاً، إلى جانب ترجمات نقلوها عن اليونان والهنود، ونبوغ بدا شبيها به في الصيدلة وماكان من تأسيس مدارسها، وكذا ماكان من شأن المدارس الكيماوية التي تعلقت لديهم بالتجارب، وصدرت عن الملاحظة ووصلت إلى الاستنتاج، فكان المجال أمام علمائهم رحباً على النحو الذي سجله جابر بن حيان حين وضع قواعد التجربة في بعض كتبه "كتاب نهاية الإتقان"، وكذا كتابه "رسالة الأحزان"، وقد تُرجم الكتابان إلى اللاتينية، مما يسجل دور جابر في الحضارة الغربية، وهو ماينسحب بدوره على طبيعة العناصر الإسلامية في بنية مقومات تلك الحضارة، فما كان ابن حيان ليرقى إلى ماوصل إليه دون امتلاك منهج واضح ذكي في طريقة بحثه العلمي من خلال الدقة والاستقراء، والقياس والاعتماد والمشاهدة والتجربة والتمثيل، فإذا بعلم الصنعة أو (الكيمياء) يتقدم على يديه، ويشهد له رواجاً من خلال النظريات التي طرحها حول الإكسير وخواصه في أكثر من مئة رسالة ترجمت إلى اللاتينية، وإذا به يتجاوز ذلك ليترجم كتاب "الحيوان" لأرسطو، وربما ألف على أساس منه "الجاحظ" كتاب الحيوان أيضاً.

وهكذا أسس الرجل العالم مدرسة كيماوية بدا فيها رائداً لايقل دوره عن دور أرسطو في المنطق، ولايجدر إغفال أستاذيته لأفكار جاليلو وفرانسيس بيكون ونيوتن وغيرهم. ومايقال عن ابن حيان يقال عن غيره من أولئك القمم الكبار وأساطين العلوم من العرب، فإذا عدنا إلى الطب وجدنا يوحنا بن ماسوية، يضيف إلى ماخلفه جالينوس في علم التشريح ويترك رسالة في طب العيون بعنوان دغل العين ترجمت إلى اللاتينية، وإذا بقسطا بن لوقا يترجم كتاب "الجامع في الدخول إلى علم الطب"، ويؤلف رسالة صغيرة في الفرق بين النفس والروح ترجمت أيضاً إلى اللاتينية.

ويلمع دور الرازي في مجال الطب أيضاً ليصبح حجة فيه، ولتُترجم كتبه إلى اللاتينية خاصة منها كتاب "الحاوي" وكتاب "المنصوري" ثم كتابه في "الجدري والحصبة" الذي تُرجم بدوره إلى اللاتينية ثم ظهرت له ترجمات حديثة إلى الفرنسية والألمانية والإنجليزية .

وبدت علوم الطبيعة شديدة القرب من وعي العلماء العرب منذ نقلوا نظرياتها عن اليونان، ثم كان ماحللوه من تلك النظريات، خاصة ماشغلوا به من حقولها التطبيقية، وماأضافوه إليها مما استخلصوه من قوانين الظواهر، حيث قدموا للعلم نظريات جامعة بين الإفادة مما

لم يكتف العرب بنقل علوم الأمم الأخرى عن طريق الترجمة، بل أضافوا إليها أفكارهم ورؤاهم الخاصة

ترجم وبين الإبداع من بنات أفكارهم ومن واقع خبراتهم وخلاصة تجاربهم، فكان لهم بذلك حق الاكتشاف والاختراع مضافا إلى حق النقل والترجمة، على مالها من دور لايخفى أثره في الحفاظ على تلك النظريات اليونانية من الاندثار عبر رحلة الزمن الطويلة الممتدة منذ فجر التاريخ، فكان العرب بذلك حملةً للمشاعل في زحام ظلمات الزمن وأحداثه المدمر ة، إلى أن أخذها الغرب عنهم ثانية، فكانت مزيجاً رائعاً بين ماأفرزته عقولهم، ومانقلوه من علوم تلك الأمم التي تفاعلوا معها، واشتد التحامهم بفكر أبنائها.

وقد لمع في الأفق أيضاً اسم البيروني من خلال ماألفه في "الحيل" وعلم مراكز الاتصال، وعلم السوائل خاصة في كتابه "الآثار الباقية"، كما لمع اسم ثابت بن قرة وموسى بن شاكر وغيرهما ممن قالوا بالجاذبية، وسجلوا ماعرفوه عن خصائصها. أضف إلى هذا أيضاً ماترجمه العرب من كتب "اليونان" في هذا الاتجاه منذ ترجموا عن أرسطو كتاب "الفيزيكس" وكتاب "الحيل الروحانية" وكتاب "رفع الأثقال لأيرن"، وكتاب "هيرون الصغير في الآلات الحربية".

ولم تكن مشاركة العرب في الرياضيات بأقل منها في علوم الطبيعة والكيمياء، إذ كان للخوارزمي في عصر المأمون دوره المتميز كأكبر عالم رياضة وفلك منذ اكتشف علم الجبر، ورصد قواعده، حيث أضاف إليه أبحاثاً مبتكرة تنسب إليه في أرقام الحساب الهندسية، وحساب المثلثات والجداول الفلكية، كما ترك مختصراً في حساب الجبر والمقابلة، ومثله كان ماتركه من كتب في الهندسة.

وفي جيل الخوارزمي تعددت محاولات الترجمة، وتكرر الوقوف على تفاصيل النظريات الهندسية، منذ حرر الحجاج بن مطر كتاب " الأصول" في الهندسة لإقليدس ، وكتاب "المجسطي" لبطليموس الذي ترجمه يحيى بن البطريق في عصر المأمون، حيث تمتع المترجم منذئذ بدراية متميزة باللاتينية واليونانية.

كما شغلت مراكز الترجمة بنقل كتاب "الارثماطيقي" في الحساب، وكتاب إقليدس في علوم الأشكال الهندسية مما مثل إضافات طيبة في مجال العلوم الرياضية.

وهكذا تعددت صور الاطلاع، وتنوعت مصادره بين المصدر اليوناني، وحساب الهنود الذين أخذوا منه نظام الترقيم. وعن طريق الأندلس دخلت الأرقام إلى أوربا، وعرفت باسم الأرقام العربية، وازدادت قيمة كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة، وانعكست أصداؤه لدى العرب والغرب على السواء، وكذا كان مابدا من دور ثابت بن قرة في حل معادلات من الدرجة الثالثة بطرق هندسية مشابهة لطرق علماء أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، وكان ماتركه ابن حمزة من جداول ولوغارتمات، ثم ماكان من مؤلفات عربية في المساحات والحجوم، وماكان لهم أيضاً في علم المثلثات من فضل بارز يعكس منه جانبا كتاب شكل القطاع "للطوسي".

وعلى هذا النحو وأشباهه تكررت صور الاهتمام بالمادة المنقولة، وتعددت ترجمات العلماء العرب لها على نحو ماذكرنا من كتاب إقليدس الذي أسموه كتاب "الأصول" أو " الأركان" ، حيث استوقفهم الكتاب بعد ترجمته فهماً وإدراكاً ووعياً، ثم إضافات من خلال حلول جديدة توصلوا إليها، إلى جانب ماكان من

ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي

استعمالهم "الصفر" الذي نقله عنهم الغرب، وكذا طريقة الإحصاء العشري التي استأثروا بابتكارها. فإذا ما امتد الموقف إلى العلوم الفلكية برز ماترجموه عن اليونان والفرس والهنود والسريان والكلدان، إذ كان لهم فضل النقل وحفظ العلم، وتخليصه من شوائب الخرافات والتنجيم، وهو ماسجل لهم دوراً بارزا لاتخفى آثاره في تصحيح بعض النظريات الفلكية وعمل الأزياج، فقد نبغ فيه إلى جانب الطب والرياضيات ثابت بن قرة منذ أصلح الترجمة العربية للمجسطي، حتى جعل متنه سهل التناول والتداول.

وكذلك كان البتاني الذي ترك بحوثاً مبتكرة في الفلك والجبر والمثلثات كماترك كتابه "الزيج الصابي" الذي ترجم إلى اللاتينية باسم "علم النجوم".

وبهذا تعرف الغرب علومَ الجداول الفلكية ابتداء من نوبخت الفارسي الذي اصطحبه المنصور وقربه إليه. وأمره بنقل كتاب في حركات النجوم، كما كلف المنصور محمد بن إبراهيم الفزاري ترجمة كتاب "السند هنتا" الذي اختصره الخوارزمي، وعرف باسم "السندهند".

ومن هنا بدا الأمر جليا مع طلائع العصر العباسي، حيث ترددت أسماء عديد من المشتغلين بالفلك وعلومه، من أمثال ثابت بن قره، والمهاني والبتاني والكندي والطوسي، بالإضافة إلى ماشجع عليه المنصور أيضاً من ترجمة لمقالات بطليموس في صناعة أحكام النجوم، وهو مانهض بجانب منه أبو يحيى البطريق كما ذكرنا من قبل.

ولايكاد الباب يغلق بذلك على علم الفلك دون تسجيل دور أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني في كتابه "أصول الفلك" الذي ترجم إلى اللاتينية، وكذا كتاب أبي معشر البلخي الذي ترجم إليها، ثم كتب محمد بن جابر بن سنان والبتاني التي ترجمت أيضاً، كما ترجم زيجه إلى اللاتينية.

وتتسع حقول المعارف التي تتحول إلى علوم، ويسجل العرب مزيداً من معارفهم في المغناطيسية، نقلاً بذلك عن اليونانية من خاصة الجذب المغناطيسي، وكذا كان اقتباسهم الذي نقل إبرة البوصلة عن البحارة الصينيين، وهو الاختراع الذي نقل بعدئذ إلى أوربا.

وكان علمهم بالفلك بمثابة مدخل علمي دقيق إلى توسعهم في علم الجغرافيا والرحلات، حيث أضافوا شروطا قيمة إلى كتاب بطليموس في الجغرافيا، كما ألفوا على نسقه مثلما صنع عبيد الله بن خرداذبه الفارسي الأصل في كتابه "المسالك والممالك"، إضافة إلى الأدوار البارزة في حقل هذا العلم لليعقوبي في "البلدان" والهمداني في "صفة جزيرة العرب".

ومن الواضح أنهم جمعوا في تأثرهم بين شرق وغرب منذ صححوا أخطاء بطليموس، بل امتازوا على الرومان بتوغلهم في الصين، حتى بدا لهم في الرحلات دور بارز يسجل خلاصة تجاربهم وصلاتهم بكل ماحولهم في ذلك العالم الخارجي، على نحو مافعل ياقوت في "معجم البلدان"، أو ماكان من تأليف أبي الفداء أمير حماة "تقويم البلدان"، وقد ترجم إلى اللاتينية. وكذا كان ماتركوه من مؤلفات طوال بدت لها قيمتها في علم الجغرافيا على نحو ماصنعه المسعودي والبيروني والمقريزي وغيرهم.

وقبل الانتقال من حقول العلوم إلى ميدان الفنون والآداب، يستوقفنا مجال خطير أسهم فيه العرب أيضاً عن طريق النقل والترجمة، أو عن طريق ماأضافوه أيضاً من فكر خاص بهم، ففي مجال الفلسفة والمنطق كان لهم دور بارز، وكانت لهم علاقاتهم المتكررة بالثقافة اليونانية، على نحو مايسجله -بداية- موقف ابن المقفع من نقل منطق أرسطو، وماسجله دور الكندي ـ فيلسوف العرب ـ منذ عصر المأمون من ترجمة واقتباس عن الفلسفة الأرسطية والأفلاطونية معاً.

صحيح أن نمطاً من الخلط قد وقع في النظريات المنقولة بين أرسطية وأفلاطونية، ولكن الأمر بدا أشد انضباطاً مع الفارابي حين ألف كتاباً للجمع بين نظريات أفلاطون وأرسطو، وكان رائده في ذلك ثلاثية المصادر بين الفلسفة اليونانية والمادة الإسلامية والعقل الذي يلعب دوره بالتوفيق بينهما.

وبالعودة إلى الكندي يتراءى لنا دوره عميقاً وموسوعياً فيما تركه من رسائل وكتب، تُرجم منها كثير إلى اللاتينية، سواء فيها ماكان قد ألفه في الإطار الفلسفي، أو ماسجله في نسيج علوم أخرى مثل الرياضة والفلك، والطبيعة والجغرافيا، والأخلاق والسياسة، والكلام والجدل.

ومن حقه أن يضاف إلى سجل فكره ماوضعه من نظرية في العقل أوضح فيها آراء الذين سبقوه من فلاسفة اليونان.

ويتميز الكندي، وربما تميز معه غيره من هذه الزاوية، بما صنعه من تجاوز لفكر اليونان من خلال إضافاته الخاصة، وهو ماصنعه الجاحظ في موقفه من فلاسفة اليونان حين رد منها أشياء لم يتقيد بها.

ثم كان الدور المتألق للفارابي في تشكيل الفلسفة الإسلامية والمنطق ابتداء من النقل عن أرسطو وأفلاطون، إلى ماأضافه إليها من تفسيرات، وماستوعبه من صور فكرية عكسها ماحكاه عن المدينة الفاضلة تأثرا بفلسفة اليونان بعامة، وبجمهورية أفلاطون بخاصة، مع الاستعانة بثقافته العربية، وإفساح المجال لإظهار خلاصة تجاربه وخبراته الخاصة. ومن هذا المنطلق برز الفارابي، وتأكدت ضخامة دوره حتى عرف بالمعلم الثاني بعد أرسطو سواء بسبب شروحه لآرائه، أو طرحه لفلسفته من خلال الترجمة، أو حتى من خلال إضافاته إليها من بنات أفكاره المتميزة.

وخروجاً من حقول التجريب ومجالات التقدم العلمي تستوقفنا أصداء الترجمة في سياق الحركة الأدبية في العصر العباسي، وهو موقف حضاري يرد - عادة- متأخراً في صياغة مستويات التفاعل بين حضارات الأمم بعامة، وهنا يمكن أن نطرح منه الجوانب البارزة التي استوعبتها العقلية العباسية، ووجدت من خلالها مجالات رحبة في زحام حركة الأدب: وتبدأ الجولة من خلال حقل التأثير العام الذي أثرى به عبدالحميد الكاتب منذ عصر بني أمية الأدب الفارسي عن طريق تغذيته من مصادر الأدب العربي من خلال معالجة أسلوبية وصياغة فنية للرسائل، إلى ماكان بعد ذلك من مؤثرات وتفاعل بين الأدبين العربي والفارسي في الأنواع النثرية، على نحو مايحكيه تأثير الهمذاني والحريري في القاضي حميد الدين البلخي، إلى مارصده قبل ذلك بكثير مانقله ابن المقفع من الأدب الكبير، والأدب الصغير، إلى ماتكرر من ترجمات بعد ذلك لكتاب أرسطو "فن الشعر"، ومادار حوله من شروح وتفسير على يد الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد، وهو ماكان من شأن كتاب "الخطابة" الذي ترجمه إبراهيم بن عبدالله ثم ضاعت ترجمته.

وإذا بكتاب الشعر تعاد ترجمته، ويعاد النظر فيما ترجم من مصطلحاته، ويتحول المترجمون مع اتساع ثقافاتهم من ترجمة حرفية للكتاب إلى ترجمة معنوية دقيقة محكومة بمقابلة المصطلحات، بعد إدراك ماوراء المصطلح، على نحو ماكان من متى بن يونس في ترجمته المشهورة لهذا الكتاب أيضاً. ولم يكن المترجمون لينصرفوا منذ مطالع العصر عن قراءة كتب الحكمة التي

يمكنهم أن يستقوا منهـا أصولاً بارزة في كتاباتهم، إذ تبين عكوف فريق منهم على تلك الكتب، إلى جانب الكتب التاريخية ، فكان مـانقل من سيرة "أردشيـر" ، وسيـرة "أنوشروان" من أكاسرة فارس، كما كانت ترجمة كتاب "برزجمهر" وعهد "أردشير بن بابل إلى ابنه سابور"، كما ظهرت ترجـمة كليلة ودمنة مهـداة في البداية إلى جعـفر البـرمكي ثـم تكررت ترجـمـة الكتـاب من الـعـربيـة إلى الفـارسيـة ا الحديثـة بعد أن ترجـمه أسـاسـاً ابن المقـفع من البـهلوية إلى العـربيـة في القـرن الثـامن الميـلادي (الثـاني الهجـري) ويبدو أن العـرب قد استسـاغوا بطبعـهم الفن الحكمي بصفة خاصة، وكأنما بدا أقرب إلى ماأبدعوه فيه منذ جاهليتهم، فكان شغفـهم بترجمة ماوقع تحت أيديهم من حكم الفرس على نحو مـاصنعه الحسن بن سهل حين ترجم كـتاب "جاويدان خـرد" باسم "الحكمـة الخالدة"، وكذلك ماكـان من ابن المقفع في كتبه "الأدب الصـغير" و"الأدب الكبير" و"الدرة اليتيمة".

وهنا تلزم الإشـارة إلى مـقـولة ابن النـديم عن كليلة ودمنة من أن ابن المقـفع نقلها إلى العـربية ثـم الفارسـية، والأرجح أنه نقله عن السريانيـة -لغة الثقافـة والمثقفين- مما جـعل حنين وإسـحاق يتـرجـمـان كثـيـراً من الكتب اليونانية التي لم توجد لها ترجمة بالسريانية إلى السريانية إلى جانب ترجمتها بالعربية.

وكـذا كان كـتاب "الشعر" حيث كـان موجودا في السريانية قبل نقله إلى العـربية، ثم نقل إليها بعد ذلك في زمن متـأخر نسبيـاً حين نقله متى بن يونس من السـريانية إلى العربيـة. وكذلك كان نقل يحيى بن عـدي للكتاب، لتبـقى نسخة الشـعر الكاملة في العالم بعـد ذلك مرتبطة أساساً بالترجمة العربية له.

وعلى غـرار مـاوقع من ترجـمـة لكتـاب "الشـعـر" وكتـاب "الخطابة" كان اتجاه الـعرب إلى الفنون والآداب نقـلاً وإضـافـة، إذ كـان كـتـاب "المحـاسن والمسـاوئ" للبيهـقي، وكتاب "المحاسن والأضداد" للجـاحظ متأثرين بمصـادر بهلوية مـشتـركـة، وكـذلك كـان تأثر القـاضي حميـد الدين البلخي في مقاماته الفارسـية بهذا النوع من أسلوب القص عند أصحاب فن المقامة.

ويتجـاوز التأثير المنطقة الـشرقية من الدولة ليـجد له نصيباً من الغرب، إذ يقدم الشـريشي شرحاً على مقامات الحريري ويحاول ابن القصيرالفقيه، وأبوطاهر السرقسطي التأليف على منوالها.

وقد يبدو الأثر غير المباشـر للمقامات وارداً أيضاً في قـصص الشطار الإسـبانيـة، ثم قـس على هذا التـفـاعل ماكان مـن رسالة التوابع والزوابع لابن شهـيد الأندلسي، سواء مااستوحاه فيها من حديث المعراج أو ماكان لرسالة الغـفران لـلمعـري من أصـداء واضـحة في "الكومـيـديا الإلهية" لدانتي.

وكـذلك كـان حـال "حي بن يقظان" الـتي ترجم أصلها الـيوناني حنين بن إسـحاق ثم ترجمـت بعد ذلك إلى العبرية ثم اللاتينية.

ويبدو من نوافل القول هنـا أن نرى المؤثر المتبادل في الشـرق، وقـد بدا فيـه التفـاعل رائعـاً حـقـاً بين العـرب والفـرس، ويبـدوا أن الفرس قـد ألمّوا بكثـيـر من المؤثرات العـربية، خـاصـة في الشعـر، سـواء مابـدا فيـه من نظام "الدوبيت"، أو مـابدا واضـحـا فـي أوزانهـم العـروضـيـة وقوافيهم التي تَعَلّم على منهاجـها الفرس وظهر اقتداؤهم المؤكد بها. كما تبقى محاور التفاعل وصيغ التأثير والتأثر قائـمة بين الآداب العـربية والآداب الغـربية منذ حـفظت للغرب تراثه، ثم أضـفت عليه من مـقوماتهـا ماانعكست آثاره في إبداع العرب في الأنـدلس من فن الموشـحـات والأزجـال الـعـربيــة، مما ترك آثاره واضــحـة في شــعـر "التروبادور"، فإذا كان الشعر العربي قد تأثر -ولو قليلاً- باليـونـان، وهو مـاانسـحب -بـالقطع- على الفلسـفـة والعـمـارة والفنون والموسيـقى، فقـد سنحت له فـرصـة العطاء بلاحساب حين أفضى إلى الآداب الغربيـة بأدق أسراره، ونقل إليها أهم قسماته وخصائصه.

وإذا كان الشـعر الفارسي قـد نشأ في ظلال الأدب العربي، وفي زحام صوره وأشكاله، وإذا كـانت الفارسية قد استـوحت من العربيـة كثيـراً في لغة الخطاب والأدب والعلم، فـإن الحـضـارة الغـربيـة تـظل -بدورها- مـدينة للعرب بالكثير من معالم الإبداع فيها منذ عبـر الفاتحون إلى أوروبا عبر الأندلس منذ أواخر القرن الأول الهجري، حتى تحولت المدن الأسبانية على أيديهم إلى مراكز عريقة تنشر العلم وتذيع الثقافـة، على نحو ماقامت به (طليطلة) عن طريق دار التـرجمة فيـهـا، على غرار مـاكان من دار الحكمـة في بغداد أيام الرشـيـد والمأمون، وكـأنها قـامت بتصـدير أهم الكتب العربية إلـى اللاتينية، وازداد دورها في نقل آثار الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

وإذا بالألفاظ العربيـة تشق لنفسها سبلا عـديدة عبر اللغات الأوربيـة، وإذا بكليلة ودمنة تترجم إلى الإسبـانية من أصل عربي فـي القرن الثالث عـشر الميـلادي (السابع الهـجـري) وكـأنهـا أبرزت تأثيـراً في كـتـاب أوروبا في العصـور الوسطى، وكذلك كـان ماوقع حول الكومـيديا الإلهية والرحلة الخيالية في الجحيم والأعراف والفردوس سواء مااستمد من قصة المعراج أو من رسالة الغفران.

ولم يكد الـعـرب يتـركـون من الفنون مــجـالا إلا وبحثـوا عن معطيات حـضارية وافدة، ليسـتفيـدوا منها، وليـضـيـفـوا إليـهـا من إبداعـهـم، فـإذا مـا تأثر ابن سـينا والفـارابي، بالموسيـقى اليونانيـة -مثـلاً- كانت إضـافة الفارابي على الموسيقى إضافة جليلة، وهو مايتردد له نظير في الاندلس لدى زرياب حين أضاف وتراً خـامساً، وهو مايكمل مسيرة الشرق الموسيقية عبر أشهر موسيقييه على نحـو ماكـان من صنعة الكـندي في نظرية الموسيـقى، أو كـتاب الفـارابي في الإيقـاعات، أو ثابت بن قـره في فن النغم. وبهـذا المنطق الاستقـرائي تحركـت العـقلية العـربية وجـالت بين شـرق وغـرب، بين علوم وفنون ، بين مـادة مترجمة وإبداع أصيل وإضافات عميقة ، فكان للوجدان العربي أصداؤه عبـر الآداب الغربيـة قديمـها وحـديثـها بقـيـاس الزمن؛ الأمـر الذي يكشف مـنه جـانبـاً ذلك النموذج الإحصائي الذي رصده جرجي زيدان في تاريخ التـمدن الإسـلامي، وفيه سـجل مانقـل إلى العربيـة مع أسماء المترجمين الذين نقلوها في شتى المجالات العلمية والإبداعيـة ، بدءا من كتب الفلسـفـة والأدب إلى كتب الطب وفـروعه والرياضيـات والـنجوم وسـائر العلوم، ثم مانقل من الفارسية والهندية والنبطيـة والعبرانية واللاتينية والقبطية (ج٣ ص١٧١-١٨٢)

فعلاً في قوائم زيدان مايفـي بالغرض في ختام هذا الحوار الذي لاينتـهي إلا بما بدأ به من حتـمية الاعتـراف بالدور الـثـقـافي للعـرب فـي نقل الفكـر إلى الغـرب الأوروبي، وتغذية الثقـافة بروافد ثرة ظهرت فيـها الهوية العربية بارزة مـهيـمنة في شتـى مناحي الفكر والإبداع، ومـاكـان ذلك في مـجمله إلا رد فـعل لازدهار حـركـة الترجمة ونضج العقلية العباسية.

المراجع:

أ - الفهرست، ابن النديم .
- البيان والتبيين، الجاحظ .
- مروج الذهب، المسعودي.
ب - "ضحى الإسلام" و"ظهر الإسلام"، أحمد أمين .
- قصة الأدب في العالم، زكي نجيب وأحمد أمين.
- العصر العباسي الأول، والثاني، شوقي ضيف .
- تاريخ الشعر العباسي، يوسف خليف.
- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال .
- الأدب الأندلسي، أحمد هيكل.
- العلوم عند العرب، قدري طوقان .
- تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان.
- تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان
- تاريخ الشعر العربي، محمد نجيب البهبيتي .
- العرب والروم، فازيلييف .
- أثر العرب في الحضارة الأوربية، العقاد.
- حضارة العرب، جوستاف لوبون.
- تراث الإسلام، جب.
- حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، الجدل والقص في النثر العباسي، عبد الله التطاوي.

تأملات في الواقع العربي

زهدي الفاتح

وهو على مشارف قرن ميلادي جديد، يحتاج العربي الفذّ، يوميا، إلى ساعات من الخلوة إلى الذات، يكتشف خلالها حقيقة موقفه من خالقه تعالى، ليعرف حقيقة ذاته، وحقيقة مايدور إزاءه في هذا العالم، ومن ثم ليتأمل في تلك الحقائق كلها، ببصر حديد.

اللهاث خلف الربح السريع، أو اللذة الآنية، أو الفهم العابر، أو الجاه الرجراج البرّاق: كل هذه مظاهر الفرار من الخالق تعالى، ومن الذات، ومن العالم، بينما الحق أن نفرّ إلى الله.

تعترف حقائق التاريخ المدوّن أن المكتسبات التي تحصدها الأمم أو الأفراد، على عجل، هي مكتسبات آنية، تتبدّد على عجل، إذ الربح أو اللذة أو العلم، الذي يزدرده صاحبه في ساعة، لايلبث أن يتبدّد في ساعة.

نجهل، كل الجهل، إن أضلّنا الهوى، بأننا قادرون على خداع التاريخ، أو الاحتيال عليه، حساب التاريخ حساب عسير، والأمم التي دخلت التاريخ مسرعة غير مؤهلة، مالبثت أن طُردت منه بسرعة مماثلة، دون أن تخلف وراءها أي أثر يُقتص.

بعض الأمم تُدمن مخادعة الذات، إلى أن تجد نفسها مؤهلة لاستخدامها في المقاهي والأسرّة الناعمة، وأزمات السير!

ياويح الأغبياء الذين يصرون على أن بالإمكان الاحتيال على التاريخ!.

الضياع الذي يكتنف عالمنا العربي الراهن، وكأنه جثة الهزيمة الساكنة في سماته، نتيجة طبيعية لجمود عن الحق، وتدفق في الباطل.. هذا الضياع، يدل على ضرورة الأناة، والتروي، والتبصر في الأمور، قبل كل شيء.

يكون الضياع الحضاري عندما يعيش الناس دون رغبة، ويموتون دون أن يحتضنوا إرادة الحياة، من أجل ماهو أبعد منها.

والحق أنّ من يضلّ طريقه، فيفترسه التعب وهو يبحث عن معالم الطريق ليس ضائعاً. بل الضائع هو من لاطريق له يضيعها، ولامعالم طريق يحرص على أن لايضلّ عنها.

إنه الموات الإنساني حين لايكون ثمة أهداف تخلد بعد الموت، ويحس الفرد أمامها بأنه جزء منها، وإن مات لأجلها.

الضياع الإنساني يبدأ بالأفراد أولا، وهو أن يعيش الإنسان، ولايكون له مايبحث عنه، إنه عندئذ يكون كالرحى الفارغة تدور وتدور فتأكل ذاتها بذاتها، عندما تعدم ماتدور عليه.

لذلك، كان أبلغ وجوه التروي الذي يحتاج إليه العربي الفذ الآن، هو الرؤية، أي التأمل الطويل الهادئ في علاقاته مع الله تعالى، لمعرفة ذاته، وليعي مايحيق بها، والبحث بدقة وعناية عن كل ماهو خليق بطلب الإنسان وعنايته: عن الذات، عن الوجود، عن الموضوع، عن الآخر، عن العالم، عن كل شيء.

ذلك كله مرتبط أشد الارتباط بمطلب واحد، هو إدراك الذات، عن طريق معرفة الله تعالى.

منْ أدركَ ذلك من العرب، لابد أن يقلع عن التعلّق بكل ماليس خليقا بالإنسان كإنسان: عن الهوى، عن الوهم، عن العدم، عن اللاعالم، عن اللاشيء.

ولابد أن يُدرك، تاليا، أن بقاء العالم العربي متكئ على العمل الموضوعي المعمّق لإزالة هذا التباين الشاسع بين "الكم" العربي و "الكم" النوعي عند الآخرين.

والناس عندنا رجلان: رجل مستيقظ في الظلام، ورجل نائم في النور.

المعضلة: كيف ننقل كل رجل إلى مكانه؟

المعضلة: بصيغة سؤال أكثر تعقيدا: هل يحصل ذلك، لأن الأمم الضعيفة تستضعف الأقوياء من أبنائها، وتستقوي الضعفاء من أبناء الأمم القوية؟

لكن الذهب، ياغَلْفَ القلوب، كريم! وهذا الذي يعلوه الآن غبار لاصدأ!..

هكذا علّمنا التاريخ.

وأنا أستغرب كيف يجد بعض الناس في التاريخ، ذلك "الشيء من الماضي"!..

إنما التاريخ هو ذلك الشيء في.. المستقبل.

خلافا لما يُظن عادة، فإن تأثير الإنسان في الأوضاع الراهنة، التي يعرفها تمام المعرفة، ضئيل، بينما، على العكس، يستطيع أن يؤثر كثيرا في الأوضاع المستقبلية التي لايعرف عنها إلا القليل، من خلال ضبط الحاضر.

فالبيئة الميتة لاتنتج إلا الموتى.

رغم ذلك، فكثيرون منا ينتظرون أن يكافأهم المجتمع على أمانتهم في الأداء العادي لواجباتهم!..

أولسنا مدينين ـ جميعا ـ لهذا المجتمع بأكثر مما هو مدين لنا؟

هكذا نستدرج أنفسنا بأنفسنا، من الهوى إلى الهاوية، إلى حد أننا لم نعر اهتماما ما لتربية أجيالنا، كي تكون لها العقول المغرمة بالحقيقة، مع أننا سنفاجأ وتأخذنا الدهشة المنفعلة ـ حصيلة الهوى الذي يحيط بحياتنا ـ إذا رأينا رجالا منا بلا أفق، يتعاملون مع المستقبل بنفسية هشة!..

البائس أنّ إرادة الهوى فينا والكسل واللامبالاة

والضعف، تفرض علينا أن نصدق شعارات نحن اخترعناها، فأصبحنا أسرى لها: إن كل شيء في كل العالم، أعدّ كل العدة لوضعنا نهائيا خارج هذا الزمن!..

أيّ زمن هذا، حاضرا أم مستقبلا، نغريه بالوقوف إلى جانبنا، مادام في بعض مجتمعاتنا - في "بعض" حتى الآن - لايكتسب وجود الإنسان معنى، ككائن خلقه الله تعالى، ونفخ فيه من روحه سبحانه، وأمر الملائكة بالسجود له - إلا بإضافته إلى قدر من المال، أو المتاع، أو الجاه، الذي قُيّض له اقتناؤه، والذي يقاس قدره وقدر سائر الناس به؟..

في "بعض" هذه المجتمعات، يفقد الإنسان، خليفة الله تعالى، قيمته الجوهرية، وعوضا عن أن يكون غاية بحد ذاته، يتم التعامل معه كمالك لمتاع ما أو وسيلة لغاية ما!.

والمجتمعات التي لم تضرب بسهم من معرفة الذات، ومن معرفة حقيقة الإنسان وجوهره، ومن معرفة حقيقة العوالم المتصلة بها، أو هي عرفتها ثم أنكرتها، كتبت على نفسها الانقراض.

المجتمعات التي لم تدرك حقيقة الإنسان، بمَ هو إنسان، ليست مجتمعات بالمعنى الأصيل.

لاأعرف جيلا عربيا في التاريخ، دُعي إلى تقريرات حاسمة، دعوة جيلنا الراهن.

وكلنا يدرك أن التاريخ تقرره الأعمال الحاسمة، لا المماحكات الكلامية.

لكن كيف نستطيع القيام بالأعمال المصيرية الحاسمة، وبعضنا لازال ضمن السحر، كالجماعات البدائية الأولى؟.

هذا الهروب إلى دوائر السحر، يُفسر لماذا يُكثر العرب من الكلام.

أليس لأنهم يتوهمون أن هذا الكلام، هو كالكلام الذي يلفظه الساحر أو المشعوذ، فيفعل فعل السحر، بحيث يحوّل الشيء إلى.. آخر؟.

آفاق لغوية

المدَنيّ و "المكّاويّ" (١)

د. صالح بن سليمان الوهيبي

هاتان كلمتان شائعتان أولاهما هي محل النقاش في هذه الحلقة؛ و لنبدأ بالحديث عنها قائلين: إن «المدَنيّ» نسبة إلى «المدينة» سواء أكانت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أم «المدينة» التي هي مقابل القرية. والنسبة إليها على وجهين:

الأول: «مَدَنيّ» بحذف الياء التي بعد الدال وتغيير حركات الكلمة بعد النسب لتصيرعلى وزن «فَعَليّ».

الثاني: «مَدينيّ» على زنة «فَعِيليّ»، بحذف التاء فقط وزيادة ياء النسب.

والوجه الثاني هو الذي تنص معظم كتب النحو والصرف وكتب التصحيح اللغوي على خطئه؛ إذ تجعله سماعيا لا يقاس عليه. وشاع بين الناس تخطئة من قال به كما في النسب إلى «طبيعة»: طبيعي، وإلى «سليقة»: سَليقي، وإلى «بَديهة»: بَديهي، على أساس أن الصواب هو: طَبَعيّ وسَلَقيّ وبَدَهيّ. وعلى الرغم من شيوع هذا القول منذ سيبويه رحمه الله، فإن هناك من الشواهد العربية مايشهد بعكسه. فالعرب قالوا: سَليقيّ، وسَليميّ، وعَميري.. إلخ ناسبين إلى: سَليقة وسَليمة وعَميرة، كما روى ذلك سيبويه نفسه ﴿الكتاب ٣٣٩/٣﴾

ومن هنا يصح فيما كان على «فَعِيلة» في النسب: (فَعَليّ) و (فَعيليّ).

ويستثنى من ذلك الوجوه الآتية:

١- ما سمع فيه وجه واحد كمَدَنَي نسبة إلى المدينة المنورة، ورَبَعيّ نسبة إلى رَبيعة، فيُقتَصَرُ فيه على «فَعَليّ»

٢- ما كان مضعفا كدقيقة وجليلة، فينسب إليه على «فَعيليّ»

٣- ما كان معتل الوسط كطويلة وقويمة، فينسب إليه على «فَعِيليّ»

وأحسنَ مجمعُ اللغة العربية في القاهرة صنعا حين عدّ النسبة على الوجهين صحيحة، وقد جمع اللغوي العراقي أنستاس الكرملي مجموعة من الأمثلة مشابهة لما ذكره سيبويه، لكنّ في النفس من صحة النسبة إلى معظمها على «فَعيلي» شكا. (انظر: المقتطف، ربيع الأول ١٣٥٤هـ/ يوليو ١٩٣٥م).

إن المعوَّل في تقرير القواعد النحوية والصرفية على الدليل. وإذا كان الفقيه يلتمس الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من مصادر التشريع، فإن النحوي والصرفي دليلُهما ما جاء عن العرب من أمثلة تسمى عادة «شواهد». فإذا بلغنا عن العرب أمثلةٌ صحيحة تخالف قاعدة مستنبطة بناء على ما تبين من الأمثلة في زمان ما فإن علينا أن نأخذ بالأمثلة، ونعدّل القاعدة وفقا لها، إذ القواعدليست حكَمًا على اللغة، بل اللغة حكَمٌ على القواعد: أصرفية كانت أم نحوية.

وليس علماء اللغة الأقدمون - على الرغم من فضلهم وإخلاصهم في خدمة العربية - بمصيبين في كل ما قرروه؛ فاستقراؤهم للأمثلة ناقص. بل إن النقص لايزال قائما على رغم مرور عشرات السنين على بداية الدرس النحوي.

يضاف إلى ما سبق أن إلزام الناس باجتناب وجوه سائغة من الاستعمال اللغوي تحكُّمٌ لا مسوِّغ له. وللمرء أن يُلزم نفسه بما شاء من أساليب، لكنْ ليس له أن يُخطِّئ ما كان له وجه كبير من الصواب. وينبغي للنحاة والصرفيين واللغويين أن يدوروامع الأدلة، وهي الأمثلة المروية عن العرب، وألا يرهنوا أنفسهم لمقولة نحوي أو صرفي اجتهد في ضوء ما تجمَّع لديه من شواهد. وليس أحد من هؤلاء مُتعبَّدًا بمقولات الأقدمين، لكنها تظل ملزمة متى أسست على شواهد لغوية لا مُعارِضَ لها. أما إذا عارضتها شواهد أخرى فإنها تصير محل نظر.

ولست بهذا أجيز كل وجه لغوي شاع عند الكتاب لمجرد شيوعه.. وسوف أبين فيما يأتي - بإذن الله - وجوها لاتؤيدها الأدلة عند الحديث عن «المكّاوي» وما هو على شكله. والله أعلم. وصلى الله وسلم على النبي المختار محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قصة قصيرة

دائرة للسقوط

فؤاد قنديل

في الثانية ظهرًا بدأت حشود كبيرة من الرجال والنساء تخرج من أفواه العمارات، حشود لاتنتهي، تمضي كلها صوب الميدان، وتقف أمام مُتحف الآثار، حشود هائلة، تحمل الصحف والحقائب، وتمسح العرق، تمشي، وتجري، وتقفز. تتلفت، وتفكر. تتلفت، وتقرأ بإمعان أرقام السيارات الحمراء الضخمة. تتلفت، وتفزع، وتنفعل، وتضطرب.

فيضان من البشر تجمّع في موقف السيارات.. أرتال السيارات تأتي، ثم يتوقف الجميع معًا متداخلين ومتعانقين.. متلاحمين.. يختفي بعضهم في بطون السيارات، ويبقى بعضهم الآخر ثم يخرج.. عالم غريب ومجنون.. كل ما فيه يفكر في الرحيل، ويسعى بكل قواه ونقوده كي يعود إلى بيته، ربما قبل موعد محدد.

بعض الحافلات الضخمة تتحرك في نعومة خارجة من الميدان، أما العشرات القادمة إليه فإنها تهجم عليه مندفعة نحو مواقعها، وكأنها المستقر الأخير، أو الراحة الأبدية بعد عذاب قرون.

ينزل السائق والمحصّل إلى كشك المفتش، ويظل المحرك في مكانه يزمجر، وما هي إلا دقيقة حتى يعودا، ليأخذا طريقهما بمنتهى اللباقة والمرونة بين الأجساد المتحدة بعنف.

درت أبحث بين الناس المتجمهرين عن سيارة تحملني إلى البيت، لم يكن هناك مكان ثابت يمكنني أن أقف فيه.. كان كل شيء يفر ويجري ويدور ويتلفت ويقع ويهجم. كل شيء.

في وسط هذا الخضم الهائل انخلع فكري لحظة، وانطلق إلى متحف الآثار.. تطلعت إلى واجهته. هكذا أنا وهذه مأساتي.. أعمل في شيء، وأفكر في شيء آخر، وأنظر إلى شيء ثالث.. كانت بضعة تماثيل تجلس في أدب، وتحدق في الميدان المجنون. سألت رجلاً كان قريبًا مني: لماذا لم يحضر أتوبيس «٩٩»؟

لم يأبه ولعله لم يسمع.. سألته من جديد.. نظر إليّ فجأة كأنه اكتشف وجودي وتلفت حوله، ثم انطلق بعيدًا عني.

بعد قليل جاء «٩٩».. أسرعت إليه لألقاه قبل الجميع.. لحقت به وهو يدور ليضبط مساره، ويأخذ طريقه إلى حارته.. ألفيت العشرات معي تتدافع وتسد الباب.. حاولت أن أجد مكانًا لي في الباب الأمامي.. كان ذلك صعبًا للغاية، عدت وحاولت العثور على ربع مكان في الباب الخلفي.. كان ذلك مستحيلاً.. تدافع الناس بعنف.. بكل القلوب والمناكب والمرافق والأظافر والنظرات الغاضبة، بالأسنان والأحذية والإلحاح.

ولولت امرأة بعد أن أوشكت عظامها أن تتحطم، وملابسها أن تتمزق، ولحمها أن يفرم.. وربما تولول لسبب آخر..

وَلْوَلَت مرة ثانية.. لكن ذلك لم يحرك نحوها عصبًا أو شعرة.. زاد التدافع، والعنف تقدم وسيطر بلا كلمة.. بذل كل إنسان أقصى قوته ليدخل.. يدخل الأتوبيس.. بالغريزة وحدها أصبح بعضهم يمضي بين بعضهم الآخر كالدودة، يتقدم ملليمترًا من هذا الجانب وملليمترًا من هذا الجانب. يحرز مسافة ثم يكرر الحركة بشكل دؤوب وفعال.. وهكذا يصبح للدود نفع.

أخيرًا توقف الأتوبيس، وأنا مع الزحام، آخر المجموعة المحمومة.. كنت ملتصقًا بهم برغبة أكيدة، ولكنها كانت رغبة منفصلة عنهم، وتبدو بالقياس لإخلاصهم باردة.. كنت محسوبًا على المزاحمين، لكني لا أتقدم.. وظللت أحتفظ حتى النهاية بموقعي المتميز كآخر المحاربين.

أنهيت أخيرًا حالة اللاركوب واللا انتظار بابتعادي عن الأتوبيس وحائريه الذين تدلّى بعضهم من بابيه.

حولت نظري إلى الطريق الذي سيأتي منه «٩٩» آخر، لُمت نفسي لأني كنت متخاذلاً.. تصرفت كأني لا أود العودة.. كان عليّ أن أسرع قبل الجميع، وأبذل جهدًا زائدًا مع صبر لاينفد.. لابد من بعض العنف والنضال.. إلى متى سأظل هنا في الميدان أشارك في الزحام بالوهم فقط؟

لابد من موقف آخر.. لابد من القبض على النتيجة. تراءى لي من بعيد أحد الأتوبيسات يسرع قادمًا.. عرفت من ملامحه أنه «٩٩».. لابد أن ألقاه في منتصف الطريق.. أسرعت إليه.. طرت في الميدان.. قفزت فوق الأرصفة.. تفاديت عشرات المنتظرين، ونفذت بينهم في رشاقة ومهارة.. كنت في سباق من نوع جديد.. سباق الجري والنفاذ بين عشرات الملتصقين.

اندفعت نحوه قبل الجميع.. أصبحت أمامه وجهًا لوجه.. كان مندفعًا وكنت مندفعًا.. لم أُقدِّر المسافة التي بيننا.. سال عرقي على نظارتي وغيمت عليها أنفاسي.. تضاءلت المسافة حتى تلاشت فجأة، وتفجر الجسد المنطلق.

سكون تام إلا قليلاً.. كان ثمة طنين وأزيز.. وساد الصمت، ورأيت كما يرى النائم جسدي يرتفع ووجهي إلى الأرض.. أرتفع ويبتعد الناس ويصغرون. جسدي كالورقة مطيعًا وضئيلاً في كف الريح.

أرتفع ويبتعد الناس، وتُحصي عيناي العشرات من السيارات الحمراء تلون الميدان كأنها مظاهرة.. الناس يرفعون نحوي رؤوسهم.. يفتحون عيونهم وأفواههم.

تراجعوا جميعًا للخلف وانتظروا والتحموا.. والسيارات أفسحت الطريق.. تراجَعَتْ إلى الوراء.. ورسم الجميع دائرة كبيرة محكمة الاستدارة.. ميدان داخل ميدان الاسفلت الساخن، يرق تحت الشمس الملتهبة، والدائرةُ تحتي تتراءى كالبحيرة المعتمة مجهولة الأعماق.

لم أعد أرتفع، وشرع جسدي يثقل تدريجيًا.. الناس لازالوا يرفعون رؤوسهم ونظراتهم إليّ.. يتعجلون هبوطي.. وكانت التماثيل القابعة في سكون واستسلام أمام المتحف تتفرج على هؤلاء الذين رسموا الدائرة .. قرر جسدي السقوط.

اندفعت هابطًا نحو الدائرة الفسيحة.، كان هبوطي سريعًا جدًا كأني صاروخ أطلقته السماء ليصيب الأرض ويدمرها..ولم أكن خائفًا من النهاية.. اجتاحتني ثقة غريبة. هل نحن نسقط وحدنا؟.. حتى هذا السؤال لم أسأله لنفسي ولم أقاوم، كنت فقط أحاول أن أحسب المسافة المتبقية.. لكنها كانت أسرع مني، فارتطمت بالأرض وَدَوّى في الجسد انفجار جديد.

انسحقت عظامي وأعصابي وجزيئاتي.. انسابت دماء زرقاء كالمياه الجارية على أرض سوداء. بقايا هزيلة من الوعي أحسست أن أقداما تقترب.. العيون تحدق في الجثة. النظرات بلا معنى.. ثم بدأ كل شيء في التضاؤل والابتعاد.. خفتت الأصوات تدريجيًا، وساد الكونَ سكونٌ ناعم.. تسللت إلى روحي المودعة، نسمات رضا مفتقد.. وسلام.

عثمان الصالح: المعلم المربي

إعداد: عبدالكريم يعقوب

رجلان ومدرستان ومدينتان هي أهم المحطات في حياة الشيخ عثمان بن ناصر الصالح. هو عَلَمٌ من أعلام التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، صاحب تجربة غنية في مجال تربية الأجيال والتدريس والإدارة المدرسية.

في مدينة المجمعة تلقى العلم أولاً على يد الشيخ أحمد الصانع، ثم سافر إلى عنيزة واستفاد من تجربة أخيه الشيخ صالح مؤسس المدرسة الأهلية الحديثة، وعاد إلى المجمعة فأنشأ فيها «المدرسة الأهلية». وبعد إنشائها بثلاث سنوات وتنقُّل بين الرياض والجبيل لم يدم طويلاً استقر في الرياض، وشرع - بتكليف من ولي العهد آنذاك الأمير سعود بن عبد العزيز - في إنشاء معهد الأنجال الذي أصبح يُعرف فيما بعد بمعهد العاصمة النموذجي.

تلك خلاصة مسيرته. وإذا أردنا أن نبدأ من النهاية فما هي خلاصة تجربته في الحياة؟

حين سألتُهُ هذا السؤال أجاب بالقول:

- أن يكون هدفك سليما.
- أن يكون عملك خالصا لوجه الله.
- أن تكون على قاعدة من الفهم، لأن الذي لايفهم لايبني. لاتدخل في مأزق من المآزق أو عمل من الأعمال إلا وأنت تدري كيف تديره وعلى أي أساس تديره؟
- لا أبني نفسي، ولكن أبني العمل الذي أقوم به، لأن الشخص زائل ولكن أثره باق.
- أن أعمل بما أعلم.
- أن أصْدق مع مَنْ أتعامل معه حتى تصدق النتيجة، فإذا لم تكن صادقا في عملك فلن تكون النتيجة صادقة.

المعلم الأول

في الأربعينيات الهجرية - أي قبل نحو ثمانين عاما - كان في المجمعة شيخ دَرَس في الكويت وعاش فيه فترة من الزمن، يدرّس الصبية القرآن الكريم وشيئا من الأدعية ومعلومات فقهية بسيطة مثل أركان الصلاة وما إلى ذلك. ذو شخصية قوية لها نفوذ إلى قلوب تلاميذه يدعمها الصدق والإخلاص في تعليمه وتربيته. اسمه أحمد الصانع، ومن تلاميذه عثمان بن ناصر الصالح صاحب هذه التجربة. كان الصانع أول مدرس في حياة الطفل عثمان الذي لازمه حتى بلغ العاشرة.

يقول عثمان الصالح عن معلمه الأول:

«تعلمت منه الشخصية، كيف تدير الطلبة وكيف تعاملهم؟ تعلمت منه متى تكون القسوة ومتى يكون اللين. والحقيقة أن الرجل كان له تأثير مباشر في حياتي الشخصية والمهنية. إن له مكانة عظيمة في نفسي لدينه وإخلاصه وشخصيته».

في سن العاشرة ذهب إلى عُنيزة، حاضرة القصيم، وكانت محطته الأولى بعد مدينته المجمعة. لماذا عنيزة بالذات؟ لأنها كانت في ذلك الحين (١٣٤٧هـ) «من أثقف البلدان وكانت تهضم التعليم وتمتص التربية الحديثة بقدر الإمكان» - على حد تعبيره، ولأن فيها أخًا له هو الشيخ صالح بن ناصر الصالح، أسس «المدرسة الأهلية الحديثة» في عنيزة بعد أن درس في العراق والكويت والبحرين دراسات قوية شكلت منه شخصا مؤهلاً تربويًا وتعليميًا، وكان له في الأدب منحى أصيل، ومن أساتذته الشاعر البحريني المشهور إبراهيم العريّض، والشيخ



عثمان الصالح في صورة تعود إلى السبعينيات الهجرية «الخمسينيات الميلادية» أثناء إدارته معهد الأنجال في الرياض.

محمد أمين الشنقيطي الذي أنشأ في العراق - وفي الزبير بالذات - مدرسة سماها «مدرسة النجاة»، يصفها الشيخ عثمان بأن لها «إشعاعا باقيا إلى اليوم يضيء المجتمعات التي التحق أبناؤها بهذه المدرسة».

المدرسة الأهلية

عن تلك المرحلة يقول الشيخ عثمان:

«ذهبت إلى عنيزة والتحقت بالمدرسة الأهلية الحديثة، وبقيت فيها حتى سنة ١٣٥٣هـ بعد أن هضمت البرامج التربوية الحديثة، وأصبح عندي استعداد لأن أفتح مدرسة، لحبي للتعليم مع أن التعليم في ذلك الوقت كان صعبًا جدا. وعندما عدت إلى المجمعة افتتحت فيها مدرسة أسميتها «المدرسة الأهلية»، ومكثت فيها من سنة ١٣٥٣ حتى سنة ١٣٥٦هـ عندما افتُتِحت المدارس الحكومية، وكان عددها ثمانيا أو تسعا، أنشئت في أمهات المدن وكان من نصيب المجمعة واحدة منها».

ويقول عن استفادته من تجربة أخيه التعليمية:

«لولا المسار الذي سرت عليه في المدرسة الأهلية في عنيزة لما استطعت أن أدير أي مدرسة، لأنها كانت تسير على أصول صحيحة شبيهة بما هو عليه الحال الآن في مدارسنا الحديثة. استفدت من تلك التجربة في تدريس اللغة العربية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ، وفي التربية الرياضية والأناشيد، والحياة الحديثة بأجلى ما تصفها».

كيف انتقلت مدرسته الأهلية إلى القطاع الحكومي، وكيف انتقل هو أيضا إلى التدريس في مدرسة حكومية؟ يجيب قائلاً:

«أراد الناس أن أبقى في المدرسة الأهلية لجدواها فيما يرون، ولكن كان لي رأي آخر، لأني أدري أن الفرد لا يبقى في المدرسة ولا يبقى إلا شخصية تحتضنها الحكومة، والحكومة تأتي بالأصلح. فذهبت بطلابي الذين كان عددهم يقارب السبعين، وهم صفوة طلاب المدرسة الأهلية التي كنت فيها المدرس الأول وكنت فيها الموجّه والمدير، ذهبت بهم في جمع حاشد كأننا لواء من ألوية الجيش، بتنظيم وأناشيد وحديث خطابي لفت أنظار الناس، وأصبح هؤلاء الطلاب هم نواة المدرسة الحكومية الجديدة في المجمعة. بقيت في هذه المدرسة من سنة ١٣٥٦ إلى ١٣٥٨هـ، وتدرجت فيها إلى أن أصبحت «المعاون»، وكان مديرها الشيخ سليمان بن عثمان الأحمد».

الحلم يتحقق

كان طموح الرجل أن يدير مدرسة، وكانت غايته الأولى والأخيرة أن يبني مرفقًا من مرافق التعليم ويطمئن إلى أنه أدى رسالة في هذا المجتمع، فانتقل في عام ١٣٥٨هـ إبان الحرب العالمية إلى الرياض بعد أن استقال من عمله. كان التعليم الديني والتربوي قد بلغ في الرياض مبلغا لا بأس به، وشجعه هذا على الانتقال إليها، فضلا عن كونها العاصمة ولأن مجالات العمل والحياة فيها أوسع. مكث فترة قصيرة عند الأمير عبدالله بن عبدالرحمن - أخي الملك عبدالعزيز يرحمهم الله - أدار خلالها مدرسة خاصة أنشأها الأمير، غير أنه ما لبث أن انتقل إلى الجبيل رغبة في التجارة، حيث لم يطب له المقام في الرياض.

ترك الرياض وما درى أن الأيام ستعود به إليها، إلى محطته الثانية التي سيمضي فيها بقية عمره ويحقق أحلامه وطموحه الكبير. لم تمض أيام على قدومه إلى الجبيل حتى جاءته برقية عاجلة من ولي العهد - آنذاك - الأمير سعود بن عبدالعزيز يطلب منه فيها التوجه إلى الرياض.

سافر إلى الرياض جوا عن طريق الظهران، وكانت الرحلات الجوية في ذلك الحين قليلة، وعندما قابل الأمير سعود أخبره بأنه ينوي إنشاء مدرسة يدرس فيها أبناء الأسرة (المالكة) وغيرهم من أبناء الشعب جنبا إلى جنب، وكانت رغبته في أن تكون هذه المدرسة صرحا ثقافيا وعلميا وتربويا حديثا. كانت تلك البداية لإنشاء معهد الأنجال في أواخر عام ١٣٦٥هـ، الذي سمي فيما بعد معهد العاصمة النموذجي.

لم يكن تأسيس المعهد صعبا على عثمان الصالح، فهو يحظى الآن بدعم كبير من ولي العهد شخصيا، تسانده خبرته وحماسته اللتان وجدتا المجال المناسب لتكريسهما في مشروع ريادي كهذا. بدأ معهد الأنجال بخمسة عشر طالبًا وُزِّعوا على فصلين، وتولى تدريسهم ثلاثة معلمين: عبد الرحمن بن عوين وعثمان بن عبدالله المدلج وعثمان الصالح نفسه. كان يتولى وضع الخطط الدراسية وتحديد الموضوعات ويعمل الثلاثة معًا على تنفيذها. مضت السنة الأولى على هذا المنوال، وفي السنة الثانية طُلب منه السفر إلى مصر لاختيار مدرسين، فاختار من هناك اثني عشر مدرسا، ثم سافر إلى سورية والأردن للغرض نفسه.

ثم تطور التعليم في البلد، وانتشر بصورة أعم في المدن والمناطق كافة، وأصبحت هناك بعثات تعليمية حكومية في عدد من الدول العربية، ولها مندوبون رسميون، فساعد ذلك في تسهيل مهمة اختيار المعلمين لمعهد الأنجال، كان عثمان الصالح يختار المدرسين ويتولى المندوبون التحري عنهم، وكان لهذا التعاون أثره في المستوى التربوي والعلمي للمعهد.

بناء الشخصية

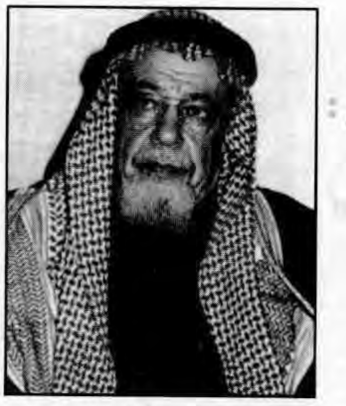
لم تكن الريادة لمعهد الأنجال (معهد العاصمة

عثمان الصالح:

النموذجي) في سبقه الزمني لغيره من المدارس والمعاهد فحسب، بل كان سباقا في جملة من النشاطات والتقاليد التربوية. نجح المعهد في تكوين الجو التربوي الصحيح الذي يعتمد على التأثير، فالعقوبة ـ مثلا ـ كان لابد منها، لكنها بدلا من أن تكون موزعة بين عشرين مدرسا وُكلت إلى المدير نفسه، فالمدير ليس له هوى في نفسه ضد أحد، فهو دائما مع الحق لينفذه، وليست له رغبات أو ميول شخصية قد توجد في المدرس بحكم تعامله المباشر مع الطلاب.

كان الاهتمام فائقا ببناء شخصية الطالب، ليس بالقوة واستخدام العصا، وإنما بالاعتماد على أمرين: المادة الصحيحة التي يتلقاها الطالب من أستاذه، وبناء الأخلاق. ويقول الشيخ عثمان في هذا الصدد: «متى استقامت هاتان القاعدتان وتكاملتا استطعت أن تجد طلابًا يملؤون المكان ويكونون أهلا للمسؤولية مستقبلاً».

ومن النشاطات والبرامج التي يعتمدها المعهد وسائل لتكوين شخصية الطالب النشاط الرياضي والإذاعي والرحلات والصحافة المدرسية والكشافة والندوات الأدبية، وكلها نشاطات كانت جديدة على المجتمع في ذلك الحين. إذاعة الصباح مدتها خمس وعشرون دقيقة، كونت مجموعة من الشباب الذين نمّت فيهم الإذاعة روح المواجهة فأصبحوا يخطبون أمام (الميكرفون) كما يتحدث أساتذة الجامعات والخطباء المتمرسون. ندوات ومحاضرات يومية وأسبوعية يشارك فيها الطلاب بفاعلية، فتعوّدهم على التفكير الجماعي وأدب الحوار. صحيفة مدرسية عنوانها«الناصرية» ـ الحي الذي تقع المدرسة فيه ـ كانت لاتقل في مستواها عن المجلات التي تصدر في ذلك الحين. حفلات كل شهرين لتكريم الثلاثة الأوائل من كل صف،



عثمان الصالح

يحضرها أولياء الأمور، ويخطب فيها الأوائل ويتحدث الآباء والمدرسون.

اللغة والأدب

كانت اللغة العربية والأدب العربي موضع اهتمام خاص لدى الشيخ عثمان الصالح، فالطلاب كانوا يدرسون أجمل القصائد، في الشعر الجاهلي والأموي والعباسي، والأدب المعاصر، عن ذلك يقول:«كنا نعطيهم من أمتن النصوص وأقواها، لغةً ومعنىً ونسجًا، وتمثل كل العصور الأدبية، كنا ندرّسهم منتخبات من قصيدة الشنفرى، وهي من أصعب النصوص، من قصيدة ابن دريد والنابغة وأمثالهما، كان هذا الأدب الرفيع المستوى يدرّس لطلاب المرحلة المتوسطة. ولهذا كان عند الطلاب متانة في اللغة وذوق أدبي راق، كانوا يعرفون الأسس والقواعد التي يُبنى عليها الأدب العربي الصحيح». وفي اللغة كان تلاميذ المرحلة الابتدائية يدرسون الجزء الثالث من كتاب «النحو الواضح» لمصطفى أمين وعلي الجارم، هذا الكتاب يقول عنه الشيخ عثمان: «من أجمل وأنقى وأقوى ما وقع عليه بصري من كتب اللغة العربية».

ويقول أيضا:«كنا نبني فكر الطالب من خلال الكتب، وكان لدينا في مكتبة المعهد عشرة آلاف كتاب، ليس فيها كتاب مشبوه أو به مخالفات أو اتجاهات مخالفة للدين أو غير ملائمة للخلق والمجتمع. وكنا نشجع الطلاب على تلخيص تلك الكتب التي تمزقت من كثرة الاستعمال».

معهد الكريمات

الذين عرفوا عثمان الصالح رائدًا من رواد التعليم في المملكة العربية السعودية قد لايعرفون كلهم أنه رائد من رواد تعليم البنات في الوقت نفسه، وقد لاقى في سبيل ذلك مشقة بالغة، ذلك أن معهد الأنجال كان ملحقا به «معهد الكريمات» وهو قسم الطالبات في المعهد، وكان مدرسة متكاملة يضم الروضة والمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية. كما كانت هناك «مبرّة الكريمات» القائمة على التبرعات، وكانت تضم جميع المراحل عدا الثانوية. أشرف الشيخ عثمان بنفسه على إحضار المعلمات من مصر وسورية، وكان المعهد والمبرة النواة الأولى لمدارس البنات في مدينة الرياض. استمرا لمدة سبع سنوات، ثم سُلِّمَا للرئاسة العامة لتعليم البنات بعد إنشائها كي تتولى الإشراف عليهما.

من الصعوبات التي يذكرها الشيخ عثمان في هذا المجال أن الملك سعود ـ يرحمه الله ـ رأى أنه لايمكن أن تتولّى المعلمة غير السعودية تعليم الدين للفتيات السعوديات، ولم تكن هناك معلمات سعوديات، وكان موقف المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم ـ يرحمه الله ـ حازما في هذا الشأن، إذ لايمكن أن يتولى الرجل تدريس البنات على الإطلاق. وبعد محاولات مضنية بذلها الشيخ عثمان الصالح وافق الشيخ ابن إبراهيم على أن يتولى تدريسهن ثلاثة من المعلمين المكفوفين.

ويعلق الشيخ عثمان بقوله: «لقد لقيت في ذلك الأمرَّين، ليس في تعليم البنات فحسب بل في التعليم عموما، لأني كنت أتبع طريقة لم تكن مألوفة، النظام والحضور والغياب وتفقد الفصول... إلخ، هذه أشياء لم يكن من السهل أن يفهمها أو يطبقها كل إنسان في ذلك الحين». ويضيف: «تعليم المرأة قاسينا فيه كثيرًا، ولا أعتقد أن أحدا وقف في هذا الأمر مثل ما وقفت. فالناس كانوا لايريدون تعليم الفتاة، ليس جهلا منهم، ولكن خوفا من أن تنزلق في أشياء خارجة عن نطاق المدرسة».

وهنا يذكر واقعة طريفة؛ جاءه أحد المدرسين المكفوفين وقال إنه إنسان فقير ويريد منه أن يعفيه من عمله، فالبنات يتحكمن فيه ويزدرينه، فوعده أن ينظر في أمره. وعندما حان موعد الدرس دخل الشيخ عثمان الفصل ـ بالاتفاق مع المديرة ـ وفاجأ الجميع حتى يرى الأمور على طبيعتها. كان في الفصل ثماني طالبات، قال لهن: لقد آذيتُنّ هذا الأستاذ، وأقسم بالله ثلاثا أني سأمزّق أوراقكن في نهاية الاختبارات، وهذا شيء أملك صلاحيته وليس من حق وزارة المعارف التدخل فيه. والله والله والله إن حصل منكن ما يسيء إلى هذا الأستاذ أو غيره سترين من القسوة والشدة ما لا يجعل لكنّ أي قيمة في التعليم. حاولت إحدى الطالبات مناقشته في الأمر فرفض قائلاً: جئت لأملي إرادة معيّنة لا لأناقش فيها. بعد ذلك قبّل الأستاذ رأسه وقال له: والله أصبحتُ الآن في جنة ، الجنة التي وعدها الله للمتقين. قال له: وكيف ذلك؟ قال: لقد أصبحن يعاملنني أحسن معاملة ويستمعن إليّ بإنصات بلا شغب ولا ضوضاء.

إسهامه الكتابي

عثمان الصالح المعلم والمربي لاتكتمل الصورة عنه إلا بالوقوف عند إسهامه الكتابي والأدبي. فتكوينه الأدبي ذو رافدين: قراءاته في الأدب والتاريخ والجغرافيا والمطالعات العامة، وصلاته ومراسلاته مع كبار الأدباء ، وخاصة أدباء الحجاز والتي نشرت في مجلة «المنهل» إلى جانب مقالاته. عن تلك الصلات يقول:

«كانت بيني وبين محمد حسن عواد مساجلات ونقاشات ورسائل كثيرة، وكذلك أحمد بن إبراهيم الغزاوي «شاعر الدولة»، ولا أزال أرى بأنه من الشعراء البارزين الذين سدوا فراغا ما سده غيره، كان عنده الاستعداد الفكري والشعري والأدبي فكان قوة من القوى الفكرية التي اجتذبتني أنا وأمثالي.

وكذلك السرحان والآشي وشخصيات أخرى لاتزال ذكراها في نفسي حتى اليوم. أما عبدالقدوس الأنصاري فهو أستاذنا في الأدب والصحافة والفكر، هذا الرجل صاحب مدرسة لن تُنسى له مدى الحياة، ولا أعتقد أن منبرا من المنابر حظي بمثل ما حظي به، قد لا يكون أُعطي حقه ولكنه أعطى نفسه حقها.

وفي المنطقة الوسطى لدينا الشيخ عبدالله بن خميس والشيخ حمد الجاسر والأستاذ عبدالكريم الجهيمان وشخصيات أخرى، وكلهم ركائز طيبة استفدنا منها، وكانت لنا معهم صلات قوية في مجال التعليم والمشاركات الأدبية».

الذكريات لن تكتب!

هذا المشوار الحافل مع التربية والتعليم بكل ما فيه من مواقف وعبر وذكريات ألا يستحق التسجيل والتوثيق؟ بلى، ولكن الشيخ عثمان الصالح له رأي آخر: «الحقيقة لا أستطيع أن أذكرها لأن فيها شيئا من الصراحة، أما التلفيق والتزويق والإضافة والحذف من الأقوال والوقائع فلا أجيزها لنفسي. صحيح أن عندي من الذكريات مايشيب له الرأس، كانت هناك مواقف غريبة وجديدة في حينها، وكنت فيها قويا ومثابرا ونجحت فيها والحمد لله، ولكن المجال الذي نجحت فيه لاتزال أركانه أمامنا إلى الآن، ولا أستطيع إلا أن أذكرهم بخير إن شاء الله».

الخلاصة

وماذا بعد هذا كله؟ كانت الحصيلة الذكر الطيب والسمعة النظيفة، أما حطام الدنيا فلم يكن يغريه أبدا. دعونا نُنْهِ عرض هذه التجربة بإبراز ما تبقى من جوانب هذه الشخصية، وذلك على لسان صاحب التجربة نفسه: «عندي إيمان بالله بأن أحقق عملا، ليس عندي مال، ولم أسع يوما لطلب المال، مكثت قريبا من الملك إحدى وثلاثين سنة ما أخذت شبرا من أرض. قيل لي: لمَ لا تأخذ قطعة أرض؟ قلت: لا أجمع بين التربية والجشع، فهما لا يجتمعان أبدا. فهل أخادع الله؟ ما أخادع الله».

قناعة وكرامة نفس صاغتهما قاعدته في الحياة، وهي أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، وأن من يعمل مثقال ذرة شرا يره.

ذلكم هو عثمان الصالح، الصالح حقا، ولانزكي على الله أحدا.



صحافة مدرسية قبل أربعين عاما

نشاط الصحافة المدرسية في معهد الأنجال كان يلقى اهتماما خاصا من مديره الشيخ عثمان الصالح. وكانت «الناصرية» الصحيفة السنوية الرئيسية للمعهد تصدر في أكثر من مائة صفحة مصورة عن جماعة الصحافة المدرسية، تتضمن مقابلات مع كبار المسؤولين في الدولة أجراها طلاب المعهد، ومقالات بأقلامهم، ونشاطات المعهد الثقافية والاجتماعية والرياضية، مع قسم باللغة الإنجليزية يحرره أعضاء نادي اللغة الإنجليزية. أما «مجلة المواد الاجتماعية» فكانت تصدر عن هيئة المواد الاجتماعية بالمعهد، وهناك «الرائدة» مجلة سنوية مدرسية يصدرها فرع البنات. هذا إلى جانب مطبوعات أخرى غير دورية كانت تصدر في المناسبات.

العنوان : دليلك الشخصي للسعادة والنجاح
المؤلف : د. إبراهيم بن حمد القعيد
الناشر : مكتبة دار السلام - الرياض ١٤١٥هـ (٢٨٠ ص)

تكاد تكون السعادة والنجاح من الأهداف الكبرى في حياة الإنسان، لأنه يدأب دوماً للحصول عليهما بشتى الطرق. ومن هنا كان كتاب الدكتور ابراهيم القعيد «دليلك الشخصي للسعادة والنجاح» الذي نجد فيه أموراً ومواقف ورؤى عديدة لاتحصى تدور في فلك هذين القطبين: السعادة والنجاح. واستطاع بأسلوب جديد وشائق أن يبلور الكثير من تلك الأمور ويدخلها في ذهن القارىء، ولاسيما أنه اعتمد طريقة المحاورة بين إنسان كبير في فكره وتجربته وخبراته العلمية المستقاة من واقع حياته الإدارية، كمدير عام لإحدى الشركات.. وبين شاب حديث العهد بالعمل في تلك الشركة كمدير للعلاقات العامة.

ولهذا بدت لنا تلك المحاورة وكأنها دروس تلقى من أستاذ على تلميذه، ولاسيما أن ذلك التلميذ يود أن يعرف كل شيء عن أمور النجاح. فأخذت الأسئلة تنسال انسيالاً على أستاذه الذي كان بدوره يجيب إجابة وافية، مدعمة بالأمثلة الميدانية والعملية حيناً، وبالشواهد الدينية -قرآنية وأحاديث نبوية- حيناً آخر.. كي تعلق في ذهن تلميذه، وكان لاينسى ذلك الأستاذ تذكير تلميذه بتسجيل مجمل النقاط التي دارت حولها المحاورة ، كأفكارأساسية يسهل حفظها وتداولها. وكان ثم وقفات تتخلل تلك المحاورة، ينتقلان من خلالها إلى موضوع جديد تجري حوله المحاورة أو النقاش الذي سيؤول إلى عناصر أساسية.

وهكذا وحتى نهاية الكتاب ، الذي



استغرقت موضوعاته أربعة عشر موضوعاً. ولكنها تدور كلها - كما قلنا - حول سر النجاح . وإن كانت تلك الموضوعات وفروعها وأجزاؤها تتعرض لبعض المعوقات التي لاتصلح أو تثبت أمام أفكار الكاتب الذي اعتبرها حقائق علينا الأخذ بها، والتمرين عليها. لأن ثمة ظروفاً، وفروقات فردية، تتناهب العباد في هذا العصر الرهيب، لم يأخذها الكاتب في حسبانه.

وإذا كان المقام لايسمح بعرض الكثير من تلك الأفكار ، فإن القليل منها يؤدي الغرض. رأى الكاتب أن السعادة حالة نفسية، تتجسد في الإحساس بالراحة والطمأنينة والرضى والقناعة بما كتب الله. ويبدو سرها في الإيمان بالله ، والفهم الشامل لمعنى العبودية ، وتطبيق هذا الفهم تطبيقاً كاملاً . ويصبح مفهوم العبودية لله مفهوماً شمولياً قادراً على بلورة حياة المسلم الخاصة والعامة، والنجاح هو تحقيق إنجازات عديدة ، دينية كانت أم دنيوية، وعلى مستويات الإنسان الشخصية والأسرية والاجتماعية والمهنية. ويتمثل جوهر النجاح وسره العظيم في معرفة المبادىء والأسس والتمكن منها والمران عليها .

ولقد وجد الكاتب أن ثمة أربعة عشر مبدأ، تساعد في تحقيق النجاح في حياة الإنسان، وهي الموضوعات أو الفصول التي قام عليها بناء مادة هذا الكتاب، ويمكن إجمالها في النقاط التالية: تحديد الأهداف وتحقيقها، الإدارة الفعالة للذات، عادات العمل السليمة والنافعة، الذاكرة القوية، مهارات التواصل، احترام الذات والشعور بالإيجابية، العلاقات الاجتماعية وآدابها، الامتداد خارج الذات، علاقات الوظيفة والمهنة، حل المشكلات، صنع القرارات، التعامل مع الفشل، الصحة العامة.

وإن معظم الأفكار الواردة حول تلك المبادىء تقوم على أسس أخلاقية وإنسانية ودينية، ولاتمر بموضوع الا وتتوارد الصور السامية للمثل والقيم.

ولهذا فإن السعادة ، ومكونات أسس النجاح ، هي مبادىء نسبية ، تتميز وتتفاوت من إنسان لآخر، حسب سنه، وبيئته، وتربيته، وحالته الاجتماعية، وظروفه، وغيرها من فروقات تحتم على المرء أنماطاً معينة في السلوك والعمل والإحساس.

ولو أخذنا أي فصل من هذا الكتاب، لجابهتنا تلك القيم المعنوية والخلقية، فلنقرأ ، مثلاً، موضوع «مهارات التواصل» أو «الاتصال» . فسنجد أن مهارات الاتصال تعتبر من أهم أسس السعادة والنجاح في حياة الإنسان، ولاسيما إن تحقق لها آداب الإنصات السبعة التالية : احترام الآخرين وتقديرهم، حسن الخلق والاحتفاظ بالبشاشة والابتسامة، الهدوء والسكينة، والنظر في عيني المتحدث، عدم الانشغال، إعطاء فرصة كافية لـلمتحدث للتعبير عن نفسه، عدم السخرية أو الاستهزاء، الاستيضاح والسؤال عند الحاجة. كما أن هناك ثلاثة عشر أدباً للحديث أو الكلام في حالة الاتصال أو التواصل مع الآخرين لخصها الكاتب حسب ورودها في تلخيص التلميذ أو المحاور مع أستاذه، وجاءت بالصورة التالية : الاهتمام باللغة واختيار العبارات، اتباع أصول وآداب الحوار والمناقشة، التحكم في اللسان، الابتعاد عن الجدل والمراء وادعاء العلم، عدم فرض الرأي

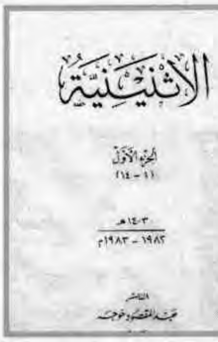
بالقوة، توضيح المعاني والصدق مع النفس والآخرين، التزام الموضوع وعدم القفز إلى غيره قبل توصيله بطريقة ملائمة، تنظيم الأفكار، عدم الحديث إلا عند الحاجة، اتباع الاختصار والإعادة في حالة الرغبة في تفهيم المعلومات والتأكيد عليها، التخلص من اللزمات الحركية واللغوية ، استعمال مستوى الحديث الملائم، الاهتمام بالمظهر الخارجي.

وإذا عرفنا أن تلك العناصر الملخصة انتهت بعد نقاش ومحاورة وأسلوب قصصي، واعتماد على نصوص دينية وتراثية، أدركنا قيمتها، ومدى فاعليتها وتركيزها في ذهن المتلقي .

العنوان: الاثنينية

الناشر: عبد المقصود خوجة.

جدة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. (٥٣١ص)



منتديات أو (صالونات) الأدباء والشعراء والفنانين ظاهرة فكرية وثقافية، لاتخلو من روح حضارية، فهي منتجع خصب مخضرّ بالمعرفة والأدب والشعر والفن، وقد وجدته لدى الأمم عبر العصور والأجناس. لذلك فهي ليست وقفًا على أمة دون أمة، أو جنس دون آخر. وتتميز مجالس الأدباء عند العرب عن غيرها من مجالس الأمم الأخرى، بأنها ظاهرة دائمة، ومستمرة، لأن الأمة العربية، وعبر تاريخها الأدبي الطويل، أمة شاعرة، والشعر ديوانها، وتراه أرقى فنون الأدب وأروعه وأخلده.

ومن هنا تعددت مجالس الأدب والشعر عند العرب، قديمًا وحديثًا، كما أصبح معظم أدباء الدول العربية في العصر الحديث يولون اهتمامهم للصالونات الأدبية. فنشط الأدب والشعر من خلالها، لما كان يبرز فيها من نشاط، وما يدور فيها من أحاديث وكلمات، واحتفاء وتكريم بعضهم لبعض، لأن أصحاب الصالونات الأدبية هم أدباء، ويتوقون إلى تمكين روابط الوصال فيما بينهم، بمنأى عن الأجواء الرسمية، لذلك تجيء محفوفة بالعفوية ، ومقرونة بآيات الإخاء والصفاء والود؛ لدرجة تستحيل حصصها ووقائعها إلى ضرب من آداب الإخوانيات؛ وبخاصة في صالونات المملكة العربية السعودية. حيث نجد كثيرًا من أدبائها يحوّلون دورهم إلى صالونات أدبية، ومنتديات شعرية.. وبخاصة داريْ الأديبين: عبد العزيز الرفاعي - رحمه الله - في الرياض، وعبد المقصود خوجه في جدة. والحديث عن صالون الأول يحتاج إلى وقت ومقام كبيرين، ولاسيما إذا ما طبعت وقائع (خميسيته) في أسفار وأجزاء مثل صنيع الثاني الذي نحن في صدد الكلام عن: (اثنينيته).

إن منتدى أو (صالون) الأديب الخوجة في جدة ينتجعه كثير من الأدباء السعوديين والعرب في يوم الاثنين من كل أسبوع. واستحال صالونه إلى مناسبة أسبوعية، يُحْتَفى فيها بعَلَم من أعلام المملكة، في عالم الشعر والأدب، أو أحد أعلام العرب.

ومنذ عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م تحضره زرافاتٌ ووحدانٌ من الأدباء مع المحتفى به.

ويجري في ذلك اليوم الاثنين، أو في تلك الأمسية (الاثنينية) لقاء زاخر بفنون الأدب من: ذكريات، وحقائق، وأحداث، وكلمات، وقصائد، وحوارات.. تكاد تكون كلها وثائق ومواد ومصادر مهمة في أدب المملكة العربية السعودية وأدبائها عامة وفي أدب المحتفى به خاصة.

ولهذا فقد وضع الأديب عبد المقصود خوجة نصب عينه مشروعًا أدبيًا رائدًا موفقًا، وصمم على تنفيذه، وهو طباعة وقائع (الاثنينيات) منذ بداياتها وباستمرار، وطبع منها ثمانية أجزاء. وهاهو الجزء الأول من (الاثنينيات)، والذي يضم أربع عشرة اثنينية أقيمت خلال العام الأول من عمر الاثنينيات، أي قبل ثماني سنوات، ولذلك يقول صاحبها: «إن الأمل يزحمني بالتطلع إلى الوقت الذي تتواكب فيه طباعة الاثنينيات مع حدوثها عامًا بعد عام، ولا أظن أن يتحقق ذلك إلا بطباعة جزءين من الاثنينيات في كل عام: جزء عن اثنينيات السنوات الثمان الماضية، بترتيب حدوثها، والآخر عن اثنينيات العام ذاته». وقد حدد صاحب الاثنينية هدفها، أو أنه «لاهدف لها إلا العمل على تكريم رجال لهم مكانتهم في المجتمع، على مختلف حقوله.. وهذا التكريم ليس له من هدف إلا معناه فحسب».

على أننا لانجد في هذا الجزء من «رجال لهم مكانتهم في المجتمع، إلا أدباء أو شعراء وهم: (عبد القدوس الأنصاري، طاهر زمخشري، عبدالمجيد شبكشي، عبدالله بلخير، محمد حسين زيدان، حسين عرب، عزيز ضياء، حسين باشا سراج، أحمد عبيد، محمود عارف، أحمد العربي، عبدالعزيز الرفاعي، عمر أبو ريشة، طارق عبدالحكيم).

ويبدو أن الأديب الخوجه قد نفّذ برنامجًا، في كل اثنينية، يكاد يكون موحدًا مع أولئك المحتفى بهم، وذلك بتقديم نبذة عن حياتهم من خلال مقدم البرنامج الأستاذ حسين نجار أو الأديب الخوجة أو غيرهما، ممن يطلب منه الكلام عن المحتفى به، مثل الأستاذ الزيدان الذي كانت لدية ذاكرة قوية استطاع بها أن يعيد صورة الماضي للشخصية المحتفى بها: سيرة وتاريخًا وتقويمًا.. لدرجة أنه ألمّ بجميع تلك الشخصيات المحتفى بها. ثم يجيء دور تلك الشخصية المحتفى بها، فتروي مغامرتها الأدبية مع الأدب والكتابة والقلم، فضلاً عن مداخلات وحوارات من الحضور، تغني الوقائع والأمسيات بروافد أصيلة من الأدب السعودي وشعره، وبصنوف من المعرفة والثقافة التي تكاد تكون عربية تراثية.

ولايتسع المجال لعرض جميع المواد، التي أصبحت مراجع ثمينة كما ذكرنا، المسموعة والمعلنة في تلك الاثنينيات، ولكن نود أن نستعرض بعضًا منها؛ ولتكن عن أول شخصية محتفى بها، بتاريخ ١٤٠٣/١/٢٢هـ ١٩٨٢/١١/٨م، الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري؛ الذي أبحر «في لجج السنين على سفن الذكريات» وهو يروي بداية تعامله مع الكلمة، ثم ذكر وقائع وجزئيات، وزملاء، ورفاق دراسة، وأعلامًا علمية وإدارية وأدبية.

وقصته مع الصحافة ومجلة المنهل.. فضلا عن إجابته عما وجه إليه من أسئلة بعض الحضور والتي حملت استفسارات مهمة عن تجربته الأدبية والصحفية.

ولنقرأ بعض فقرات مما أورده الأنصاري عن سيرته وحياته ومغامراته مع القلم. يقول جوابا لما طلب منه أن يفيض به عن تجربته أو حياته التي بدأ فيها عشقه للكلمة ثم الاحتراف لها: «في الواقع إن بدء تعاملي مع الكلمة كان من زمن اليفاع، فقد كنت أحب أن أقرأ كثيرًا، وأحب أن أستفيد مما أقرأ فيما أكتب، وفيما أفهم. بدأت هذه الرحلة ، على ما أذكر، وعمري سبع سنوات وبدأت همتي بالمسجد النبوي الشريف، حيث كان الصغار يتعلمون حروف الهجاء بالكتاتيب.. اشتقت إلى أن أتعلم بعض الأشياء التي أجهلها، فكنت أحضر بعض دروس كبار العلماء خفية في المسجد النبوي مثل دروس السيد أحمد بوزنجي، والشيخ محمد الطيب الأنصاري والشيخ العمري، والشيخ التونسي، والشيخ عمر حميدة.. وآخرين نسيتهم الآن». ويقول عن الاختبارات آنذاك ورئيس لجنتها أمير المدينة سنة ١٣٤٩هـ ـ عبد العزيز بن إبراهيم ـ وبعد الاختبار يقول الأمير: « أريد أن ينتقل هذا الولد ـ مشيرا إليَّ ـ إلى إمارة المدينة ليكون موظفًا عندي» ومنذ ذلك الوقت دخلت في إمارة المدينة، وكان معي بعض الكتّاب؟

ومع الشاعر الزمخشري، نجد أن سيرته الذاتية، ومغامراته مع الفقر والعمل، ثم مغامرته الأدبية مع الشعر، تشكل شريطًا مهمًا في ترجمة الرجال، لأن فيها بصمات عميقة من الألم الذي لم يعبر عنه الزمخشري مباشرة، وإنما ترجمه بروح هازئة ساخرة طريفة.. غطت على كل آلامه وأوجاعه النفسية. ولقد أورد الكثير عن فضل الأديب الراحل محمد سعيد عبد المقصود ـ والد صاحب الاثنينية ـ عليه وعلى الأدب السعودي ونهضته.

ويقول الشبكشي: «في حديث نبوي شريف ما معناه: إن من البر مواصلة الأبناء أصدقاء آبائهم والتودد إليهم. وهذا ما فعله الأخ عبد المقصود خوجة عندما كرّم الأساتذة طاهر زمخشري وعبد القدوس الأنصاري وغيرهم من الرواد، رواد أدبنا الحديث المعاصر. فمن المعروف أن الأدب عندما يؤرخ له، إنما يؤرخ لأئمته ورواده وقادته ومفكريه. وهذا ما فعله الآن الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد، في تكريمه الأدباء من وقت لآخر».

وإذا كان الزمخشري أفاض عن دور الخوجه في ازدهار الحركة الأدبية السعودية، فإن الشبكشي أفاض هو الآخر عن دور محمد سرور الصبان في ذلك الازدهار.

ومما يثير إعجاب القارئ في هذا الجزء من الاثنينية، هو مداخلات بعض الأدباء والشعراء وما يضيفونه من مواد أدبية وإسلامية وتراثية هادفة مفيدة في سياق وقائع وبرنامج الأمسيات الصالونية. فممن دخل في الكلام في أمسية الشبكشي الأستاذ علي العمير الذي أورد قصة وقعت بين (عمر بن الأهتم) و (الزبرقان بن بدر) أمام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال لابن الأهتم: ما رأيك في الزبرقان؟ قال له: والله إنه كذا وكذا.. ومدحه «لا أدري نص الحديث على الوجه الصحيح، وإنما فحواه أن (عمر) مدح الزبرقان بن بدر، وبعد أن انتهى قال الزبرقان بن بدر: أما والله إنه يعلم عني ما هو أكثر من ذلك، فقال عمر بن الأهتم: أما والله إني أعلم عنك أيضا كذا وكذا وشتمه وذمه إلى أقصى الحدود. فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ما هذا يا أبا فلان، مدح وقدح في آن واحد؟ قال: نعم يا رسول الله، رضينا فقلنا أحسن ماعندنا، وغضبنا فقلنا أسوأ مالدينا. قال الرسول عليه السلام: (إن من البيان لسحرًا).

ويأتي المحتفى به الرابع (عبد الله بلخير.. شاعر الأصالة والملاحم العربية الإسلامية) ويلح الحضور عليه ليسمعهم بعضًا من تلك الملاحم، ويستجيب، فكانوا مستمتعين بالمقطع الأول من ملحمته (لبيك يا أم القرى)، وبمطولة (سبتة)، وبملحمة (قرطبة) كاملة.وغيرها من الشعر.

ثم يروي شيئًا من ذكرياته مع الإعلام كأول رجل إعلام في المملكة العربية السعودية أمام الملك عبد العزيز، وعن الأناشيد العربية التي كان من روادها في المملكة.

ويبدو أن الناس، أو الحضور من المثقفين، لا ينقطع إعجابهم بالشعر والاستماع إليه حتى لو كان من الشعر الملحمي، بل ربما كان سبب الإعجاب هو حاجتهم إلى الاستماع لشعرٍ ذي أنفاس ملحمية تترجم الحس العربي والإسلامي في عصرنا الحديث.. الحاجة إلى مطولات شعرية كملاحم عبد الله بلخير العربية والإسلامية والأندلسية، «التي قوطعت بالتصفيق».

ويعجز المقام هنا عن متابعة الكلام، عن سائر المحتفى بهم فيما حظوا به من إكرام، في صالون الأستاذ عبد المقصود خوجة. ولاسيما أن المادة التي دُوِّنت تجمع القصائد الشعرية الجيدة للشعراء المحتفى بهم ولغيرهم من شعر الحضور الإخواني أمثال (أبو تراب الظاهري، ومقبل العيسى وسالم باعطب وغيرهم)، أو الكلمات النثرية البليغة لغير المحتفى بهم أمثال: (محمد سعيد طيب، وعلي فدعق وأحمد علي المبارك وعبد الفتاح أبو مدين وعبد الله المناع وغيرهم).

قبل ختام كلامنا نود أن نقول إن المادة الاثنينية المقروءة تفصح وتترجم عما في سريرة أصحابها من مشاعر إخوانية نقية وبخاصة فيما قيل عن الأستاذ الرفاعي،

فمثلاً لنستمع إلى ما قاله الأستاذ، والأديب خفيف الظل عبد الرحمن المعمر:

«الأستاذ عبد العزيز الرفاعي يعمل أعمالاً كبيرة، وينسبها للآخرين.. في حين نرى في هذا الزمن كثيرًا من الأدعياء الذين يدعون ما لم يعملوه...»، ويتابع ليعبر بصدق عن قضية الادعاء في الأدب فيقول: «إن قضيتنا هي كثرة الأدعياء، لكن كل مهنة تحمي نفسها من الأدعياء إلا الأدب، فالكهرباء مثلاً تحمي نفسها، فلو تدخل متطفل عليها لصعقه التيار، ولو تدخل مدع في التجارة لقطع يده المنشار..»

ولنستمع إلى خاتمة قصيدة الأستاذ الرفاعي في تلك الأمسية، تلك القصيدة التي يقدم لها بقوله: «المشاعر التي فاضت بها نفسي منذ تلقيت هذه الدعوة، افتعلت في نفسي، وأنا وإن لم أكن شاعرًا، ولكنني حاولت أن أنظم مشاعري، فتحمّلوني أيضًا كما تحملتموني نثرًا، تحمّلوني شعرًا، أو تحملوني نظمًا ـ جزاكم الله خيرًا ـ:

أتريدون أن نعيش صفاء
ليس يشكو إلى الليالي النفادا
أفرجوا فكركم بفيض من الحب
لنحيا به فلا نتعادى
واجعلوا نقدكم من النور أصفى
ليس نارًا تورّث الأحقادا
أجدرُ الناس بالمحبة ناس
عشقوا الحرف صفحة ومدادا »

وأخيرًا إنني لأدعو القراء الأعزاء إلى قراءة الجزء الأول من (الاثنينية) عسى أن يجدوا الكثير من الحقائق والمعلومات، التي أصبحت مادة موثقة ومرجعًا ثمينًا، عن الأدب السعودي المعاصر.



الشخصية الجمالية للفن الإسلامي

د. حسيني علي محمد

نشأ الإسلام في الجزيرة العربية، وسرعان ما انتشر هذا الدين الحنيف، فامتد إلى الصين وجزر الهند الشرقية شرقًا، وإلى الأندلس غربًا، ووصل إلى أواسط أوربا شمالاً، وإلى أغوار إفريقيا جنوبًا، ونظرا لهذا الاتساع الجغرافي، وتنوع الثقافات في تلك البلدان، فقد تأثرت الفنون الإسلامية بالتقاليد الفنية المتوارثة لتلك الشعوب التي دخلت الدين الإسلامي، وبدا هذا التأثير واضحًا في بدايات أسلوب الفن الإسلامي، لكن سرعان ما اتخذ له أسلوبًا، وتكوّنت له شخصيته الفريدة، واتضحت سماته وعناصره، وأصبحت الحضارة الإسلامية مركز المدِّ الإشعاعي الذي وصل إلى الحضارات العالمية، ودفعها إلى الرقي والتقدم، وأخذ الأوربيون عن المسلمين آخر ما وصل إليه تقدم العلوم والمعرفة في كل مجالات الفكر والفن والثقافة، لما تتميز به الحضارة الإسلامية من الشمولية، ووحدة مكوناتها، والثراء والأصالة في كل ما تطرقت إليه من علوم وثقافة وفنون، فلم يتهيأ لأية حضارة أخرى ما تهيأ لحضارة الإسلام من تعدد مجالات المعرفة، واتساع الرقعة الجغرافية، والامتداد الزمني.



البعد الإيماني يبدو واضحا في الفن الإسلامي (المسجد النبوي الشريف)

وإذا كان القرآن الكريم هو لغة الإسلام الأولى المهيمنة، والتي تُخاطب البشر كافة، وهو الذي صاغ الشخصية الفكرية الإسلامية وحدّد ملامحها، فإن الفن الإسلامي هو لغة الإسلام الثانية، وهو الذي حدّد ملامح الشخصية الجمالية الإسلامية للفن الإسلامي، من خلال نقش صور الطير والحيوان والنبات، والخط العربي، والوحدات الهندسية في تآلف فني متناسق. وأصبحت تلك العناصر هي محور بناء عمله الفني، من خلال تبسيط أشكالها من أجل تحقيق غاية جمالية، ومن هنا نشأت الصيغ التجريدية في الفن الإسلامي، ولازمت تطوره، وبزغ دور الخطوط المنحنية الانسيابية برشاقتها، بالإضافة إلى العناصرالهندسية ذات الجمال الرياضي، وقد تنوعت في قيمتها الخطية والملمسية، فظهرت مُحَقِّقة لمبدأ التجانس، سواء وهي تشكل صور الأشياء، أو تفصل بين مساحتها فتبدو دينامية في شكلها، بل إن شكل المسافات الواقعة بينها دينامي بدوره، ومن هنا يمكن القول أن استشعار الفنان المسلم للحضرة الإلهية، هو ما جعله يلجأ إلى الأسلوب التجريدي، لا لشيء إلاّ أن طبيعة عقيدته في الله تدفعه إلى هذا الأسلوب.

وحدة الفن الإسلامي

وتكشف النظرة التأملية للفن الإسلامي، القائمة على الفحص والتحليل، أن للفن الإسلامي أبعادًا ثلاثة تلتقي حول جوهره الذي هو وحدة الفن الإسلامي، أولاً: بُعد زماني يتمثل في طول وامتداد فترات التاريخ الإسلامي، ثانيًا: بعد مكاني يتجسد في اتساع الرقعة الجغرافية التي امتد إليها الإسلام، وأخيرًا: هناك بعد موضوعي حيث يشتمل على مجالات الفن الإسلامي، من خَطٍّ وزخرفة وعمارة وصناعة ونسيج وأعمال الخشب والمعادن والخزف والأحجار وما إلى ذلك. وصورة الإسلام الملموسة أمام العالم، لا تتمثل فقط في العقيدة الإسلامية، بما فيها من توحيد وصلاة وزكاة، بل تتمثل أيضًا في الصورة الجمالية الانطباعية التي يتركها الفن الإسلامي في نفوس غير المسلمين، فشعوب العالم لاتعرف الإسلام معرفة تامة بالمعنى الشمولي بقدر ما تعرفه من خلال الفن، الذي تتضح معالمه، وقيمه الإبداعية في هذا الجامع، وذلك القنديل، وتلك المنمنمة، وذلك النقش الخشبي أو الإبريق المعدني المُكَفَّت بالذهب والفضة، وعلى ذلك تتمثل فكرة الوحدة الإسلامية عند المسلمين في القرآن الكريم والعقيدة والمبادئ الفكرية الإسلامية. وعناصر الوحدة في الفن الإسلامي تتكشف من خلال مدخلين هما: التكوين التاريخي، والنظرية الجمالية التي ترتبط بوحدة عناصره الفنية.

أولا: التكوين التاريخي:

انطلق الفن الإسلامي من منطقة مركزية هي الشرق العربي، الذي كان مصدره ومنبعه والبيئة التي تكونت فيها عناصره الأولى ومميزاته الأساسية، وعلى وجه التحديد حول محور بغداد ـ القاهرة، وبذلك كان انطلاق الفن الإسلامي انطلاقًا مركزيًا متصلاً، وبقيت هذه المنطقة إلى اليوم المصدر والمنبع لروح الإسلامية، وكانت انطلاقة الفن الإسلامي نتيجة ثورة جمالية، تحققت في هذه المنطقة المركزية في تلك المرحلة الإسلامية الأولى، هذه الثورة وإن تكن قد تمت في هدوء وصمت على مدى قرنين من الزمان، أو أكثر قليلاً، فإنها كانت عملية إحياء وبعث في الوقت ذاته، أي عودة

بالفن إلى المنابع الأولى، وكانت هناك عودة إلى الجذور بعد الفتح العربي الإسلامي، هذه العودة كانت بمثابة ثورة عبَّرت عن نفسها في الفنون، وفي ظهور الفن الإسلامي الجديد على وجه الخصوص. وفلسفة الفن الإسلامي قائمة حول الصعود بالإنسان إلى السمو الإلهي، والارتفاع به من عالم الماديات إلى ما وراء المادة، ولقد أُتيحت للفن الإسلامي فرص كثيرة للاقتباس، والتأثر من أنماط وأساليب الفنون الأخرى، لكنه رفضها، واختار اختياره الخاص، فَقَبِل بعض العناصر ورفض بعضها الآخر، وقد تلقّى الفن الإسلامي مؤثرات متنوعة في أماكن مختلفة وفي أزمنة متفاوتة.

ثانيا: النظرية الجمالية في الفن الإسلامي:

تقوم النظرية الجمالية في الفن الإسلامي على القبول المسبق بلقاء الروحي والمادي، ومن المسلم به أن الفن من حيث المبدأ لا يقوم بالمادة وحدها، ولكنه يتضمن البعد الآخر الروحي.

والموقف الجمالي الإسلامي ينهض في أساسه على الموقف الروحي، ويتصل بالضرورة بمفهوم العقيدة عند المسلم حول الله والكون والحياة، وإذا كانت الوحدانية بمثابة المركز في هذا المفهوم، فإن مفاهيم الحق والخير والجمال، ليست إلاَّ وجوهًا لجوهر قدسي إلهي واحد. وهنا منبع النظرية الجمالية، فإذا كان الوصول إلى الله وحده الذي ليس كمثله شيء هو أسمى حالات التجريد الفكري والروحي، فإن الفن هو عملية تجريد جمالي على الطريق نفسه.

والفن الإسلامي هدفه خدمة الدين، وتعميق الشعور بالجمال، إنه ابتهال للجمال الإلهي المتجلّي في المادة وفيما وراء المادة، ومن ثم ليس له وظيفة دينية فقط. إن غرض العملية الفنية في الإسلام، يتركز في التأمل من أجل الوصول إلى ما وراء الطبيعة، والعمل على استكشاف شفافية الواقع الزائل لعبوره إلى ماورائه، والفن الإسلامي له عالمه الجمالي المميز الخاص به، الذي يحمل في ذاته



جامع السلطان أحمد (الجامع الأزرق) في استانبول أنشئ عام ١٦١٤م



مسجد السلطان في العاصمة الماليزية كوالالمبور

عناصره الخاصة، ونظريته الجمالية التي هي الجانب المهم في تأسيس وحدته..

التجريد في الفن الإسلامي تعبير عن القيم الروحية

لقد تعامل العديد من مؤرخي ومستشرقي الفن الإسلامي، مع الرسوم والأشكال التجريدية في الفن الإسلامي، على اعتبار أنها مجرد زخارف ترمي إلى المتعة الجمالية الصرفة، وهذه النظرية تعتبر غير موضوعية، لأننا نجد في الفن التجريدي زخرفة حقا سواء في الفن الإسلامي التجريدي أو في الفن التجريدي في العصر الحديث، لكن الزخرفة في الفن الإسلامي ليست هي كل شيء فيه، بل لعلها أقل الخصائص وضوحًا، وهي ليست أصلاً للعمل الفني أو غاية له، فلم تكن الزخارف على جدران المساجد والقصور مجرد حلية زخرفية، لاغرض منها سوى ما تمنحه للمشاهد من قيمة جمالية حسيَّة صرفة، بل كان لها في الغالب مضمونها الروحي النابع من التصورات الأساسية للإنسان المسلم فيما يختص بالكون والله والإنسان، وبالمدركات الإيمانية الراسخة في الوقت نفسه في وجدان وعقل الإنسان المسلم، التي ترتبط بهذه الأشياء.

وتتضح العلاقة الارتباطية بين التجريد في الفن الإسلامي، والتعبير عن المشاعر والقيم الروحية، التي استقرت في نفس المسلم إزاء الخالق والكون والإنسان، من خلال أنَّ لهذا الطابع التجريدي مضمونه الروحي، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال نقطتين: الأولى خاصة تتمثل في أن الفنان المسلم، حين كان يقوم بالعمل في تغطية جدران المساجد بعناصر زخرفية تجريدية، كان يعمل وهو يشعر في قرارة نفسه بالحضرة الإلهية، فالمسجد بيت الله، وهل كان بمقدور الفنان أن يعبث بالخطوط والألوان في بيت الله لمجرد عبث، هذا مستبعد تماما بطبيعة الحال، والأخيرة عامة، وتتصل بما يدعو بصفة عامة إلى اللجوء إلى الأسلوب التجريدي، لأن طبيعة العقيدة الإسلامية، تدفعه دفعًا إلى هذا الاتجاه الفني.

وحدة العناصر الفنية في الفن الإسلامي

لقد كانت وحدة العناصر الفنية وتنوعها في الفن الإسلامي، موضع جدل جاد بين العلماء والباحثين والمؤرخين، منذ أن استقرت دراسة الحضارة الإسلامية من الوجهة الأكاديمية، وقد أدى هذا إلى تعدد الفروض، واختلاف النتائج. ومن البديهي أن اختلاف الأعمال الفنية الإسلامية تَكَشَّفَ عن عدد من الخصائص والسمات والمعالم الثابتة، كما تَكَشَّفَ عن تنوع إقليمي متميز. وعن أساليب فنية تنتمي لفترات زمنية معينة، والفروض - لإثبات وحدة الفن الإسلامي - تقوم في غالب الأمر على الخصائص المادية للأعمال الفنية، وعلى زخرفتها السطحية، فيما عليها من نقوش أو رسوم حيوانية أو عناصر نباتية أو زهور أو عناصر هندسية، في محاولة للكشف عن العوامل المشتركة التي وحَّدت بين التراث الفني الإسلامي، وأهم خاصية يمكن تمييزها مباشرة للفن الإسلامي وللمجتمع المسلم هو حبه

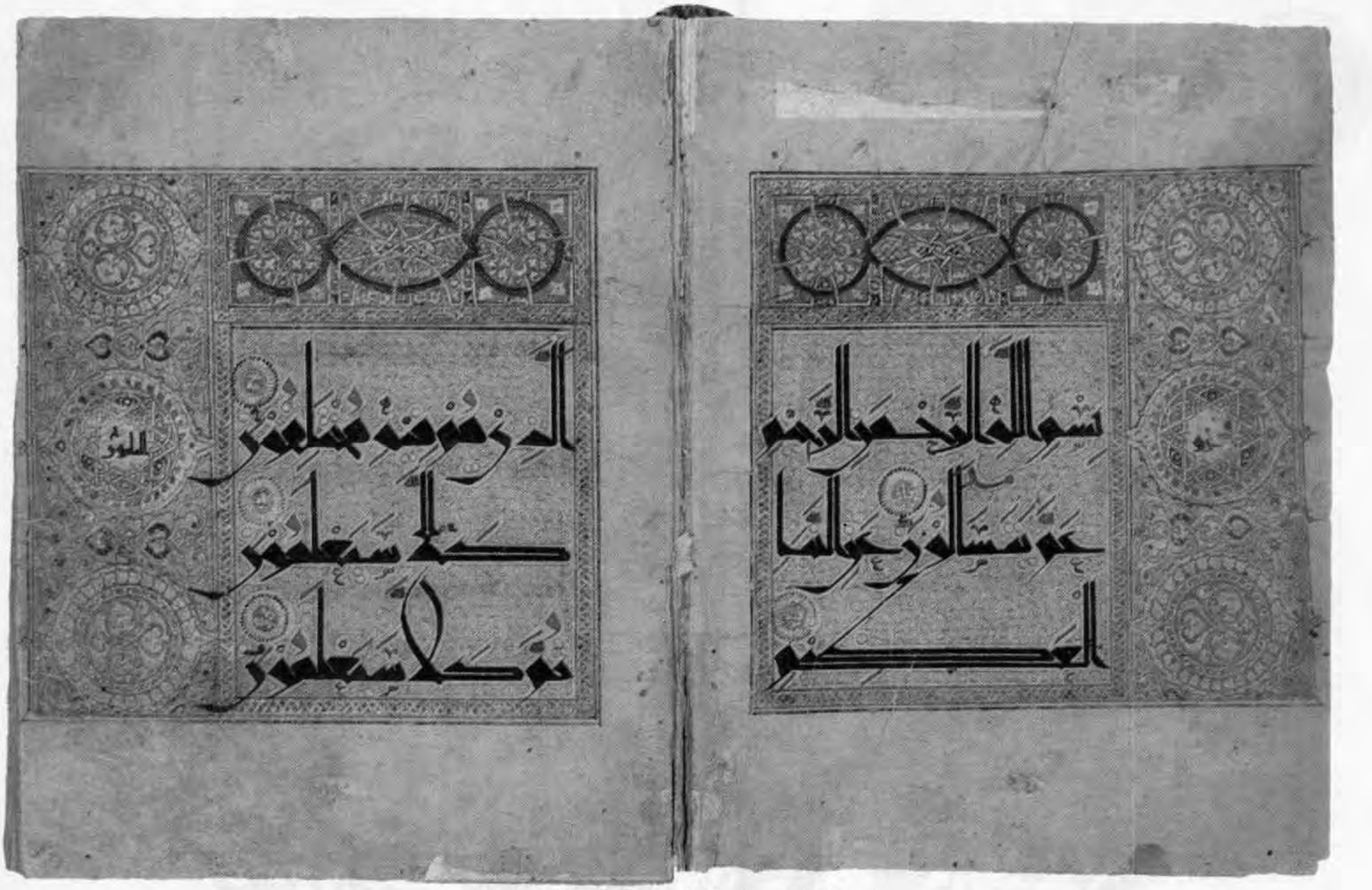


طبق يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي يوضح مدى نجاح الفنان المسلم في تطويع المادة الخام

وتقديره البالغ لفن الخط العربي، وتبع هذا إصرار على استثمار الأعمال الفنية بأن تكون ذات موضوعات ورموز لها معنى، وإصرار على أن تكون ذات تصميم دقيق متناسق. وبالإضافة إلى وحدة المنبع التاريخي، والتطور في الفن الإسلامي، وإلى النظرية الجمالية الواحدة التي تحكم منطلقاته وتعبيراته، تأتي العناصر الفنية لتصنع تلك الأسس التاريخية والنظرية في مسارات موحدة متناسقة، وفيما يلي نتعرض لتلك العناصر الفنية:

أولاً: عنصر النقطة: على الرغم من أن النقطة هي أصغر وأبسط عناصر التشكيل الفني، إلاّ أنها ومشتقاتها تُعَدُّ إحدى العناصر المهمة، كما أن وضعها على سطح المساحة له أهمية في إبراز البعد أو الصعود أو الهبوط، أي الحركة، وذلك نتيجة التفاعل البصري الناشئ من وضعيه النقطة مع المساحة التي وُضعت عليها، والنقطة على عكس ما هو شائع لاتُعَبِّر عن العدم، بل عن بدء الوجود والخلق، فهي تعبر عن التقاء الكل في المركز، ومن ثم فإن حركة النقطة في خط مستقيم أو خط منحنى هو الذي يُفجِّر العملية الفنية كلها، فالخط الهندسي في الفن الإسلامي يتحاور دائما مع ذاته ليكمل لعبة الإبداع والتكوين، من خلال طرائقه في التوازن والتوازي والتناظر والتعاكس والالتقاء والافتراق، والتكرار اللانهائي، الذي هو في حقيقته تعبير عن تكرار الخلق اللانهائي ذاته، فالخط الهندسي الإسلامي كأنما هو دوما في حالة تأمل روحي، والشكل النجمي المتولِّد عن مجموعة تكرارات للخط الهندسي وفقا لنظام هندسي ورياضي، هو تعبير عن انبثاق كل شيء عن الله، وهو إشعاع الوجود وهو فوق ذلك تعبير عن أن التفرعات لا معنى لها دون الارتباط بالمركز. وكأنها تصير إلى الضياع من دونه.

ثانيا: عنصر الخط العربي: يمثل الخط العربي أحد المبادئ الأساسية للفن الإسلامي الذي استمر عبر العصور الإسلامية كلها، وتتمثل أهمية الخط العربي في الحضارة الإسلامية في كونه شكلا من الفن قد احتفظ عبر القرون بأعلى المستويات الجمالية والفنية. ومن الممكن اعتباره التراث الوحيد الذي استمر مطلبًا



لوحة قرآنية كتبت بالخط الكوفي ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي

للمسلمين يمارسونه في كل المناطق، بل كان فنًا جميلاً تُزيَّن به المساجد والدور والقصور والتحف والأواني، حاملاً دلالات معنوية تناسب المجال المكتوب فيه، وله عنصره الزخرفي الجمالي في آن واحد، ولقد ازدهر فن الخط العربي عَبْرَ تاريخ الإسلام، وكان يُعتز به باعتباره تعبيرًا فنيًا متميزًا عن العقيدة الإسلامية في تمتعه بالاحترام والتقدير.

ثالثًا: عنصر الأرابيسك: وهو أسلوب هندسي نباتي، وجمع أيضًا بين العنصرين السابقين، ويسمى أيضا بالرقش العربي، وهذا العنصر اتصف بالتحوير والتكرار، وهو تعبير عن جمال الوجود الظاهر، وتوازنه اللانهائي في علاقات رياضية متكاملة ومعادلات من التوازن، إنه عند الفنان المسلم إيقاع بَصَرِيٌّ، يتشكّل من أجل التعبير عن إيقاع التوازن الكوني العام، وهذا العنصر قد حظي باحترام خاص تمامًا على اعتبار أن النباتات والأزهار والأشجار هي عناصر مجردة، وهي تُمثل براءة الطبيعة ونقاء العقيدة، وصفاء النفس، وقد انتشرت رسوم أشجار النخيل وأشجار الكروم وأغصان النباتات والأزهار بأسلوب هادئ ومنتظم يمثل محور العمل الفني، وهكذا أصبحت للنباتات بأنواعها السيادة الكاملة على النماذج المجردة، فجاءت الأعمال الفنية تجمع بين روعة التكامل الفني والهندسي.

رابعًا: عنصر العمارة الإسلامية: هذا العنصر يمثل واجهة للفن الإسلامي، ويمثل كل أنواع الفنون، فالمسجد مثلاً بأشكاله الثلاثة (ذي الصحن المكشوف، ذي الإيوان المربع، والشكل المقبب)، وكذلك القصر والقلعة وغيرها من المعالم المعمارية الإسلامية، كلها بجانب وظيفتها النفعية، تستقطب وتقيم أنواع الفنون الأخرى جميعها، ولكنها لم تكن بهذا وحده عنصر الوحدة في الإبداع الجمالي الإسلامي، بل حققت ذلك بتكوينها البنائي ذاته، فالقبة الإسلامية بأشكالها البصلية ونصف الكروية، وذات القطاع الكروي والمقرنصة، كلها صور وأشكال ترمز إلى معنى الاحتواء الإلهي للكون، أما الدعائم التي تقوم عليها القباب، بأعمدة منفردة وأقواس وعقود منحنية، وجدران مربعة فإنها تمثل جميعها الاتجاه البشري نحو الله خالق الكون.

خامسًا: عنصر التصوير: لم يكن الفن الإسلامي وحده تجريديًا، فكل مجالات الفن التشكيلي تتضمن «نسبيًا» مبدأ التجريد، ولم يكن الفن الإسلامي ضد التصوير، وتاريخ الفن الإسلامي يُخبرنا بوجود التصوير على الجدران، وفي الكتب والمخطوطات، وعلى الآنية والنسيج، ولكن التصوير لايحتل المكانة الأولى، فالرمزية الهندسية والتحويرية تحل محله، لأنها أصدق تعبيرًا عن المطلق والمعاني غير النهائية، ولم يكن التحريم أوالعجز هما اللذان دفعا بالتصوير إلى المرتبة الثانوية، ولكنه الإيمان بالباقيات الصالحات. وغياب التصوير في المواقع الدينية هو دعوة للتأمل، وإغراء بالصمت المطلق، وإبعاد

للوجود للنفاذ إلى ما وراء الوجود. ولايمكن إغفال فن التصوير في الفن الإسلامي، ولكن هذا التصوير كان يحكمه عاملان، هما: البعد الثالث وخط المنظور، فكل العناصر على مستوى واحد (من الخالق)، ومارسومها إلاَّ ظلال، هدفها التمثيل لا التصوير الواقعي. حتى فن المنمنمات الرائعة، لم يكن هدفه تسجيل العالم الظاهري، ولكن إبراز الجوهر الثابت للأشياء، وتعميق الرؤية التأملية للكون وإيضاح النبل والبساطة الشاعرية في الخلق الإلهي.

إن فن التصوير بهذا المفهوم يعود فَيَصُبُّ في منابع وحدة الفن الإسلامي.

سادسا: عنصر الضوء: ليست وظيفة الضوء في الفن الإسلامي، أن يوجد الظلال ويزيد من كثافة المادة، ولكن دوره أن يشيع النور في كل مكان على نحو كامل بالتساوي والتوازي، ويزيد من شفافية الأشياء، فكل مجالات الفن الإسلامي لا ظل ولا أبعاد غامضة فيها، إنما هو الوضوح والانفتاح الكامل للنُّور. ووظيفة الألوان، واللون الذهبي بخاصة، مع الألوان الساطعة هي أن تزيد من إشاعة النُّور لأنه رمز إلهي، وهكذا تكون لعبة النّور بما يتضمن من غنى الألوان هي إحدى خصائص الفن الإسلامي.

سابعا: المادة الخام: استخدم الفنان المسلم في نتاجه الفني كلَّ المواد المتاحة من الخشب والحجر إلى التراب والعظام وخيوط الصوف والمعدن والأصداف، وجعل كل خامة بالمقابل موضوعًا فنيًا، من سجادة الصلاة إلى آلة الحرب، ومن كأس الشراب إلى بلاطة الأرض، ومن ثوب الملبس إلى محراب الصلاة، ومن القصر إلى قلعة القتال، وجلْد الكتاب وما يحتويه الكِتَاب. وفي الحالتين: حالة التعامل مع المادة وحالة تحويل المادة إلى موضوع فني، فقد التزم الفنان المسلم باحترام المادة الخام، واستغل كل الطواعية الكامنة فيها لتشكيلها الفني الجديد، دون إلغاء جمالها الوجودي الأول، وكانت براعته الفنية في ابتكار الأشكال، وفي القيم اللونية التي يمنحها للمادة، وبخاصة في الزجاج والخزف والمعدن والسجاد، والزخرفة الكتابية. لكل هذا استطاع الفنان المسلم رغم الفروق المحلية من جغرافية وثقافية، وتنوع المادة الفنية، ابتكار لغة جمالية خاصة به تميز الفن الإسلامي. وأخيرًا وبطبيعة الحال لايمكن لنا أن ننحو بالفن الإسلامي نحو امتيازات إقليمية، فالفنون الإسلامية بإطارها العام، وبعناصرها المتفرعة والعديدة عناصر مشتركة، جمعت بينها قوانين الإسلام، ووحدت إمكاناتها العظيمة الرغبة في إبعاد كل من يتعامل معها عن النظرة الفردية للإنسان، وعن النظرة المادية للحياة، فكانت فنون الإسلام مدرسة أخلاقية واسعة، ارتقت بالإنسان المسلم إلى المستوى الرفيع الذي وصل إليه دينًا وعلمًا وسلوكًا.

المراجع:

١ـ د. محمد جمال محرز، «التصوير الإسلامي ومدارسه»، المكتبة الثقافية،القاهرة١٩٦٢م.

٢ـ جورج مارسيه، «الفن الإسلامي»، ترجمة عفيفي بهنسي، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨م.

٣ـ د. عبد العزيز مرزوق، «الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م.

٤ـ د. زينب أحمد رأفت السجيني: «أسس المنمنمة الإسلامية في المدرسة العربية، وأثرها في تدريس مادة التصميم لمعلم التربية الفنية»، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة ١٩٧٨م.

٥ـ د. حسيني علي محمد، «النظام الهندسي لعنصر النبات تحت الرؤية المجهرية كمصدر لاثراء التصميمات الزخرفية»، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة ١٩٨٣م.

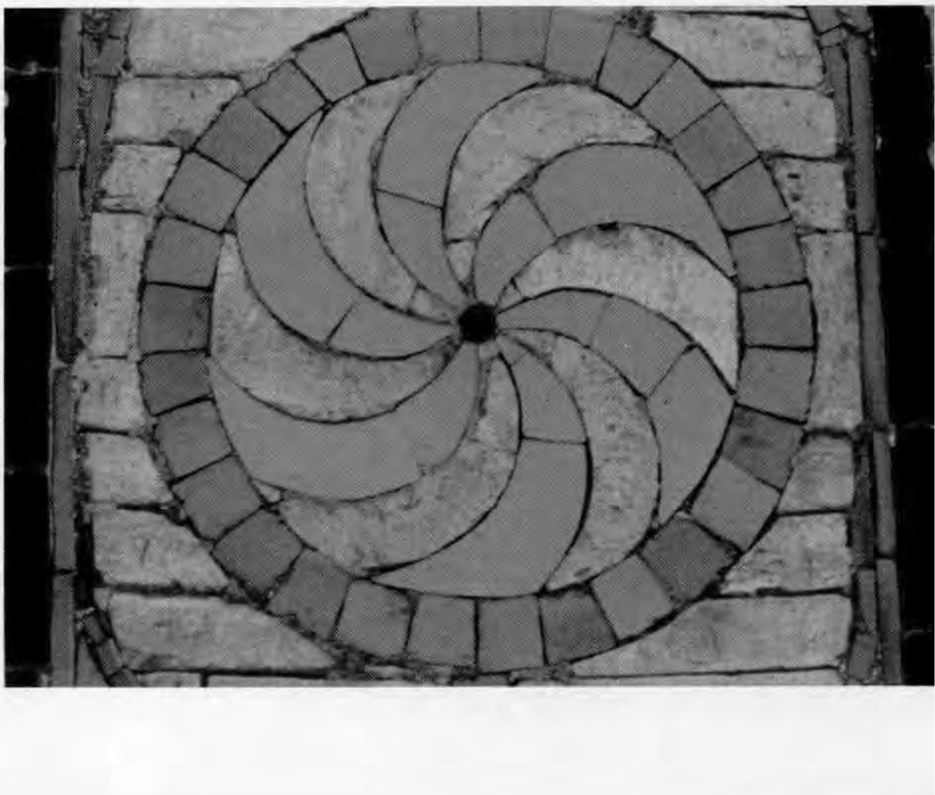
٦ـ أبو صالح الألفي، «الفن الإسلامي أصوله، فلسفته، مدارسه»، دار المعارف بمصر،١٩٨٤م.

٧ـ م.س. ديماند، «الفنون الإسلامية»، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف بمصر، (ط٣)، ١٩٨٤م.

٨ـ «وحدة الفن الإسلامي»، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٦م.

٩ـ د. شاكر مصطفى، «عناصر الوحدة في الفن الإسلامي، (ص ١٤٠:١٤٨) الفنون الإسلامية، المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة»، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في أستانبول، تركيا أبريل ١٩٨٣م، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا ARCICA)، دار الفكر، دمشق ١٩٨٩م.

١٠ـ د. صفوان خلف التل، «مبادئ الفن الإسلامي، (ص ٦٣ ـ٦٧)، الفنون الإسلامية، المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة»، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في أستانبول، تركيا، أبريل ١٩٨٣، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا ARCICA)، دار الفكر، دمشق ١٩٨٩م.



استخدام الرمزية الهندسية والتحويرية للتعبير عن المطلق والمعاني غير النهائية

العناصر النادرة في الغذاء وأهميتها

د. رجا حسين أبو السمن

يتكون جسم الإنسان من أربعة عناصر كيميائية أساسية هي: الكربون والهيدروجين والأكسجين والنتروجين. وهي العناصر الضرورية لتصنيع الجزيئات الحيوية والمهمة للجسم، وتشكل هذه العناصر الأربعة مامجموعه٣ر٩٩٪ من جسم الإنسان، بينما يوجد أكثر من عشرين عنصرًا كيميائيًا أخرى تشكل مامجموعه ٧ر٠٪ من جسم الإنسان وهي ما يعرف بالعناصر النادرة، وتعتبر ذات أهمية قصوى للجسم، ويؤدي نقص أي منها عن المستوى الذي يحتاجه الجسم إلى إصابة الكائن الحي بالمرض. وسنستعرض هذه العناصر النادرة وأهميتها ودورها وتأثيرها.

مجموعة العناصر العالية التركيز:

من ضمن العشرين عنصرًا توجد سبعة عناصر ذات نسبة تركيز عالية نسبيًا في الجسم، وهي عناصر الكالسيوم والماغنسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والفوسفور والكبريت والكلور. ولن نتعرض لها في هذا المقال.

مجموعة العناصر النادرة:

أما بقية العناصر ـ ثلاثة عشر عنصرًا ـ فهي نادرة الوجود جدًا، ونسبتها ضئيلة جدًا، وتقل في الغالب عن ٠١ر٠٪. وهي موضوع هذا المقال لما لها من دورمهم وحيوي في الجسم.

وتنقسم هذه إلى فلزات ولافلزات. ومن عناصر الفلزات النادرة: الحديد والمنجنيز والكوبالت والنحاس والزنك والقصدير والفانديوم والكروم والمولبدينيوم.

أما مجموعة عناصر اللافلزات فهي الفلور والسيليكون والسيلينيوم واليود.

ومجموعة العناصر الفلزية الانتقالية مثل الكوبالت والكروم والمولبدينيوم والفانديوم ربما تظهر أهميتها ـ برغم وجودها بكميات ضئيلة جدًا ـ مما يجعل من الصعب تحديد وظائفها الحيوية، وتأثيرها الكيميائي في الوقت الحاضر، لأنها تكون مادة مصاحبة للإنزيمات.

الفلور:

عنصر الفلور هو الأكثر شيوعًا في الأوساط الإعلامية بسبب إضافته لمعجون الأسنان على هيئة شق الفلورايد. وسبب ذلك مرده إلى أن نقص الفلورايد يؤدي إلى تسوس الأسنان وتآكلها وخاصة لدى الأطفال، ولقد اكتشف الأطباء أن نسبة الفلورايد تقل في ماء الشرب لدى مرضى تسوس الأسنان عن جزء واحد في المليون (١ppm)، ولذلك عندما تصل نسبة هذا العنصر إلى جزء واحد في المليون، فإن مرض تسوس الأسنان يختفي، وأدى هذا الاكتشاف إلى التفكير في وجود عناصر نادرة أخرى لها تأثيرات حيوية مماثلة في جسم الإنسان، لذا عمدت البلديات إلى إضافة الفلورايد إلى ماء الشرب، وأنفقت بريطانيا، في السبعينيات، مامجموعه ٥٠ مليون جنيه استرليني على إضافة الفلورايد لمياه الشرب، مقابل توفير مئات ملايين الجنيهات الإسترلينية في علاج تسوس الأسنان.

اليود:

إن حوالي ٧٥٪ من اليود الموجود في الجسم متركز في الغدة الدرقية فهو يدخل في تركيب هرمون الثيروكسين Thyroxin الذي تفرزه الغدة، وفائدته تنظيم العمليات الأيضية في الجسم، وكذلك له دور حيوي في عمليات النمو الطبيعي.

وعند نقص اليود في الغذاء تتضخم الغدة الدرقية، أو مايطلق عليه مرض الجويتر (Goiter)، حيث يحاول الجسم أن يزيد من إفراز الهرمون بزيادة خلايا الغدة، ولكن هذه المحاولة لاتنجح طالما أن مستوى اليود منخفض أصلاً في الجسم، ولعلاج مثل هذه الحالات في البلاد التي تقل فيها نسبة اليود في غذاء السكان، يضاف اليود إلى ملح الطعام على هيئة أيون الأيودايد، وقد لوحظ تضخم الغدة الدرقية في ساكني الجبال العالية. ولتبيّن أهمية اليود في الجسم، فإن كميته لاتزيد على واحد على مليونين ونصف من الجسم (٢٥٠٠٠٠٠/١)، وبرغم ضآلة هذه الكمية التي لاتزيد على كمية تغطي رأس الدبوس؛ فإن عدم وجودها يؤدي إلى مرض تضخم الغدة الدرقية. ومن مضاعفاته تأخر النمو والتخلف العقلي عند الأطفال وأمراض أخرى تصاحب نقصه في الكبار.

السيلينيوم

إذا زاد السيلينيوم على كميته المطلوبة بكثير، فإنه يسبب أمراضًا منها، إعاقة الرؤية، وضعف العضلات، وتضخم الكبد، وفشلاً في التنفس قد يؤدي إلى الوفاة. كما قد يستبدل بالكبريت في الخلية مما يؤثر في



الطفل بحاجة إلى غذاء متوازن لينمو طبيعيًا

الوظائف العادية للخلية؛ أي إن زيادته مثل نقصانه تسبب أعراض التسمم بالسيلينيوم.

ويعد السيلينيوم مادة غذائية ضرورية للوقاية من مرض العضلات البيضاء الذي يصيب الماشية والأغنام والدواجن، كما أن السيلينيوم يدخل في تركيب أنزيم جلوتاثيون Glutathione فوق الإكسيديز، الذي يحمي الجسم من تراكم فوق أكسيد الهيدروجين، وفوق الأكاسيد العضوية في الخلية التي يشتبه في أنها تؤدي دورًا في نمو السرطان.

وقد دلت بعض الأبحاث أن الأشخاص الذين يعيشون في بيئة غنية بالسيلينيوم يتعرضون بنسبة أقل للسرطان عن الذين يعيشون في بيئة تفتقر للعنصر.

الحديد:

الحديد ضروري جدًا للجسم، حيث يدخل في تركيب الهيموجلوبين، الذي يكون داخل خلايا الدم الحمراء، ويقوم بحمل الأكسجين من الرئة إلى أنسجة الجسم أثناء التنفس. وبرغم ضآلة كمية الحديد التي يحتويها الجسم إلا أنها مهمة جدًا، وأي نقص فيها يؤدي إلى مرض فقر الدم (الأنيميا)، نتيجة لانخفاض مستوى الهيموجلوبين، الذي غالبًا مايحدث عند الأطفال في سن ستة أشهر، وعند النساء في سن ٣٠ - ٥٠ بعد عدة ولادات. ويحتاج الشخص البالغ إلى ١٨ مليجرامًا من الحديد، وهي متوافرة في اللحوم والكبد والكلى والقلب وصفار البيض والبذور في البقوليات.

يمتص الحديد في الجسم من الأمعاء على هيئة أيون حديد ثنائي التكافؤ، أو (حديدوز Fe^{+2})، ويزداد امتصاصه في وجود فيتامين جـ الذي يختزل الحديد ثلاثي التكافؤ (حديديك Fe^{+3}) إلى حديدوز ثنائي التكافؤ، وتبلغ نسبة امتصاص الحديد في الظروف العادية ٥ - ١٥٪ مما يتناوله الإنسان في طعامه.

الكوبالت:

يدخل الكوبالت في تركيب فيتامين ب ١٢؛ الذي يحتاجه الجسم لتكوين خلايا الدم الحمراء، ويؤدي النقص في كمية الكوبالت التي هي ضرورية للجسم إلى نوع خبيث من أمراض فقر الدم يدعى Perniciaous Anemia، ومن أعراضه شعور المريض بالتعب والضعف العام ولايحدث هذا المرض نتيجة نقص في الهيموجلوبين، ولكن يحدث نتيجة نقص خلايا الدم الحمراء.

النحاس:

ضروري جدًا في الجسم، فهو أحد مكونات الإنزيمات المهمة التي يساعد أحدها في تكوين الأوعية الدموية والغضاريف والعظام، ونقصه يُعَرِّضُ الكائنات الحية للضعف ويسبب هشاشة أوعيتها الدموية وعظامها، ويعتمد تكوين الأغلفة الواقية للأعصاب على وجود النحاس، فنقصه يؤدي إلى تدهور الجهاز العصبي، ولاتنتقل بذلك نبضات الأعصاب بطريقة سليمة.

والنحاس يحمي جسم الإنسان من الأشعة فوق البنفسجية الضارة حيث يدخل في تركيب خضاب الميلانين في الجلد، الذي يعد الحماية الطبيعية الواقية ضد الأشعة فوق البنفسجية. كما أن النحاس يساعد على استخلاص الطاقة من الغذاء بواسطة الخلايا، ويعد ضروريًا لتكوين الهيموجلوبين، ووجوده يساعد على نمو القدرة على تذوق الطعام. إلا أن زيادته سامة. ويعتمد وجود النحاس وتركيزه على الموازنة بينه وبين المولبدينيوم والكبريتات في الغذاء. أما إذا زادت كمية النحاس في الجسم، وعجز الجسم عن التخلص من هذه الزيادة نظرًا للاختلال في التمثيل الغذائي للنحاس، فإن ذلك يؤدي إلى مرض ويلسون Wil-son's Disease الذي يؤثر في الكبد والكلى والمخ وقد يؤدي إلى الوفاة.

الزنك أو الخارصين:

الزنك ضروري لتصنيع المادة الوراثية في الخلية D.N.A.، وهو مفيد جدًا في نمو الأجِنَّة وتغذية

الأطفال، ونقصه يؤدي إلى إعاقة نمو الجنين، وتشوهات خلقية وتشوهات في الكروموسومات، وولادة الطفل المصاب بنقص الزنك تؤدي إلى أن يصبح قزمًا ويتأخر نموه الجنسي، ويسقط شعره ويصاب ببقع جلدية.

يحتوي جسم الإنسان على ٢ر٣ مليجرام من الزنك. ويحتوي حليب الأم على عشرة أضعاف الكمية التي يحويها دم الإنسان، وهو موجود على هيئة مركب كيميائي سهل الامتصاص. وأهمية الزنك تكمن في أنه يدخل في تركيب أنزيمات الكبد التي يقوم بعضها بأكسدة الكحول إلى مواد أقل سُميَّة، فإن زيادة الكحول في الجسم تسبب تكسير هذا الأنزيم مما ينتج منه تسمم الكبد.

ومدمنو الخمر المصابون بتليف الكبد عند تحليل بولهم نجد نسبة عالية من الزنك فيه، ومرد ذلك إلى تكسير هذا الأنزيم.

وحاجة الجسم العادية من الزنك تقدر بـ ١٥ مليجرامًا يأخذها الإنسان من المكسرات كالبندق والجوز واللوز وكذلك من البيض ولحم البقر والكبد.

الكروم:

إن هرمون الأنسولين الذي تفرزه خلايا لانجرهانز الموجودة في البنكرياس - والذي يؤدي فشل البنكرياس في إفرازه إلى إصابة الإنسان بمرض السكر - يشابه في أعراضه أعراض نقص الكروم. إذ إن الكروم يؤدي دورًا في تخفيض مستوى السكر في الدم بزيادة فعالية الأنسولين، ومن أهم مصادر الكروم في الغذاء الحبوب والكبد والخميرة.

المنجنيز:

يدخل في تركيب العديد من الإنزيمات، ويوجد بتركيز كبير في ميثوكوندريا الخلية، لذا فإن نقصه يؤدي إلى تقصير في وظائفها. وللمنجنيز أهمية في عمل الغدة الدرقية وفي نمو الغضاريف والعظام، ويحتاج المخ والجهاز العصبي للقيام بوظائفهما إلى المنجنيز، ويعاني الأطفال من الاضطرابات إذا قَلَّتْ مستويات المنجنيز في دمائهم، كذلك فإن زيادة المنجنيز ضارة، فعمال مناجم المنجنيز يعانون من آلام في الرأس واضطراب في السلوك وهذيان، نتيجة لارتفاع نسبة المنجنيز في دمائهم.



التنويع في الغذاء له أهميته للحصول على العناصر الضرورية

عناصر الفانديوم والسيليكون والقصدير:

لاتزال الأبحاث جارية لمعرفة أثر هذه العناصر على الجسم البشري وأهميتها له بعد ثبوت أهميتها في غذاء الحيوانات والنباتات.

وقد نشر مُعدُّ هذا المقال بحثًا عن طريقة تحضير أحد بروتينات القصدير في مؤتمر «تأثير القصدير على نمو الخلايا السرطانية» في مدينة إيكرون - أوهايو عام ١٩٨٤م، ويعتقد أن له مستقبلاً في مقاومة الخلايا السرطانية.

هذه نبذة سريعة عن أهمية العناصر النادرة في الغذاء والجسم، ويبين الجدول التالي نسب العناصر النادرة في الجسم:

العنصر	النسبة المئوية في جسم الإنسان ٪
الهيدروجين	٦٣ر٠٠
الأكسجين	٢٥ر٥٠
الكربون	٠٩ر٤٠
النيتروجين	٠١ر٤٠
المجموع	**٩٩ر٣٠**
الكالسيوم	٠٠ر٣١
الفوسفور	٠٠ر٢٢
البوتاسيوم	٠٠ر٠٦
الكبريت	٠٠ر٠٥
الكلور	٠٠ر٠٣
الصوديوم	٠٠ر٠٣
المغنسيوم	٠٠ر٠١
الحديد	٠ر٠١
(المنجنيز والكوبالت والنحاس والزنك والمولبدينيوم والزنك والقصدير والفلورايد والسيليكون والسيلنيوم)	٠ر٠١

المراجع:

(١) ملف منظمة الصحة العالمية WHO، أعوام مختلفة.
(٢) مجلة العلوم والتقنية، ١٩٨٩م.
(٣) رجا أبو السمن، مؤتمر تأثير القصدير على الخلايا السرطانية، أوهايو ١٩٨٤م.

نافذة
على ثقافة العالم



من الكواركات إلى الكون
أدوات الاكتشاف

إضافة ثمينة، في طبعة أنيقة، يثري بها مؤلفا كتاب "من الكواركات إلى الكون" المكتبة العلمية العالمية من خلال عرضهما السلس المبسّط لخلاصة الكشوف العلمية التي أنجزت مؤخراً فأحدثت ثورة حقيقية في تطوّر معارف الإنسان الشاملة حول تركيب المادة والكون، وتمخضت عن ظهور نظريات جديدة تنطوي على الكثير من الأهداف الطموحة لحلّ معظم الألغاز العلمية التي بقيت حتى الآن مستعصية على الجنس البشري.



تأليف :
ليون ليديرمان و دافيد شرام
ترجمة وعرض : عدنان عضيمة

ولعل أول مايمكن أن نتلمسه في مقدمة الكتاب هو التفاؤل المفرط الذي يبديه المؤلفان بصدد مستقبل الكشوف العلمية على المدى القريب انطلاقا من التطوّر المتسارع والمذهل الذي يتحقق الآن في العديد من مختبرات تسريع الدقائق الذرية والمراصد الفلكية بفضل ابتكار عدد هائل من الأدوات والأجهزة العلمية المعقدة ذات القدرة الفائقة على إفادة الباحثين وتنظيم خططهم المنهجية في ربط الحقائق الجديدة بما قبلها والانطلاق منها إلى اكتشاف مابعدها. كما يرمي الكتاب إلى التعريف بهذه الأجهزة والأدوات العلمية المعقدة المتاحة حالياً أمام الباحثين وتلك التي يجري بناؤها، من حيث تركيبها وتطويرها، ومناحي استخدامها، مع عرض صور عالية الوضوح لأجزائها ومؤلفاتها.

ويتجلى تفاؤل المؤلفين هذا من خلال قولهما بأن علماء اليوم يقومون ببناء صرح عقلي ضخم لاتقل مراميه عن الفهم الكامل للكون! . وهم الآن منشغلون بالربط بين الظواهر الطبيعية والفيزيائية المشاهدة وفق المقياس الهائل للكون (الفراغ الخارجي)، وتلك التي أصبحت تلاحظ وفق المقياس ذي الأبعاد المتناهية في الصِّغر داخل الذرّة (الفراغ الداخلي). فالكتاب يُعنى على نحو خاص بشرح عناصر الارتباط بين فيزياء الدقائق Particle physics وعلم الكون Cosmology. ويتعرض للكيفية التي تجعل من التجارب العلمية والتحليلات النظرية في أحد الحقلين تقدم الحلول وتعطي الإجابات للألغاز التي تكتنف الآخر. إن العلماء، كما يشير الكتاب، أصبحوا على وشك استنباط مايسمى بـ"نظرية كل شيء" Theory Of Everything التي من شأنها أن تساعد على فهم أصل المادة في الكون، وتركيبها الداخلي من حيث الدقائق البنائية الأصلية المؤلفة لها، ولربما يمكنها أيضاً الإجابة عن الأسئلة العلمية المعقدة المطروحة حالياً مثل: كيف انشقّ الفراغ عن الزمن؟ وكيف أصبحت للكون ثلاثة أبعاد؟

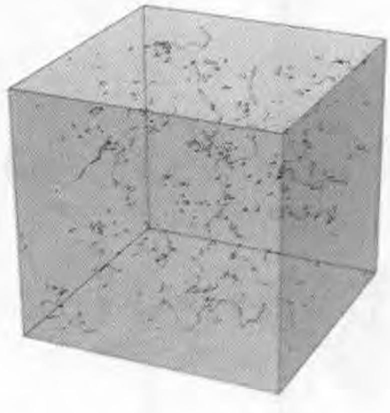
صدر الكتاب عن " مكتبة العلوم الأمريكية Scientific American Library" عام ١٩٨٩م، ويقع في ٢٤٣ صفحة من القطع العريض، ويتضمن الفصول التالية:

١ - مدخل لمفهوم الفراغ الداخلي والفراغ الخارجي.
٢ - نشأة الفيزياء الحديثة.
٣ - اكتشاف الدقائق دون الذرّية.

٤ – مسرّعات الدقائق والنموذج القياسي.
٥ – تأسيس نظرية الانفجار الأعظم .
٦ – التقارب بين مفهومي الفراغ الداخلي والفراغ الخارجي.
٧ – أدوات الاكتشاف في التسعينيات.
٨ – خاتمة.

النظرة الحديثة للمادة ومفهوم الفراغ الداخلي

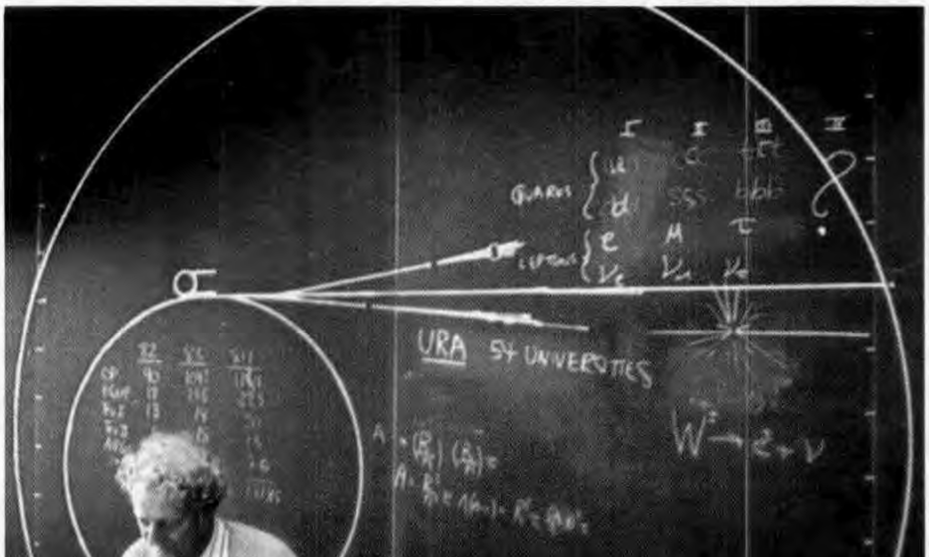
إن النظرة الحديثة لتركيب الذرات والجزيئات والدقائق الذرية المؤلفة للمادّة لم تبدأ بالتبلور إلا مع بداية القرن الراهن، وخلافا للمنهج العلمي النظري البحت الذي اتبعه اليونانيون القدماء عندما حاولوا ملاحظة ماكان يحدث في عالمهم، وفكروا فيه ملياً، دون أن يتمكنوا من إخضاع ملاحظاتهم واستنتاجاتهم للتجريب والإثبات، فإن العلماء المعاصرين بنوا نظرتهم الحديثة لتركيب المادة والطبيعة على الأدلة والقرائن التي تم استقاؤها من سلسلة مستمرة من التجارب المخبرية خلال عدة عقود من البحوث المضنية. وأثبتت هذه التجارب صحّة الأفكار اليونانية من أن المادة كلها يمكن أن تتجزأ إلى دقائق صغيرة ندعوها اليوم "الذرّات"،



ولقد أصبح عدد ماكتشف من أنواعها حتى الآن ١٠٤ يمثل كل منها واحداً من العناصر الكيميائية المعروفة في الكون. وتتفاعل الذرات مع بعضها بعضاً لتشكيل الجزيئات أو المادة المركّبة مثل جزيء الماء الذي يتألف من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين.

والذرة حيّز شبه فارغ، فبالرغم من أنها محاطة بما يشبه السحب من الإلكترونات الدائرة حول مركزها، والتي يحمل كل منها شحنة عنصرية سالبة (قيمتها: ١,٦ × ١٠-١٩ كولون)، فإن قلب الذرة الذي يدعى النواة أصغر من الذرة نفسها بنحو مائة ألف مرة. ويعبّر علماء اليوم عن الفرق بين حجم الذرة وحجم نواتها بالفرق بين حجم حوض أولمبي للسباحة وحجم حبة أرز مغمورة فيه.

وتتألف النواة من النترونات والبروتونات، فالبروتون يحمل شحنة موجبة (مساوية في القيمة لشحنة الإلكترون)، والنترون عديم الشحنة وكتلته تساوي بالتقريب كتلة البروتون، وهي أكبر من كتلة الإلكترون بنحو ٢٠٠٠ مرة. ونظراً لكون النواة الذرية على هذه الدرجة من الصغر فلم يتمكن أحد من رؤيتها حتى بأكبر المجاهر الإلكترونية، ولقد استلزمت دراسة التركيب الداخلي لنوى الذرات العنصرية ابتكار (مسرّعات الدقائق) particl ccelerators التي تعد الآن بمثابة المجاهر الضخمة التي تسمح بالكشف حتى على التركيب الداخلي للبروتونات والنترونات. ويتألف المسرع الحديث من نفق معدني يصل طوله إلى عشرات الكيلومترات تدفع فيه البروتونات ومضاداتها باتجاهين متعاكسين ليصطدم بعضها ببعض بعد أن تكون قد اكتسبت سرعة هائلة ضمن النفق تقارب سرعة الضوء. ويؤدي اصطدامها إلى تفككها إلى الدقائق الأصغر المؤلفة لها والتي تتناثر في كل الاتجاهات. وتتكفل كواشف خاصة موصولة إلى شاشات الكومبيوتر بتحديد مساراتها واستنتاج خصائص كل منها. ولقد اكتشفت بهذه الطريقة العديد من الدقائق دون الذرية التي لم تكن معروفة من قبل. واتضح عقب ابتكار المسرّعات ذات الطاقة العالية أن البروتونات والنترونات والإلكترونات ليست الوحدات البنائية الأساسية للمادة كما كان يسود الاعتقاد حتى قبل عدة سنوات مضت. واستبدلت هذه النظرة القديمة بأخرى، مفادها أن المادة تتألف أساساً من نوعين من الدقائق: الكواركات Quarks والليبتونات Lep-tons * والتي تتفاعل مع بعضها وتتجمع بتأثير أربع قوى أصلية هي: الشديدة والضعيفة والكهرومغناطيسية والتجاذبية، لتشكيل المادة بصورها وهيئاتها المعروفة. والكواركات دقائق دون ذرية عرفت منها عدة أنواع نذكر منها: الكوارك الفوقي Up Quark، يحمل شحنة كهربائية سالبة تعادل ثلث قيمة الشحنة العنصرية، والكوارك التحتي Down Quark، يحمل شحنة كهربائية سالبة تعادل ثلث قيمة الشحنة العنصرية.



ليون ليدرمان



كاشف الدقائق : هكذا تبدو مسارات الدقائق الناتجة من اصطدام البروتونات بمضاداتها على شاشة الكومبيوتر في محطة المراقبة الملحقة بالمسرّع .



منظر جوي لمختبر مسرّع فيرمي الوطني في الولايات المتحدة. يبلغ طول نفقه الدائري ٦.٢٨ كيلومترا.

وبذلك استدل العلماء على أن السبب الذي يجعل البروتون مشحوناً بشحنة عنصرية موجبة هو أنه يتركب من تجمع لكواركَيْن فوقيين وكوارك تحتي (+٢/٣+٢/٣-١/٣=+١)، ويعود سبب التعادل الكهربائي للنترون لكونه يتألف من كواركَيْن تحتِيَّيْن وكوارك فَوْقي (-١/٣-١/٣+٢/٣=صفر).

ولم يمض على هذه النظرية الجديدة إلا بضعة أشهر حتى خرج العالم الباكستاني الدكتور محمد عبدالسلام - الفائز (بجائزة نوبل) لفيزياء عام ١٩٧٨م ويعمل في المسرّع الأوربي للدقائق قريباً من مدينة جنيف - بنظرية جديدة تنفي أن يكون الكوارك الوحدة البنائية الأساسية للمادة بعد أن عثر على مجموعة من القرائن التي تثبت أن الكوارك نفسه يتألف من نوعين من الدقائق الأصغر أطلق عليهما اسم البريونات Preons . فالكوارك يتركب من زوج من البريونات يختلفان عن بعضهما في الشحنة الكهربائية.

وهكذا أصبحت المسرّعات بمثابة المجاهر ذات القدرة الفائقة على اكتشاف أسرار الفراغ الداخلي للذرة ذات الأبعاد متناهية الصغر والتي لايزيد قطرها عن جزء واحد من عشرة مليارات جزء من المتر.

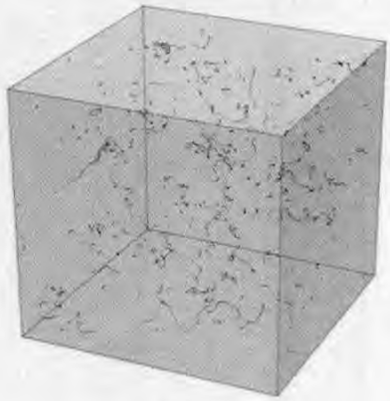
النظرة الحديثة للكون ومفهوم الفراغ الخارجي

مثلما هو الحال بالنسبة للمفهوم الحديث لتركيب المادة الذي استنتج بواسطة المسرّعات، فإن النظرة الحديثة للكون بمجراته ونجومه استندت إلى نتائج عمليات الرصد التي أنجزت مؤخراً بواسطة التلسكوبات العملاقة والأقمار الصناعية وعربات الفضاء. وخلافاً لدراسة الذرات والجزيئات التي يمكن إنجازها في المختبرات والمسرعات، فإن من غير الممكن دراسة الأجسام الفلكية إلا من خلال تحليل الإشعاعات الصادرة عنها والتي تصل إلى الأرض أو المجسات المحمولة على الأقمار الصناعية وعربات الفضاء. وبالطبع لايمكن للإنسان أن يصنع نجماً حتى يدرس الظواهر التي تحدث فيه، إلا أن بإمكانه، بدلاً من ذلك ، أن يحاول رصد النجوم في ظروف ومراحل مختلفة. وفقاً لهذا الاعتبار؛ يكون علم الفلك أكثر شبهاً بالطريقة اليونانية القديمة في استقراء العلوم: (ارصد وحاول أن تفهم؟). وأحد

هذه الاختلافات بين مرحلتي الكشوف اليونانية والمعاصرة يكمن في أن الفلكيين المعاصرين أصبحوا يملكون وسائل أقوى وأكثر تنوعاً للرصد، ويتمثل ثاني هذه الاختلافات في أن القوانين الفيزيائية، التي تطورت بسرعة ورصانة خلال السنوات الأخيرة بفضل التجارب المستمرة، زودت الفلكيين بالقواعد الأساسية لتفهم معظم الظواهر الفلكية المشاهدة.

ومنذ القرن السادس عشر أصبح معروفاً بأن الأرض ليست مركز الكون كما كان يعتقد قبل ذلك، ولقد مثّلت هذه النتيجة إحدى أهم الأفكار الفلسفية التي تندرج ضمن إطار التفكير المعاصر حول تركيب الكون والذي بدأ في مستهل عصر النهضة العلمية.

وقدمت عمليات الرصد الحديثة القرائن والأدلّة التي لايرقى إليها الشك من أن الشمس ليست إلا نجماً متوسط الحجم من أصل مائة مليار نجم تشكل برمتها مجرتنا درب اللبانة. وللشمس كتلة تبلغ ٢×١٠^٣٠ غراماً أو مايعادل ٢×١٠^٢٧ طنّاً. واتضح أيضاً أن كتلة الأرض لاتزيد على جزء من مليون من كتلة الشمس، وأن الكتلة الكلية للكواكب الشمسية يمكن إهمالها بالمقارنة مع كتلة الشمس، مما يدل على أن حجم مادة النظام الشمسي لايشكل إلا نسبة ضئيلة من حجمه الكلي، وهذا



يحاكي طريقة توزع المادة والفراغ وفق المقياس الذري. وتتخلل الفضاء المتوزع بين نجوم مجرّة درب اللبانة سحب هائلة من الغاز والغبار التي تولد ضمنها النجوم الحديثة.

وبالطبع، ليست درب اللبانة المجرة الوحيدة في الكون، حيث يقدر الفلكيون عدد المجرات التي يصل ضوؤها إلى الأرض بنحو ١٠٠ مليار، وهناك دون شك مئات المليارات الأخرى من المجرات التي لم يصل ضوؤها إلى الأرض منذ ولادتها لحظة الانفجار الكوني الأعظم الذي حدث قبل ١٥ مليار سنة؛ لأنها تبعد عنا بأكثر من ١٥ مليار سنة ضوئية. وهذا يدل على أن الكون واسع لدرجة لايمكن تخيلها.

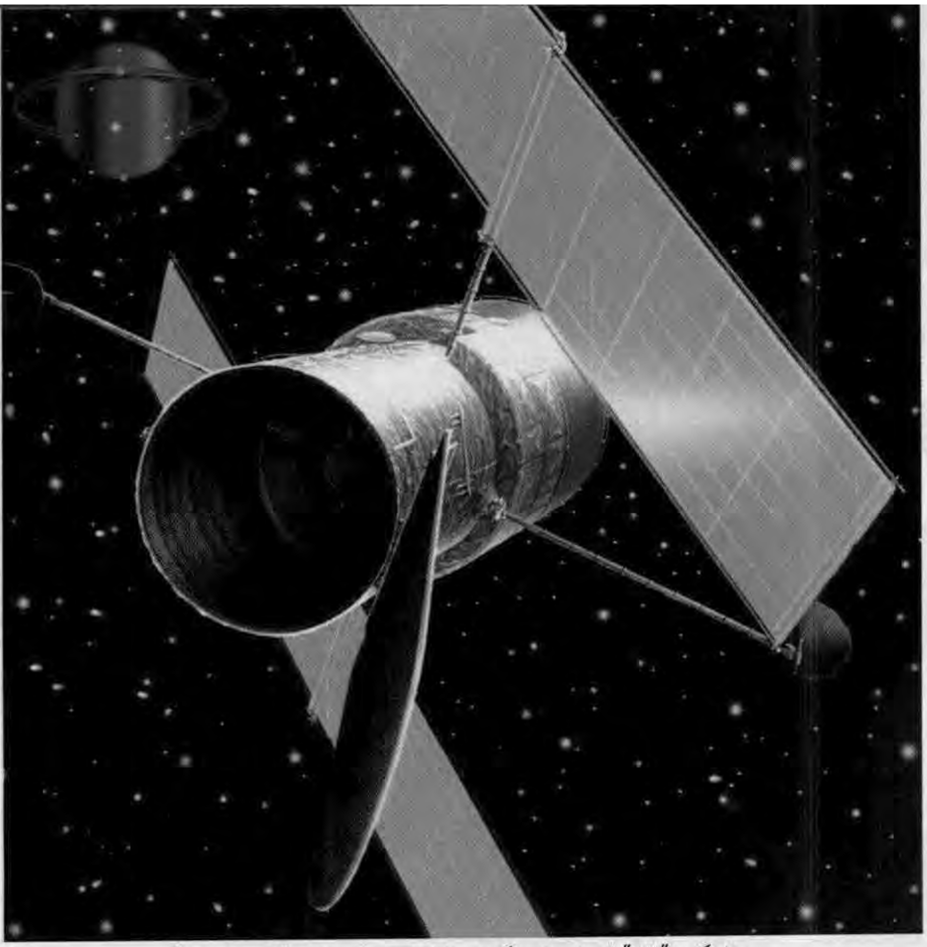
وبدلاً من اعتبار المجرات مجرّد جزر كونية متناثرة في الفضاء بشكل عشوائي، فلقد تم التأكد من أنها تتجمع في عناقيد. ومجرتنا - درب اللبانة - تنتمي لتجمع ضخم مؤلف من حوالي ألف مجرة يدعى عنقود العذراء Virgo cluster ، وتقع على حافته الخارجية. وبيّنت عمليات الرصد والتحليل الطيفي بأن عنقود العذراء نفسه ينتمي لتجمع ضخم من العناقيد المجرية يعرف باسم العنقود المركب supercluster. فنحن إذن، لسنا في مركز النظام الشمسي، كما أن نظامنا الشمسي ليس في مركز مجرتنا، ومجرتُنا نفسُها ليست في مركز عنقود العذراء الذي تنتمي إليه، وعنقود العذراء ليس في مركز العنقود المركب الذي ينتمي إليه. ولقد اتضح أيضاً بأن عناقيد المجرّات تبدو مرتبة في الكون وكأنها شبكة من الخيوط أو الصفائح أو الفقاعات (تعرف هذه النظرية الآن في علم الفلك باسم: نظرية الخيوط الكونية). ولم يُكتَشف هذا التوزع المنتظم للعناقيد في الكون إلا خلال السنوات القليلة الماضية، وكان له دور كبير في توضيح طريقة نشوء العناقيد المجرّية لأول مرة عقب حدوث الانفجار الكوني الأعظم قبل ١٥ مليار سنة. ويتطرق المؤلفان في الفصل السادس من الكتاب إلى أن طريقة توزع المجرات والعناقيد لها علاقة بالقوى الأصلية التي تربط الكواركات والذرات المؤلفة للمادة ببعضها.

من الذرة إلى الكون

في ٢٣ فبراير/شباط من عام ١٩٨٧م سجلت عدة مراصد عبر العالم حدثاً فريداً في السماء تَمثَّل في انفجار السوبرنوفا (SN 1987 A) التابع لسحابة ماجلان الكبرى في مجرة درب اللبانة، وهو نجم هرم استهلك وقوده النووي من الهيدرجين حتى انتهى أمره إلى الانتفاخ والانفجار ناشراً أشلاءه في السماء (طالع في هذا الصدد : "قصة النجوم .. من الولادة إلى الممات" في العدد ٢٠٤ من "الفيصل" ص ٨٠-٨٥). ولقد بينت المراصد والمجسمات بأن انفجار السوبرنوفا كان مصحوباً بتحرير عدد هائل من الدقائق دون الذرية تدعى النيوترينات neutrinos التي اكتشف تحرُّرها أيضاً في مسرعات الدقائق النووية عند اصطدام البروتونات بمضاداتها. وعرف عن النيوترينات التي اكتشفها أحد مؤلفي هذا الكتاب (ليون ليديرمان)، أنها دقائق بالغة الصغر تنطلق بسرعة تقارب سرعة الضوء وليست لها أية قابلية للاتحاد مع الدقائق الأخرى مما يسمح لها باختراق مادة الأرض كلها



كاشف مسرّع فيرميلاب FERMILAB DETECTOR :تكلف بناؤه عدة مليارات الدولارات، وهو متخصص في كشف الدقائق دون الذرية الناتجة عن اصطدام البروتونات بمضاداتها في المسرّع. يعادل في ارتفاعه ارتفاع بناء من ثلاثة طوابق، وهو قادر على تسجيل الإشارات الصادرة عن مائة ألف عملية اصطدام ضمن المسرّع في كل ثانية ونقلها إلى شاشات محطة المراقبة عبر سبعين قناة تلفازية.



تلسكوب "هابل" الفضائي : قدم الكثير من المعلومات حول خصائص "الفراغ الخارجي" .

دون أن تصطدم بأي شيء! ولقد شكّلت هذه الخاصة إحدى أكبر الصعوبات أمام محاولات عزلها ودراستها باستخدام مسرّعات الدقائق والكواشف والمجسّات المتطورة. واليوم ينصرف العديد من علماء الفيزياء النووية لدراسة خصائص النيوترينات لهدف التوصل إلى تفسير العديد من الظواهر الفلكية الغامضة. ونظراً لخاصة النيوترين المتفردة في اختراق الأجسام، فقد كان لزاماً على دارسيه من علماء فيزياء الدقائق أن يقوموا بصبّ جدار من الفولاذ سمكه ٢٠ متراً تُحرَّر قريباً من أحد جانبيه أعداد هائلة من الدقائق دون الذرية المتنوعة فيصدّ الفولاذ كل هذه الدقائق ماعدا النيوترينات التي يتم التعرف على خصائصها بواسطة كاشف خاص يوجد قريباً من الجانب الآخر للجدار. وكان التعرف على الكثير من الدقائق الناتجة من انفجار السوبرنوفا قد أدى لأول مرة إلى الإيحاء بوجود علاقة وثيقة بين علم الفلك وعلم فيزياء الدقائق، وبذلك أصبحت الاكتشافات التي تتم في أحد الحقلين تقود إلى تفهم العديد من الظواهر الملاحظة في الحقل الآخر.

أدوات الاكتشاف في التسعينيات

يعرض المؤلفان في الفصل السابع من الكتاب للأدوات والأجهزة المتاحة أمام العلماء خلال سنوات التسعينيات لوضع الأسس التجريبية المتكاملة لاختبار "نظرية كل شيء". وتتضمن هذه الأدوات بعض أكثر الأجهزة التي بناها الإنسان تعقيداً مثل " الصادم الهائل فائق الناقلية -Super conducting upercollider" وهو مسرع يبلغ طول نفقه ٨٤ كيلومتراً ، وأصبح على وشك التشغيل في ضواحي تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، ويبلغ ارتفاع كاشف الدقائق الملحق بالمسرع نحو خمسة عشر مترا، أو مايعادل ارتفاع بناء مؤلف من ثلاثة طوابق، وينقل المعلومات والبيانات عبر سبعين قناه إلى (السوبر كمبيوتر) الذي يوزعها في محطة المراقبة على الشاشات التلفزيونية ليتولى العلماء تحليلها. ويقوم علماء فيزياء الدقائق الآن ببناء مراصد هائلة الحجم للكشف عن النيوترينات عميقاً تحت الأرض بدلاً من إطلاقها في الفضاء، وذلك من أجل امتصاص الدقائق المرافقة لها والصادرة عن انفجار النجوم عبر طبقات الأرض بما يسمح بعزل النيوترينات ودراستها باستعمال كواشف بالغة التعقيد بنيت لهذا الغرض، ومن المنتظر أن تقدم مراصد النيوترينات معلومات هامة حول خصائص الأجسام الغريبة في الكون، وبالمقابل تتضمن الأدوات العلمية الحديثة المتخصصة في الكشوف الفلكية "التلسكوب الفضائي" المزود بكواشف الإشعاع تحت الأحمر والبنفسجي بالإضافة لتلسكوب ضخم متخصص بتجميع الإشعاع الضوئي المرئي.

وهكذا يتضح بأن عقد التسعينيات وفّر للعلماء ومراكز البحوث مجموعة متنوعة من الأدوات الجديدة والمعقدة يؤمل أن تقدم معلومات إضافية حول الأسئلة التي ماتزال تطرح نفسها حول خصائص القوى الأصلية والدقائق دون الذرية المنتشرة في الكون وكيف تم اتحادها. ويأمل العلماء منها أيضاً أن تقدم معلومات حول أصل الكون ونشأته لاختبار نظرية الانفجار الأعظم التي أعلنها الأمريكي " جامو" عام ١٩٤٨م دون أن تجد من ينقضها حتى الآن، كما يسعى العلماء إلى حل معضلة التعرف إلى طريقة تشكل المجرّات والعناقيد البسيطة والمركبة. ومن أجل ذلك فإن عليهم أن يعثروا على السبب الحقيقي الذي يجعل الدقائق المنفصلة عن الأجسام الفلكية تتسارع إلى هذا الحد الملاحظ عند تفحّص الإشعاعات الكونية الصادرة عنها والتي تستقبلها الكواشف الأرضية والفضائية، لأن من شأن هذه المعلومات أن تقود إلى تفهم أفضل لطبيعة التفاعلات النووية الحاصلة في النجوم والمجرات، كما أن من شأن مثل هذه المعلومات الإيحاء بطرق جديدة لبناء مسرّعات أكثر تطوّراً تسمح بتحقيق الظروف الفيزيائية المشابهة لتلك التي تسود النجوم في المختبرات.

هامش:

* الكواركات : كان عالم فيزياء الدقائق "موراي جيل مان" أول من أطلق هذا الاسم على هذه الدقائق المكتشفة حديثاً بعد أن اقتبسه من رواية لجيمس جويس بعنوان: "استيقاظ فينيجانز" حيث قرأ بين سطورها العبارة: "ثلاثة كواركات لموستر مارك"، وكانت كلمة "كواركات" في هذه العبارة لاتعني شيئاً محدداً أو مفهوماً بقدر ماكانت مجرد " كلمة سر" . وبالرجوع إلى معاني الكلمة في اللغات المختلفة وجد أنه لامعنى لها إلا في اللغة الألمانية حيث تطلق كلمة Quark على الجبن الأبيض (الحلوم)، ويكون لها أيضاً في اللغة الألمانية معنى " الشيء التافه".

ولقد سبق أن سماها عالم فيزياء الدقائق "جورج زفايج": الآسات Aces نسبة إلى العدد (واحد) في ورق اللعب، ولكن هذه التسمية لم تفز بحظها من الجريان على ألسن فيزيائيي الدقائق.



إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
أسبوعية سياسية ثقافية اجتماعية
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفـراد الأسـرة

من نوادر التصنيف

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

"المستجاد من فعلات الأجواد"

وهو سِفر في أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام يحمل أدباً وأخلاقاً وتاريخاً واجتماعاً، أفرغه مؤلفه القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤هـ في مصحف واحد، وهو أيضاً صاحب نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة.

اقتبس المؤلف من مصادر جليلة ومن كتابه السابقين، وكان في «المستجاد من فعلات الأجواد» مدوناً أخبار من مضوا، وفي «نشوار المحاضرة» كتب أخبار من عاصرهم، والمقصد الأول عرض صور الكرماء كما عرض الجاحظ صور البخلاء، فأصاب الغرض وأشياء انطوت في هذا الغرض ، وجاء كتابه صحيفة منظوم ومنثور، جُنيت أزاهيرها من حدائق فيها من كل فاكهة زرجان.

وقام بنشر الكتاب وتحقيقه العلامة محمد كرد علي الذي تساءل هل كان ماوراه المؤلف بالسند من أخبار الأجواد صحيحاً من كل وجه أم أن بعضها موضوع مصنع قصد به تزيين الكرم للناس وحث الأغنياء على العطاء، على نحو مايتوخى القصصيون في عصرنا للتوسع فيما يضعونه من قصص إرادة التربية والتسلية؟ ورجّح أن أخبار التنوخي ماخرجت عن قصص وقعت، وربما دخل بعضها شيء من المبالغة للتأثير في النفوس والإدهاش بالغرائب.

• أتى رجلٌ معن بن زائدة يستحمله، فقال: ياغلام اعطه فرساً وبرذوناً وبغلاً وعَيْراً وبعيراً وجارية، ولو عرفت مركوباً غير هؤلاء أعطيتك.

• لقي أبو دلامة أبا دلف في مصادٍ له، وهو والي العراق، فأخذ بعنان فرسه وأنشد:

إني حلفت لئن لقيتك سالماً

بقرى العراق وأنت ذو وَفرِ

لتُصلينَّ على النبي محمد

ولتملأن دراهماً حجري

فقال: أما الصلاة على النبي محمد فصلى الله عليه وسلم، وأما الدراهم فلا.

فقال له: جعلت فداك لاتفرق بينهما بالذي أسأله أن لايفرق بينك وبين النبي صلى الله عليه وسلم قال: فاستسلفها أبو دُلَف وصُبّت في حجره حتى أثقلته.

• خرج الحسن والحسين رضى الله عنهما وعبدالله بن جعفر حُجاجاً، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباء لها فقال لها أحدهم: هل من شراب؟

قالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة ، فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا، ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم منها ماتأكلون، فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها، ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألّمي بنا، فإنا صانعون إليك خيراً، ثم ارتحلوا، وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة، فغضب وقال: ويحك تذبحين شاتي لقوم لاتعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش.

ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها، وجعلا ينقلان البعر ويبيعانه، ويعيشان بثمنه، فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي رضي الله عنه على باب داره جالس، فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث إليها غلامه، فدعا بها فقال لها: ياأمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا ، قال: أنا ضيفك يوم كذا، قالت: بأبي أنت وأمي، ثم أمر فاشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة، وأمر لها معها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين رضي الله عنه، فقال لها الحسين: بكم وَصلك أخي؟ قالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك، ثم بعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر، فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار، فأمر لها عبدالله بألفي شاة وألفي دينار، وقال لها: لو بدأت بي لأتعبتهما، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة .

الفقي والإباء العنيف (الحلقة الأخيرة)

التمحور حول الذات



بقلم:
د. حسن بن فهد الهويمل

ربما أطلنا الحديثَ عن أبرز قضية في الهوية الدلالية؛ إذ لم نتجاوز ظاهرة الألم، وما يرتبط به أو ينبثق منه من تشاؤم وشك واغتراب ورفض واستياء، والمحور الدلاليُّ عند الشاعر محمد حسن الفقي لايخرج عن هذه الشريحة الدلالية.

يتحدث عن العروبة والإسلام والوطن، أو عما شئت من هذه القضايا الجديدة فيبدو شكُّه وبرمُه وضيق صدره. ويناجي محبوبته، وقليلاً مايناجيها، فيتبرم ويتألم ويتردد في بقاء هذا الحب. وقُل مثل ذلك في كل تناولات الشاعر التي لايكون الألم والشكاية غرضًا رئيسًا فيها، لاتراه فيها إلا شاكيًا رافضًا متألمًا ضائقًا برما.

وهكذا ينطلق من الألم ويعود إليه. وظاهرة الألم في الشعر العربي تُشكِّل بعدا دلاليا، ينطوي على دوافع متعددة متباينة، تفرزه أوضاعٌ مختلفة، وقد حاولنا استيفاء الدوافع والأوضاع قدر المستطاع، وإن نَدَّ عنَّا الكثير، فالفقي عالمٌ من التحولات التي يصعب رصدها. ومن البعد الدلالي نقاربُ البعد الفني، فهما صنوان وبهما تكتمل الرؤية عن الشاعر، وهي رؤية تلتمس طريقها إلى عالم الشاعر الممتلئ بكل شيءٍ والمتناقض مع كل شيءٍ.

السمة البارزة في الأداء الفني للشاعر الفقي سماحةُ التناول ومباشرة العرض وعفوية الممارسة، والشاعر بهذا يواجهُك بكتابته الأولى، ولا أحسبه حفيًا بالكتابة الثانية، فالنزفُ الشعري لايمكِّنُه من المراجعة والاختيار. وقد قيل إن الكتابة الإبداعية هي (المَشْطوبة) وذلك حين يكون الشاعر مراجعًا أو مترددًا في الإفضاء بما لديه إلى الآخر. فالتنقيح والمراجعة تدخُّلٌ نقديٌّ، والإبداعُ هو ما قبل التنقيح. والفقي بإدمانه الشعري وعفويته قد لايَجدُ الوقت الكافي للتدخل. هذه الظاهرة التي عُرف بها أصحابُ المطولات كما عُرِفَ بها المكثرون، تطرح أمامنا عدة تساؤلات: هل ترتد على الإبداع بالمباشرة والتدني؟ أم يحتفظ النص بمستواه ويكتفي باشاعة نفسه وقربه؟ على حد قول الشاعر:

دانٍ مسفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هيدَبُهُ
يكادُ يلمسهُ من قامَ بالراحِ

العمودية سُنَّةُ الدهر عند المحدثين

الفقي شاعرٌ مكثرٌ لانختلف حول ذلك، والفقي شاعرٌ توصيلي لانختلف حول ذلك، ولكن ما مستوى هذا التوصيل؟ وماسمتُه؟ وما مرجعيته الفنية؟ وماقدرُ المراوحة عنده بين الأصالة والمعاصرة؟

ونحن إذ لانختلف حول استقلاليته الدلالية ونزوعه الذاتي، فإننا سنختلف حول مرجعيته الفنية، وقبول هذه المرجعية، وحول اقتداره في تخطي الأنموذج، أواحتذائه. والاختلاف من مؤشرات الاقتدار، والتنازعُ يكون حول المثمنات، والشاعرُ حين لايكون مجانبًا لـلتراث لايكون ملغيًا نَفْسَه فيه غير أنه لايمتلك جرأة القطيعة.

وحين يتململ تحت وطأة التراث الذي عاش في كنفه ونهلَ من معينه، في محاولة للتخطي، تشده ثقافة تراثيةٌ تكتالُ من معينِ الثقافة العربيةالخالصة، فتثنيه بأدب إلى تُراثه، وتَعطفه بعطفٍ إلى تلك الأشكال القديمة التي أجْمَلَ وصفها المرزوقي في مقدمته المشهورة، فأطلق عليها عمود الشعر، وجاء المخلفون يلوكون هذا الوصف في سياق الذم، فالعمودية حين يتداولها النقادُ المحدثون فإنما يريدون التنقص من الشعر، وتوهين الآخذ منه بعصَمِ التراثِ والمتحلي بحلاه، فالشكلُ القديمُ سُبَّةُ الدهرِ عندهم.

وشاعرنا الفقي حين يلتزم شكلَ القصيدةِ تأخذه رغباتٌ غير عازمةٍ، فينفلتُ أو يكاد من أسارِ هذا الشكل المهيمن، فتأتي المثنياتُ والرباعياتُ وشيءٌ من التوشيح على غيرِ ما كانت عليه في الأندلس، أو قل على بعض ما كانت عليه، وهو توشيحٌ لايظفرُ برِقَّةِ الأقدمين ولابطرافتهم، وأنَّى له ذلك وهو شاعر ضجرٌ ملولٌ متصحرُ الفؤاد، والأندلسيون مخصبو الأفئدة ربيعيو العيون. ومحاولات الفقي التجاوزية إلماماتٌ مقتدرة ببعض ما جَدَّ في الساحة مما لا يلغي سِمَةَ التراث. ولما كان الشاعرُ من المكثرين ومنْ أصحاب المطولات، فإنه يتعمد تفتيق المعاني والغَوْص في أعماقها، وقد يصل الأمر إلى ترديد بعضها، غير أنه مع الطول يتوقى الهلهلة والتبذل اللغوي الذي قد يعتري لذاته من شعراء المطولات، وقد أُخذَ عليهم في القديم والحديث تفكك القصيدة وضعف اللغة. والشعرُ عند النقاد لمحةٌ تومض فتعطيك كثير المعاني في قليل الألفاظ. والشعر رصدٌ لموقف وليس تفصيلاً لحدث. والشعر خطابٌ ايحائيٌ يقف بك عند نقطة التأمل ولا يُلقي في روعك بكل ما يحمله الحدث من أجزاء؛ ومن ثم فإن شعراء المطولات - وإن شهدت مطولاتهم على اقتدارهم - لا يخلصون أنفسهم من لذعات النقاد.

فإذا سلمت لغتهم لم تسلم صورهم، وإذا سلمت كل هذه لم يسلم بناء القصيدة. والشاعر في هذه المطولات وفي المُقَطعات



محمد حسن فقي



الجواهري

والرباعيات التي تُعد بالمئات، لايبحث عن متلقٍ يُشاطره همومه، إنه يتشفى بالكلام، يحس بالموقف الضاغط فيخفف من آلامه بالقصيدة أو بالمقطوعة، فتأخذه لَذةُ استفراغ الألم فَيَمْتَطي اقتداره ويمارسُ النزيف الشعري حتى تُشفق عليه وعلى نفسك، والشاعر في هذا لايرى العلاقة مع الآخر إلا إنه تَخَلُّص من عناء وتَخَفُّف من معاناة، على أننا في ضوء هذا التصور لانذهب مع (جاكوبسون) الذي يرى أن العلاقة قائمة بين القصيدة وذاتها. إن هناك علاقة مع الآخر، أحسبُ أن الفقي يَسْتَشعرُها في بعض إبداعاته، غير أنه في الكثير منها لايستحضر متلقيا.

عناد مستميت لتجسيد الذات

وإذ نقول بمحافظته على عمودية القصيدة، نقف له على ملامح تجديد في المعاني وفي قليلٍ من الصور التي تُجسد ارتعاش النفس وهروبها وامتعاضها، على أن الشاعر شأنه شأن غيره لم ينطلق من فراغ، إنَّ نسيجه الفكري والفني من تلك الإلمامات الجادة بالتراث والمعاصرة. وأنت تلمح إلحاح الفقي في تجسيد ذاته الفنية والدلالية، وعناده المستميت في ذلك، وكأنه يسعى لتحرير خصائصه وتكريسها، ومن ثَم لم تضع شخصيته الفنية في متاهات التأثر. وملامحه الفنيةُ والدلالية تربطه بعدد من عمالقة الشعر العربي والعالمي، وتجربةُ الفقي الشعرية ممهورة بخاتمٍ سلفي.

تُحسُ عنده رفض أبي نواس، وزهد أبي العتاهية، وقلق المعري، واعتزاز الشريف الرضي، وتعالي المتنبي، وحماسيات أبي فراس.

وحين ينفلتُ من سلفيته يدخُل في فلك الشعر الحديث، فَتَلْمَسُ فيه تذمر الديوانيين وغربة المهجريين، وألَمَ الأبولِّيين، وشك الجواهري، وتساؤل الزهاوي.

وإذ يلتقي مع أولئك وهؤلاء في نوازعهم الدلالية، نجد أن له لغةً تُقربه منْ بعض أولئك، ولكنها لغة غير مثيرة، إنها لغة المعاني. فهي أبعد ما تكون عن المعاضلة، والإغراب، وأبعدُ ما تكون عن السوقية والتسطح والإسفاف، لقد بدت لُغته، كما يريد (كولريدج) في سيرته الذاتية، تعبيرًا عن الانفعال، وليست لغة انفعال. فاللغة التي تناسبه هي اللغة الطبيعية. وإذا كنا لانتفق مع (كولريدج) ولا مَع (وردزورث)

التمحور حول الذات

اللَّذَيْن يريان ألا فرقَ بين لغة النثر ولغة التأليف الشعري، فإننا لايمكن أن نسلك الفقي في منازعهم، فهو وإن سهلت لغته، فهي لغة متميزة لها نكهتها الخاصة ولها تميزها من لغة النثْر.

دلالات الحركة والثبات

وحين يكون الشعر عنده وسيلةً للخلوص من المعاناة والألم، وتسجيلاً للمعاناة والألم يكادُ لايقيم وزنًا للصور البيانية، إنه يعكسُ حالة التدفق العاطفي وتلقائية الأداء وفورية الاستحضار الدلالي أو قُلْ تسجيل المعيش.

إن خصائص الفقي الفنية والدلالية مرتبطةٌ بدوافع الإبداع عنده، وبحجم الإبداع عنده. إنه يتمحور حول ذاته، ويعتمد على البوحِ المباشر والتشفي بتعذيب الذات وإلغاء سريتها. تكثر عنده الجمل الفعلية النابضة بالحركة والسيرورة، وحين يعتمد على هذا اللون من الجمل، فإنما ذلك لتهيئة التحول والتغيير واستمرارية المعاناة، فالعناصر الثابتة يعبر عنها بالجمل الاسمية. والفقي دائم الحركة دائم التحول، ولهذا تُحسُّ بنبض هذا التحول مِنْ خلال اعتماده على الجمل الفعلية وتنويع هذه الجمل.

وإذ يكون في جو مشحون بالخوف والاضطراب، فإن مفرداته التي تصور حركية الحالة كثيرة كالارتياع والارتجاف والاضطراب.

قراءة الحياة بعيون مقروحة

والشاعر مع كل هذه الملامح يمثل تيار الطبع. والشعر عنده مع هذه الحالة قريب التناول، فهو لايتصنع ولايتعمل، تراه في شعره بكل ملامحه ضائقًا برمًا عليه مسحة من الكآبة. ولما كانت القصيدة عنده نفثة مصدور، وتنهيدة متألم، فهي تباشرك (تُفاتحك) دون مقدمات أو مداخل. فالفقي يقرأ الحياة بعيونٍ مقروحةٍ ويتنفسها برئتين متدرنتين ويحسُّها بمشاعر متأففة؛ ولهذا يأتي شعره في متناول يد القارئ، شعر إنسانٍ يترافع مع الحياة، مع الواقع، في شعره نبضُ الجدل، وحرارة الرفْض، وواقعية اللغة، ومبادرة العرض. ومعجمُه الشعري لايخرج عن هذه الأجواء المكتظة بالمرارة والحرمان، إنه معجمٌ نفسيٌ تستطيع أن تحوله إلى كمٍّ من مصطلحات علم النفس ومتعلقاتها.

وحين نقطع بأن الفقي لايتكلَّفُ في صناعة شعره ولايتفنن في المداخل نُثير تساؤلات حول مقدار الصنعة الفنية عنده. والصنعة أو الصياغة أو ماشئت من هذه المصطلحات تَقِلُّ وتكثر من شاعر لآخر، وكلُّ شاعرٍ له أسلوب صياغةٍ،


الزهاوي

ولسنا نقصد بالصنعة التعمل، ووعي الأداء وعيًا حرفيًا، إن هناك صنعةً مذمومةً وأخرى مستساغة، والصناعةُ الفنيةُ الخالصة مصطلحٌ يترددُ على الألسنة وفي الكتابات. و«كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري يستحضر الجانبين معًا، أما نحن فنطلقُ الصنعة أو الصياغة على أسلوب الأداء وطريقة الإبداع وصورة العمل، فنقول: هذه القصيدة صياغةٌ فنيةٌ أو صناعةٌ فنيةٌ. والإبداع الفني ممارسةُ أداءٍ أو صناعةٌ أو صياغةٌ. ومن النقاد من يعارضُ كلمة صناعة وصياغة محاولاً تخليص العمل الفني من وعي التشكل، وهو اعتراضٌ هلاميٌ لايعضده الواقع، فالشاعرُ لا يمرُّ بمعاناة واحدة، وإنما تتولد عنده المعاناةُ، فهناك معاناةُ التجربة أو الموقف، ومعاناة التشكلِ الإبداعي الذي يتحول بموجبه الشعور النفسيُّ إلى عمل إبداعي عبر الكلمة، أو اللون، أو الصوت، أوالنحت، أو الحركة، أو أي نوعٍ من أنواع الأداء الفني. وبعد هذا يَرْتَدُّ المبدعُ إلى عمله، لا كمبدعٍ ولكن كناقد، وتبدأ عملية الصياغة النهائية للعمل الفني. وفي ضوء ذلك فالإبداع انبثاق لحظيٌّ، تعقبه نظرةٌ تجميلية يكونُ فيها المبدع ناقدًا. والسؤال الذي يطرح نَفْسَه: ما مقدار الصنعة الفنية عند الفقي؟ هل الفقي مبدع وناقد لفعله الإبداعي؟ وهل يفرغُ لمراجعة هذا الإبداع الهائل أم أنه مبدع وحسب؟

وبهذا السؤال نقترب من تمييز صياغة الشعر ومراجعته، وهو تمايزٌ عَصيٌ لتداخل صناعة التكلف مع صناعة المراجعة. والصنعة التي نُريد صراعٌ مع مادة الإبداع، صراع مع اللغة عند الشاعر. صراع مع اللون والشكْل عند الرسام، وصراعٌ مع الأنغام عند الموسيقي. الشاعر يمارس تطويع المادة وتذليلها بحيثُ ينشغلُ بأشياء أخرى ليست المادةُ منها في شيْء. هذا لونٌ من الصناعة الواعية لمهمتها، المدركة لحدها المقبول.

قضية نقدية لم تحسم

والشاعر يكونُ مبدعًا، ويكون مراجعًا، والسؤال الأكثر حساسية: هل المراجعةُ جزءٌ من الإبداع؟ وهل هي صراعٌ مع المادة كما يقول (آلان) يَصْطَرِعُ مع المادة حتى تنثني تَحتَ إيقاع ذَبذباته الفكرية؟(١) و(إليوت) يَذْهَبُ إلى أبعد من هذا حين يرى أنَّ المراجعة مرحلة مهمة للفنان، وإذ نركز على المراجعة، ونراها امتداداً للإبداع، أو مرحلة تالية له ليست منفصلة عنه، وليست مندمجة فيه، نحاولُ تحديد وتحجيم

المنطلقات التعميمية التي تُمعن في فصل الإبداع عن المراجعة وتنالُ من الشعراء في حالات المراجعة واللامراجعة، وحتى الذين يرونها مرحلة انتقالية من التصور إلى التصوير. ولما كان الفقي بزخمه الشعري يضع أمامنا إشكالية حولَ المراجعة، كان علينا استكمال هذه الإشكالية، والمراجعة بكل صورها تكون نوعًا من الإبداع، فالشاعر لايجسدُ صورةَ الإبداع في ذهنه وإنما ينفِّذها مرحليا حتى تكتمل. وسواءٌ أكان الفقيُّ مراجعًا أم صانعًا ناقدًا أم عفويًا؛ لايعود إلى إبداعه بمراجعة أو صناعة. فإن المراجعة قضيةٌ نقديةٌ مستقلةٌ، وحين لايكون الفقي مراجعًا بحجم الصناعة، فإن مردَّ ذلك خصوصيةٌ إبداعية مرتبطة بالإكثار والاقتدار. والرؤية النقدية المعاصرة لاترى في ذلك من بأس.

وفي ضوء ذلك يستبعدُ (برجسون) استمرارَ الفكرة البدائية في العمل الإبداعي، ويرى الصورة النهائية للعمل مغايرة للصورة البدائية، مغايرة نمو لا مغايرة اختلاف. وعلى اعتبار أن المراجعة قضيةٌ نقديةٌ لم تُحسم، نتساءل: أين يقع الفقي في هذا السياق؟

كثيرٌ من الشعراء، وبخاصة أصحاب المطولات والمكثرين، ينفون المراجعةَ في سياق التباهي والاقتدار، إذ يعدون ذلك نوعًا من التعمل والتحكيك والتنخيل، وهذه الطائفةُ قد لاتجدُ الوقت الكافي لمراجعة المطولات. ويقيني أن الشاعر مهما كانت صنعته الفنية لايملك القدرة على فصل الإبداع عن المراجعة فصلاً تامًا، وهذا سعيد عقل وهو من شعراء الحداثة يعلن صراحة أنه يُراجعُ، ويرى أنه ليس من فَنٍّ يمكنُه أن يبلغ أعلى مراتب الرقي إذا اكتفى بالاعتماد على السجية.

التدفق الشعري عند الفقي

هناك تفاوتٌ داخل حقل المراجعة، وهذا مايمكن تناول الفقي من خلاله، وهناك مهارةٌ تقللُ زمن المراجعة وتختصر الجهد، وهناك معاناةٌ حقيقيةٌ تعضد الموهبة، والفقي يراجعُ ولكنَّه لا يطيلُ المراجعة، وقد تنفلت بعضُ قصائده المرتجلة من تحت يده فتصلُ إلى القارئ على سجيتها، وقد لاتمتدُ يدُ المراجعة إلى الرباعيات والمقطعات، وقد تأتي القصيدةُ مجموعة من الأشواط الدلالية، فيأخذُ كلُّ شوط مكانه، في سياق القصيدة. بالطبع، أنا لم أفاتحْ الفقي عن حالته الشعورية وهو يبدع البيتَ أو المقطع أو القصيدة، غير أني لا أشك أنَّ شاعرًا مثله يُخففُ معاناته بالكلام لايمكنُ أنْ يكونَ كمن ينحتُ من صخر.. إنه كشعراء المطولات والعفوية أمثال أبي العتاهية وابن الرومي وعمر بهاءالدين الأميري، لديه تدفق شعريٌّ، أو قل نزيف متواصلٌ حتى لتكادُ المحادثةُ تتحولُ عنده إلى شعر. والفقيُّ نفسُه قال هذا في بعض أحاديثه، إذ يستطيع على حد قوله ألا يتحدث إلا بالشعر، وهذا ممكن وميسور على رَجُلٍ أثبت الواقع أنه شاعرٌ بطبعه، وأن معاناته تفجرُ هذه


وليم وردزورث

الموهبة الطيعة والشاعرُ مع هذا العطاء المتدفق يعيدُ لنا مصطلحات السلف (الغرفَ والنحتَ).

فالصخرُ كثيرٌ لاينفدُ ولكنَّه عصيٌّ لايلينُ، والبحرُ متلاطمٌ لايغيضُ ولكنَّه سهلٌ متدفقٌ، والاغتراف طيعٌ ميسورٌ، والنحت عصيٌّ متعبٌ. وما مرادُ الأوائل حين أطلقوا هذا الوصف على شعر جريرٍ والفرزدق؟ لعلهم يريدون متانة النحت وغزارة الغرف، أو ربما نظروا إلى الشيوع والسيرورة لما هو سهلٌ ميسورٌ فشاعَ غرف جرير وتأبَّى نحتُ الفرزدق، وكلٌّ منهما شاعرٌ متألق.

دائرية الاقتدار والتألق

والفقي حين يمتلك غزارة الإنتاج، وحين يغرفُ من بحرٍ، هل يمتلك متانة النحت؟ سيلٌ من التساؤلات، وتظلُّ الحقيقةُ مغمورة تحت طوفانٍ من الإنتاج الغزير الذي يَضْمَنُ له الاقتدار. إن هناك تألقًا واقتدارًا مثلما يكون هناك نحتٌ وغرفٌ. وبين السمتين عوالمٌ شعريةٌ لا حصر لها. وحين نقولُ بأن الفقي شاعرٌ متألقٌ لا نمنحه هذه السمة لمجرد أنه شاعرٌ مقتدرٌ، فالاقتدار والتألق بينهما خصوصٌ وعمومٌ، أوقل بينهما تداخُلٌ دائريٌّ مثل الجمال والجلال.. وأين نحنُ من شعراء الواحدة، كمالك بن الريب مثلاً، لقد تألق بقصيدة واحدة، ولم يكنْ مقتدرًا على ملء الساحة بالعطاء، إذًا الاقتدارُ عند ابن الرومي وأبي العتاهية والفقي والأميري وغيرهم لايتحقق بتحققه التألق، إن هناك شيئًا آخر يتحققُ به التألق، وحين نقطع بأن الفقي شاعرٌ مقتدرٌ ومتألقٌ نَجدُ أنفسنا أمام عقبات منشؤها اقتدارُه الشعري، أو ما يسمى بالإكثار الشعري. ونحنُ نعرفُ مصطلَحَيْ المكثرين والمقلِّين من الشعراء، ولست أعرفُ ناقدًا جعلَ من الإكثار أو القلة معيارًا للتألق أو التفوق، وإنما جعله لشيءٍ آخر، وهو ما نحاولُ التماسه في شعر الفقي لكيلا نظلمه أونظلم القارىء، ولكي نتخلص من المساءلة المشروعة.

خارج الذاكرة أم داخلها

من النقاد من تحدث عن اقتدار المكثرين لإكثارهم، ولتميز هذا الإكثار، وعلى ضوء ذلك؛ يجب ألا ننبهربهذا الكم الهائل من الشعر عند الفقي، كما يجب ألا نتخذه مقياسا للتألق، إن علينا أن نلتمس التألقَ في شيءٍ آخر غير الكثرة وغير الاقتدار، نلتمسُه في الابداع

التمحور حول الذات

العفوي أو في المراجعة أو فيهما معًا، نلتمسه بالتجربة الصادقة وباللغة الشعرية، نلتمسه في قصيدة قصيرة أو طويلة تكون شاهدًا على التألق ونحنُ لانعدمُ ذلك. وحين لايكونُ التألقُ في الكثرة ولا في الاقتدار ولا في المراجعة، فإننا بحاجة إلى أن نواصلَ البحثَ في ثنايا هذا العطاء المتدفق لنظفرَ بقصيدة أو مقطوعة تثبتُ من خلالها تألق الشاعر. النقادُ السلفُ قالوا عن أشعرِ بيت قاله شاعرٌ فكان جرير بالعين الحوراء أغزلَ شاعرٍ. وكان بغَضّ الطَّرْف أهجى شاعر، وكان بركوب المطايا أمدحَ شاعر. وكان للنقاد السلف رؤيةٌ أخرى في الشعراء: فَمَنْ أشعرُهم إذا ركب؟ ومن أشعرهم إذا رهب؟ ومن أشعرهم إذا رغب؟ ولن نُذْعن لهذه الجزئيات ولا لهذه الإطلاقات، فالأمر لم يعد بهذه السهولة.

ونحنُ حين نقول بأن الشاعر الفقي مقتدرٌ ومتألقٌ، فلأن شعره ينطوي على قصائد تسمو به إلى آفاق التألق. والزخم المتواصلُ قلَّلَ من وهج التفاعلُ، وكما يُقال (والعود في أرضه نوعٌ من الحطب). إن هذا الكم الهائل يثني الإنسان عن الدخول في عالمه الشعري، ومن ثم يظل الفقي خارجَ الذاكرة أو داخلها ولكن بشكلٍ سكوني. لقد حاولتُ إثارة النقاد لمواجهة روادهم وعمالقتهم ليستقروا في دائرة الضوء كما استقر الشداةُ ممن امتدت إليهم الأقلامُ لسبب أو لآخر، وكم رددتُ مع غَيْري قولَ شوقي:

أحرامٌ على بلابله الدوحُ

حلالٌ للطير من كل جنْسِ

ولكن حين نحملُ همَّ الدخول في عالم الفقي لنردَّ لهُ بعضَ حقِّه؛ يقف أمامنا أكثر من سبعين ألفَ بيت تتنازعُها تجاربُ ومواقفُ وتحولاتُ، ومن ثم فإن ما تركه الشاعرُ من شعْرِ في سائر الأغراض، على صور شتى وعبرَ أبنية متعددة متباينة الطول والقصر، ينطوي على أعمال تثبتُ التألق والاقتدار، وحين لانرضى عن بعض هذا الكم فإننا نكونُ أمام كم آخر يتجاوز بالشاعر إلى القمة، وأذكر أن ناقدًا لايحضُرني اسمُه ولانَصٌّ ما قال، أومأ إلى الجيد والرديء في شعرِ المتنبي، فقال: «يكونُ المتنبي شاعرًا عظيمًا لغلبة شعره الجيد على شعره الرديء». فالجودةُ حين تغلبُ على الرداءة، تمكنُ الشاعرَ من التألقِ والتفوق أو من أحدهما. والأمور عامة على التغليب فإذا غلب الحُسْنُ على القبحِ عُدَّ الشيءُ



عمر بهاء الدين الأميري

حسنًا. وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة:٢١٩). ومن ثم جاء التحريمُ. والجمالُ المحْضُ، لايكون كالشرالمحض، والخير المحض. فالملائكة خيرٌ محضٌ، والشياطين شرٌّ محضٌ. والأناسيُّ خليط من الخير والشر، وكان منهم الخيرون.

وهكذا الإبداع لايسقط برديئه ولكنه يتألق بجيده. والناقد المنصف هو الذي يضعُ عينه على بؤر الجمال في العمل الإبداعي، ويسعى جهده لإبراز محاسنه ويتجاوز عن سيئه، ولكن يلفت النظر إليه تأكيدًا للمصداقية لا رغبةً في الإساءة، ولكي يرى الشاعرُ نفسه في مرايا النقد على صورتها. وشعرُ الفقي حين يكون سمحًا ذا مياسرةٍ في تواصله مع المتلقي يكون التعاملُ معه ميسورًا سهلاً، ولا يتطلب تفكيك معماره عناءً ومشقةً إذ لا نتطلبُ أدوات خاصة ولاقدرة متميزة لتفكيك هذا المعمار، ذلك أنّ هندسته اللغوية تبدو عفوية أقرب إلى الارتجال، منها إلى التعمل فهو شاعر ينجز دلالة ولا يصنع لغةً، يقولُ الشعر على سجيته فكأنه سليقيٌّ، يقولُ فيعربُ، ومن ثم ليسَ فيما يتسم به من قرب أي عيب.

الجدلية الواعية

فالشاعر الذي يقدم نفسه على طبيعتها، ولايتحرف لمعمارآخر يخفي طبيعته عن الآخرين يُعد شاعرًا مبسوطًا أمام قارئه على سجيته، والشاعر، كغيره، يعرف أن اللفظ بصفته الدلالية مادة أولية، والقيمة تنبثق من انتظام اللفظ في بنية تركيبية متميزة. وهو حين يباشر هذا الفعل يؤديه كما لو كان يتحدث إليك، ومع هذا يمتنع أن يكون سوقيًا، ويمتنع ألا يكون كذلك. فَيَصلُ بهذه الجدلية اللاواعية إلى مايسمى بالسهل الممتنع، فالفقي شاعر سهل التناول ممتنع المماثلة ليس في معناه دقةٌ ولا بُعدَ غورٍ، ولكنه في الوقت نفسه يشتملُ على خصوصيته، فالشاعر يمارسُ الإبداع لأنه يرى فيه تخفيفًا لمعاناته، ومع هذا يحرص على ألا يُلغي قارئه بتعمده نسف أدوات التواصل، والشعراءُ التقليديون للقديم أو للحديث يرتكبون حماقة من حماقتين: إما إلغاء الذات، وإما إلغاء الغير، فالمحافظون يلغون الذات، والحداثيون الموغلون في الاستحالة يرتكبون حماقة إلغاء الغير، إذ لايقيمون له وزنًا ولايتحدثون إليه، والفقيُّ بهذه الخصوصية ليس بدعًا، إنما يمثل شريحةً عريضة من الشعراء الذين رفضوا الانتماء ولم يحققوا التخلص من التأثر الطبيعي، وحين نقطعُ بأن الفقي ذو مياسرة، فإنما ننفي عنه حوشية اللفظ وغرابة التركيب، وحين

نقول بيسر لغته، كنا نتمنى أن يكون لـديها تمنعٌ يحققُ لذةَ الاكتشاف وانتشاء الانتصار، ولكن ما مستوى التمنع المراد؟

المبدع الرديف!

لغةُ الشاعر مواتيةٌ متناسبة في سياقها، متواشجةٌ مع موضوعها. وقلَّ أن تجد كلمةً نابيةً أو قلقة أو شاذة في سياقها، ومن ثم تحسُّ بشيء من الامتعاض حين تقرأ هذا البيت في الحب:

ولقد طِحْتُ في شراكك ياحب
وماكنت بالفتى المأفون

فكلمةُ طحتُ رغمَ عربيتها شاذةٌ قلقةٌ مستكرهةٌ، والشاعر لايقعُ في مثل هذا على الرغم من عفويته وأدائه الذي يقتربُ من الارتجال. إن كلمة (طاحَ) ليست من لغة الفن، فضلاً عن أن تكون من لغة الحب. والمفردةُ عند الفقي ذاتُ مرجعية استعمالية بمعنى أنَّ توظيفها واستثمارها لايخرجُ عن نطاق المألوف، ومعَ هذا فإنه لايهبطُ بها إلى درك التكرار، إلا أنه لايتخلصُ من مرجعيتها الدلالية بالقدر الذي نراه ونلمسه عند بعض الشعراء المحدثين، ومنْ ثم فإنَّ المجال الذي يتيحُه لخيال القارئ مجال ضيقٌ، والمحدثون يطالبون بأن يكون مجال الخيال رحبًا يمكِّن القارئ منْ لذة الاكتشاف والإضافة، إذ الناقدُ في عُرْفِ البعضِ مبدعٌ رديفٌ. ومع ما نلاحظه على المفردة من التزامٍ مرجعي فإننا نحتفي باحترامه للغته وحرصه على السمو بها وتخليصها من شعبية الأداء، وشيوع التناول، وتحاميه الابهامَ والانغلاقَ. وربما تَسْتدعي هذه الرؤية تساؤلاً عن لغة الشاعر.. أينشئُها، أم يرثُها؟ ولسنا بهذا التساؤل نجور على الشاعر، ونحملُه على أن يبتدعَ لغةً على غير سننِ الشعراءِ، وإنما نريدُ أن تكون للشاعر لغتُهُ الخاصةُ. والنقاد يقولون الرجل هو الأسلوب. والشاعر حين يكون وارثًا للغته، يكونُ منشئًا لها في بعض تجلياته، واللغة بلاشك هي الوشيجةُ الأقوى التي تربط الشاعر بماضيه، وهي في الوقت نفسه تربطه بحاضره إذا استطاع تحديثها أو تحديث دلالتها أو نسقها.

شاعر معاني

إننا لكي نغامر في التقرير نجد أنفسنا أمام شاعر مكثر يتصفُ بالتحولات الدلالية والأسلوبية، ولكنها تحولات أشبه بالمراوحة، والشاعر تميز بدلالته، ولم يتميز بلغته على حد قول النقاد السلف: (أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعرُ البحتري). ولما كان أبو العلاء المعري شاعر معانٍ ألف عن المتنبي (مُعْجزَ أحمد) وألف عن البحتري (عبثَ الوليد). والفقي حين يكون شاعر معان يجد من يُعلي من شأنه كما أُعليَ شأنُ المتنبي وأبي تمام.

على أننا لانستطيع أن نقطع بذلك، فالفقي الذي خلف لنا بعض شعره في ثمانية مجلدات ضخامٍ، لايمكنُ أن يحتويه مذهبٌ واحدٌ ولايمكن أن تكون لغته بمستوى واحد، ولربما كان هذا مصدرُ العناء في مواجهة الفقي، إنه عالمٌ شعريٌ واسع الأرجاء متعددُ المسالك متنوع الأداء. وتبعًا لهذا جاءت لغته بعدة مستويات متباينة: المستوى المحافظ الذي يهتم بفصاحة المفردة وسلامة التركيب وعدم المعاضلة في الدلالة، ويتجلى هذا المستوى في قصائده القديمة التي أصدرها في ديوانه (قدرٌ ورجلٌ). وأحسب أن هذا الديوان يمثل مرحلة التنقيح والمراجعة. أما المستوى السهل والتعبير القريب التناول فيتجلى في سائر شعره، وفي شعر المناسبات والوطنيات وفي القصائد التي تعتمد على الحوار الشعري وبخاصة في رباعياته.


إليوت

ولم أقف في شعره على لغة مصنوعة أو متكلفة، وما جاء موحيًا بشيء من ذلك فهو طبيعة لاتكلف فيه، وعارضٌ لايصلُ إلى حد الظاهرة. كما لم أجد ما يعرف عند الحداثيين بتفجير مخزون اللغة من الطاقات، ويقيني أنه لم يفكر في اللغة بقدر تفكيره بالمدلول، وتبعًا لذلك لم يتحرف لإظهار قوة اللغة وجمالها، ولم يفرغ لأناقتها وهل يمتلك شاعرٌ ينزفُ الشعر مراجعة لغته وإثراءها؟ على أن صياغة الشاعر تختلف باختلاف التجربة والموقف، فتارة تكونُ الصياغةُ حسية تجسد الفكرة، وتارةً تكون إيحائية ترمزُ ولاتجسد، ومع الاختلاف فالشاعرُ لايستحضر أهمية اللغة، بمعنى أنه لايحصرُ غاية الإبداع في اللغة بحيثُ يكونُ العملُ الشعري مَعْرَضًا لغويًا.

هل يمتلك شاعر ينزف الشعر مراجعة لغته وإثراءها؟

الدلالة أم اللغة

والشاعر مع عدم تفكيره بلُغَتِه تُواتيه القدرةُ على الارتفاع عن مستوى التقريرية والمباشرة المذمومة. وحين يتخلص من ذلك تواطئه لغةُ الإيحاء والتكثيف، فيتحول من أدائها التجهيزي إلى أداء احتمالي يستجيب لحاجات المتلقي،

التمحور حول الذات

ولكنه لايبعد النجعة إذ لا يتلبث في الإغتراب إلا قليلاً، وإذ يكون شاعر فكر، فإنه شاعرٌ تَوتر، ولغتُه تتلبس بهذه الحالة، فتكونُ لغةً متوترة محافظة على قواعدها محترمة لسلطان القانون اللغوي والتركيب النحوي. وشعراءُ الفكر - دائما - هم شعراءُ التوصيل والتجهيز. واهتمامُه الدلالي يثقلُ لغته بالتساؤل والاستفهام. واللفظةُ عنده تؤدي وظيفتها التأثيرية والإيحائية في إبداعاته الذاتية، وتؤدي وظيفتها التوصيلية في شعره الفكري وشعر المناسبات.

ومن ثم فإننا نراهُ يمزجُ بين الفكر والعاطفة ويأتي تعبيره - تبعًا لذلك - خليطًا من المباشرة والإيحاء، وكثيرًا ما يميل إلى المباشرة والتقريرية في قصائده الحوارية وفي مجمل رباعياته، أما الغموض عنده - إن كان ثمة غموضٌ - فيرتبط بالرمز دون التركيب اللغوي لحمله هم التوصيل، وكل شاعرٍ مثقلٌ بالهم يتشفى بالتخلص من همه، ومن ثَم فإن الشعر عنده ليس للتسلية ولا للمتعة، إنه عملٌ جاد يمارسه الشاعرُ لتخلية مواقعه من تراكمات المرارة والألم، فلا يُغْرِبُ في مفرداته ولا يتعمد جزالة التركيب، ولايفكر في هندسة البناء، والنزعة الرمزية عنده ليست لغوية؛ فالحالة النفسية التي تعتور الشاعر تحمله على التماس رموزه من واقعه المعيش، وبقدر احتدام المشاعر يتحددُ غورُ تلك الرموز وبعدُها الدلالي. وقد يتخطى عالمه إلى الطبيعة فيجعل من هذه الطبيعة بدائل تعبر عن معاناته. والشعراء عامةً يتخذون من الخريف محورًا رمزيا يجسدُ الذبول والهشيم النفسي، ومن الرعد والبراكين رمزًا لثورة النفس وطغيان الانفعال، ومن الجبال رمزًا للأنفة والصلابة.

تكرار أم تناسخ

ويقيني أن الرمز عنده على أي شكلٍ جاء، لايمثل ظاهرة لغوية ولافنية، والشيء الذي لانستطيع إنكاره أن الأفكار تتكرر في أكثر من قصيدة، وبعض القصائد تكادُ تكونُ نسخة مكررة لقصيدة سالفة، وقد يُبرَّر هذا التكرار بتكرار المواقف، كما أن التكرار الدلالي يتمتعُ بتفرد في الصياغة يُضْفي على الفكرة جدةً وحيوية، ولكن الناقد الشمولي الذي ينظر إلى عمل الشاعر كوحدة متكاملة لايجدُ بدًا من الإشارة إلى هذه الظاهرة، ومهما تفردت القصيدةُ بتعدد المواقف وتباين الصياغة تظل ظاهرةً فنيةً تحسبُ للشاعر أو عليه حسبما يتجهُ إليه النقادُ. ومن جهتي أنا فالتكرارُ بهذا الشكل محسوبٌ على الشاعر، ولكنني أشيرُ إلى أن مردَّ هذا التكرار وحدةُ الشعورالتي تُسيطر على عمل الشاعر، والحالة النفسية التي تحكمُ تصرفاته، وتصوره للآخرين. هذا التفردُ الشعوري أعطى الشاعر مجالاً رحبًا للإبداع، وأضفى على إبداعه شيئًا من التكرار والتشابه.

> **الإبداع لا يسقط برديئه ولكنه يتألق بجيده**

ويقيني أن التشابه قائمٌ، والقصائدُ كالأولاد، هناك شبهٌ، ولكن ليسَ هناك تناسخٌ. الشعرُ عند الفقي ملحمةٌ مترابطةٌ، استعادة لمأساة الإنسان عبر تاريخه الطويل.. والتاريخ يعيدُ نفسه، وقد تعيد القصيدة ملامح أخرى سلفت.

إن هناك تطورًا في القصيدة عند الفقي، تطورًا دلاليًا وتطورًا شكليا. ولكن من ذا الذي يملك الوقت والجهد ويغامرُ بالدخول في عالم الفقي الفسيح؟ وهذه الكثرة المثيرة التي يجمع عليها النقادُ، وتعدُ ظاهرة في شعر الفقي، أهي مع الشاعر أم ضده؟ وهل يكون الفقي متألقًا بالكم أم بالنوع؟

لقد عالجنا هذا في سياق حديثنا، ولكننا مع هذا نود الإشارة إلى أهمية الأناة والتأمل. أبو العتاهية من الشعراء المكثرين وأصحاب المطولات، ولاأحد يشك في اقتداره الشعري، ولكنه لم يثر قضيةً نقدية، وهو الذي يقولُ: لو شئتُ أن أجعل كلامي كله شعرًا لفعلت. ويقول عنه بعضُ النقاد: (كأنه يستخرجُ شعره من كُمه). هذا الفيضان الشعري لم يستوقف النقاد، ولم يُثِرْ أي قضية نقدية ذات بال، لقد أطال النقاد الحديث عن بعده الدلالي، وتفرقت بهم المذاهب حول زهده، وهل هو إسلامي؟ أو مانوي؟ وهل زهده صادق أم كاذب؟ ولم يُلمُّوا بلغته وفنه إلا بقدر مايحدد قيمة الإكثار والتطويل، وحين لايختلفون حول شاعريته، وتميزه، يكادون يتفقون على أنه لم يلحق الفحول من المقلين. إننا بحاجة إلى زمن طويل وجهود مضنية لكي نكشف عالم الفقي فنيًا ودلاليًا، وليس من السهل أن يلم دارسٌ محاصرٌ بالوقت بكل ما ينطوي عليه شاعرٌ كبيرٌ كالشاعر محمد حسن فقي. إنها مجرد خواطر تتسع للمداخلة وتحتمل الرفض وتقبلُ المعارضة، فالحق ضالة الجميع والرأيُ مع الرأي إضاءة كالنور مع النور، فليكن هذا الحديث المقتضبُ مغريًا باقتحام عوالم الفقي لنؤدي له بعضَ حقه علينا، فقد قدم الكثير ولم ينل منا إلا القليل.

الهوامش:

---

(١) فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص١٣٥

الثقافة والتنمية الصناعية

إعداد : د. تماضر حسون

تؤدي الثقافة دورًا فاعلاً في عملية التصنيع، فقد يتغلغل التصنيع تغلغلاً عميقًا في المجتمع، أو قد يقتصر على سطحه، وقد يسير في مجتمع معين بسرعة، أو ببطء، أو يتوقف تمامًا. وتعتمد هذه الأمور كلها على طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع، وعلى مدى قوة تأثيرها، أي إن هناك تفاعلاً متبادلاً بين نجاح عملية التصنيع والثقافة السائدة، بما فيها من عادات وتقاليد وقيم ونظم أخلاقية وعائلية وتعليمية وتشريعية.. الخ.

لذا، إذا أريد إدخال تغييرات اقتصادية، أو تقنية (تكنولوجية) معينة، تستلزمها عملية التنمية الصناعية والاقتصادية، فلابد من دراسة طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع وفهمها. فمثلاً، جاءت نتائج الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية التي قام بها فريق من المختصين في مجال علم اجتماع العمل في مختلف دول العالم الثالث، مشيرة إلى أن هناك جماعات لاتملكهم الرغبة الأكيدة في تحسين مستواهم المعيشي، لأنهم قانعون بما هم فيه. وهناك مجتمعات أخرى تظهر لديها الرغبة الأكيدة في كسب المال فقط، كي يتمكنوا من شراء شيءما يحتاجون إليه، كجهاز راديو أو تلفاز أو آلة تسجيل أو آلة تصوير ويتوقفون بعد ذلك. كما أن هناك أشخاصًا يتركون أعمالهم، بمجرد أن يتوافر لهم بعض الفائض من المال. وفريق آخر من الناس تكاد تنعدم لديهم الرغبة في تحسين مستوى معيشتهم عن طريق العمل والتعب، ويفضلون تلقي صدقات المحسنين والجمعيات الخيرية.

وقد تكون تلك المواقف نابعة من عرف أو تقليد اجتماعي يقوم على أساس أن «القناعة كنز لايفنى»، أو «ما في أحد مات وأخذ معه شيئًا».

كذلك تشير دراسات الأنثروبولوجيين إلى أن المساهمة في العمل لدى الكثير من الأفراد، تنتج من شعور الفرد بواجبه تجاه أقاربه في النسق القرابي، وليس عن رغبة حقيقية في الحصول على كسب مادي، لذا تتم عملية الإنتاج المختلفة، وتقسيم العمل، والسلع الإنتاجية، وطريقة الاستهلاك والتبادل، ومصادرالادخار وأهدافه، في ضوء الإطار العام الذي يحدد أهدافَه التنظيمُ العائلي والنسق القرابي ذاته.

وبما أن النظام الاقتصادي، ومن ثم عملية التصنيع، هو جزء من النظام الاجتماعي العام، فلا يمكن الفصل بين الأدوار الاقتصادية والاجتماعية للفرد. لذلك من الضروري أن يُفهَم مقدمًا أن الصلات العائلية والتزامات القرابة الواسعة للعادات والتقاليد، تؤدي دورًا مهمًا وأساسيًا في دعائم البناء الصناعي للمجتمعات النامية، ومنها المجتمعات العربية.

كذلك يجب أن يُفهم جيدًا، أن التغيير الاجتماعي والثقافي المخطط له، والذي يستهدف إكساب أعضاء المجتمع عادات وتقاليدًا وقيمًا وممارسات وأنماطًا سلوكية جديدة، تتعلق بالعمل، يواجه بمقاومة شديدة، ترجع إلى أن هذا التغيير من شأنه أن يدخل تغييرات على النظم والأنماط السلوكية التي اعتادها الأفراد.

وقبل أن نخاطر بإدخال تجديدات من شأنها أن تثير ردود فعل عنيفة، يجب أن تُدْرَس طبيعة الثقافة السائدة، والتساند المتبادل بين مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع، مع الوضع في الحسبان أن تنمية المجتمعات، وتغيير العادات والتقاليد، وإحلال البدائل لها، يجب أن يتم بكثير من الفطنة، والحرص، وكسب ثقة الآخرين، وتعاونهم، وأن نثبت بالدلائل الملموسة عدم جدوى مثل تلك العادات والتقاليد.

ومن أهم الواجبات التي تُلقى على عاتق القائمين على مجتمعاتنا العربية، محاولةُ التوفيق بين عناصر التقدم المختلفة من اجتماعية واقتصادية، ومحاولةُ الربط بين الماضي والحاضر، والمزاوجةُ بين القديم والحديث، والقضاءُ على خرافات الماضي التي لاتلائم روح العصر. ولاشك أن ديننا الإسلاميَّ الحنيف ضد السلبية والتواكل والثبات والجمود. قال تعالى «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (الملك:١٥)، كما حث الإسلام على العمل الدؤوب، ودعا إليه أيا كان نوعه مادام شريفًا، قال عليه الصلاة والسلام: «ما أكل ابنُ آدم طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

نستخلص مما سبق أنه يتعين علينا ـ في مجتمعاتنا العربية ـ تطويرُ بعض عاداتنا وتقاليدنا السائدة في ثقافتنا، والتي لاتتلاءم مع مقتضيات التنمية الصناعية، كالتواكل، والكسل، واحتقار العمل اليدوي.

قصة قصيرة:

أعراض خطيرة

معالي عبدالحميد حمودة

لماذا يصفني بعضهم بالجنون؟ وما الجنون؟ هل بسبب أنني حطمت ذات يوم مقعدًا من مقاعد المقهى؟ أم بسبب تلك الضغوط الشديدة التي تجعلني أصرخ؛ لأنني لاأستطيع الموازنة بين راتبي والمسؤوليات الملقاة على عاتقي؟ أم بسبب أنني ضربت زوجتي ذات يوم؟ كلا، هذا كلّه ليس سببه الجنون، صحيح تنتابني أعراض خطيرة أفقد فيها اتزاني، لكن ترى هل كل من يفقد اتزانه يوصف بالجنون؟.

* * *

ذات يوم كنت جالسًا في المقهى، بالقرب من منزلي، أخذت ركنًا بعيدًا وجلست أرقب رواد المقهى، هذا الرجل البدين الذي كان يضحك دون سبب، وهؤلاء الذين يجلسون فقط مرتدين ملابسهم الأنيقة ولايفعلون أي شيء، يومها كنت جالسًا بعيدًا عن رواد المقهى، دخل من الباب شخص ضخم الجثة، كان غريبًا عن رواد المقهى، ترك المقاعد كلها وجلس أمامي، نظرت إليه في دهشة، رد عليّ بنظرة كلها احتقار، صرفت النظر عنه، لكن حدثت نفسي:

"لماذا قذفني بهذه النظرة؟"

مد ساقه واصطدم بقدمي بعنف، آلمتني الصدمة، نظرت إليه، توقعت أن يعتذر، لكنه بصق على الأرض أمامي.

لم أستطع تحمل ذلك كله، فكرت أن أضربه، تراجعت، كان ضخم الجثة، كان في وسعه أن يحطم عنقي. عدت أفكر ثانية، قررت أن أترك المكان إلى مكان آخر، قمت واقفًا، لكنه رفع ساقه ووضعها في طريقي، وقعت على الأرض، نظر إليّ الجالسون بشفقة وخوف، لم أشعر بشيء إلا أنني مددت يدي إلى المقعد المجاور وضربته به على أم رأسه، وقع على الأرض، أخذت أضربه حتى تحطم المقعد، لم يفعل أي شيء، قالوا عني إنني مجنون، تركت المقهى وعدت إلى منزلي وأنا أشعر بارتياح شديد، كادت الليلة تمر على خير، لولا أنني فقدت أعصابي ثانية.

***

بادرتني زوجتي قائلة:

- نريد ياأبا سالم نقودًا لشراء بعض الأشياء.

- من أين؟

- لاأعلم من أين، أنت الرجل وعليك أن تدبر النقود.

نظرتُ إليها، حاولت أن أصل إلى مابداخل رأسها، إنها تعرف مُرَتَّبي، وتعرف أنني لاأستطيع عمل أي شيء.

عادت تقول بحدة:

- نريد نقودًا.

قلت لها بهدوء:

- ياأم سالم أنت تعرفين مرتبي و...

قاطعتني بالحدة نفسها:

- من أين إذن سنحضر مانحتاج إليه؟

عدت أفكر ثانية، هذه المرأة من المؤكد أن رأسها لايوجد به شيء يفكر، حاولت تغيير دفة الحديث، قلت لها:

- هيا، أريد تناول طعام العشاء.

قامت تهز جسدها في عصبية، عادت

تحمل عدة أطباق، وضعتها أمامي على المنضدة بعنف، جلست متحفزة:

- خمسون جنيهًا فقط.

تناولت بعض لقيمات، فجأة أخذت أصرخ، وهي تنظر إليّ في بلاهة، شعرت من نظراتها أنني مجنون، لست مجنونًا، أنا أفكر بطريقة سليمة، لمحت المنضدة الصغيرة الموجودة بركن الغرفة، شعرت برغبة عارمة في تحطيمها فوق رأسها، سيطرتُ على نفسي، وعدتُها أن أدبر لها النقود.

مرت عدة أيام على هذه الواقعة، استعدت هدوئي، فكرت بطريقة أخرى، هذه المرأة لن تصمت إلا إذا أخذت النقود، اقترضتها من زميلي "يوسف"، انفرجت أساريرها ضحكت ولم تقل أي شيء.

تركت المنزل، سرت تجاه الطريق المؤدي إلى شاطىء البحر، اخترت مقعداً بعيدًا عن الناس، جلست أنظر إلى البحر، هذا البحر الكبير الواسع لماذا لايصفه الناس بالجنون عندما تثور أمواجه وتقفز إلى الطريق العام، تغرق ملابس الناس وتغمر الأرض بالمياه.

عدت إلى منزلي، وجدتها جالسة، كانت كالعائدة من معركة حربية، جلست صامتًا، جاءت وجلست أمامي.

- ياأبا سالم أريد بعض النقود.

صرخت:

- ماذا؟!

ضحكت في بلاهتها المعهودة:

- أريد زيارة أختي غدًا.

بدأ عقلي يغلي، حاولت السيطرة على عقلي، قلت لها:

- أختك تقطن بالقرب منا، الزيارة لاتحتاج لنقود.

اقتربت مني، همست في دلال:

- أريد شراء هدية لها، أنت تعرف ظروفها.

صحت فيها:

- ماذا تعنين بظروفها؟

- زوجها رجل بخيل ولايعطيها أي...

قاطعتها بإشارة من يدي، أخبرتها أنه لاتوجد نقود، ولاشأن لي بها ولابزوج أختها.

علا صوتها، كانت المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك، شعرت أن عقلي على وشك مغادرة رأسي، ثم قالت:

- لقد سئمت هذه الحياة.

لم يكن أمامي إلا أن أضربها لأؤدبها، قمت وضربتها، جلست بعدها صامتة لاتتكلم، ترمقني في خوف، لكن نظراتها كانت تقول إنني مجنون.

***

أذهب كل يوم إلى العمل، أعود ظهرًا، أتناول طعامي، أتحدث قليلاً مع ابني سالم، أهرب من المنزل إلى الطريق العام، أمضي بعض الوقت في المقهى، أحيانًا أسير ساعات طويلة بمفردي أفكر.

مرت عدة شهور، قمت من نومي ذات صباح، نظرت لزوجتي وحدثت نفسي:

"من هذه المرأة؟ ولماذا هي في بيتي؟"

كنت أشعر أنني أعرفها وكنت أشعر أيضًا أنني لاأعرفها، كانت تنظر إليّ، تتحدث كثيرًا، لاأرد عليها، تشير بأصابعها إلى رأسها في حركة هوائية للدلالة على أنني مجنون، أبتسم ولاأحدثها.

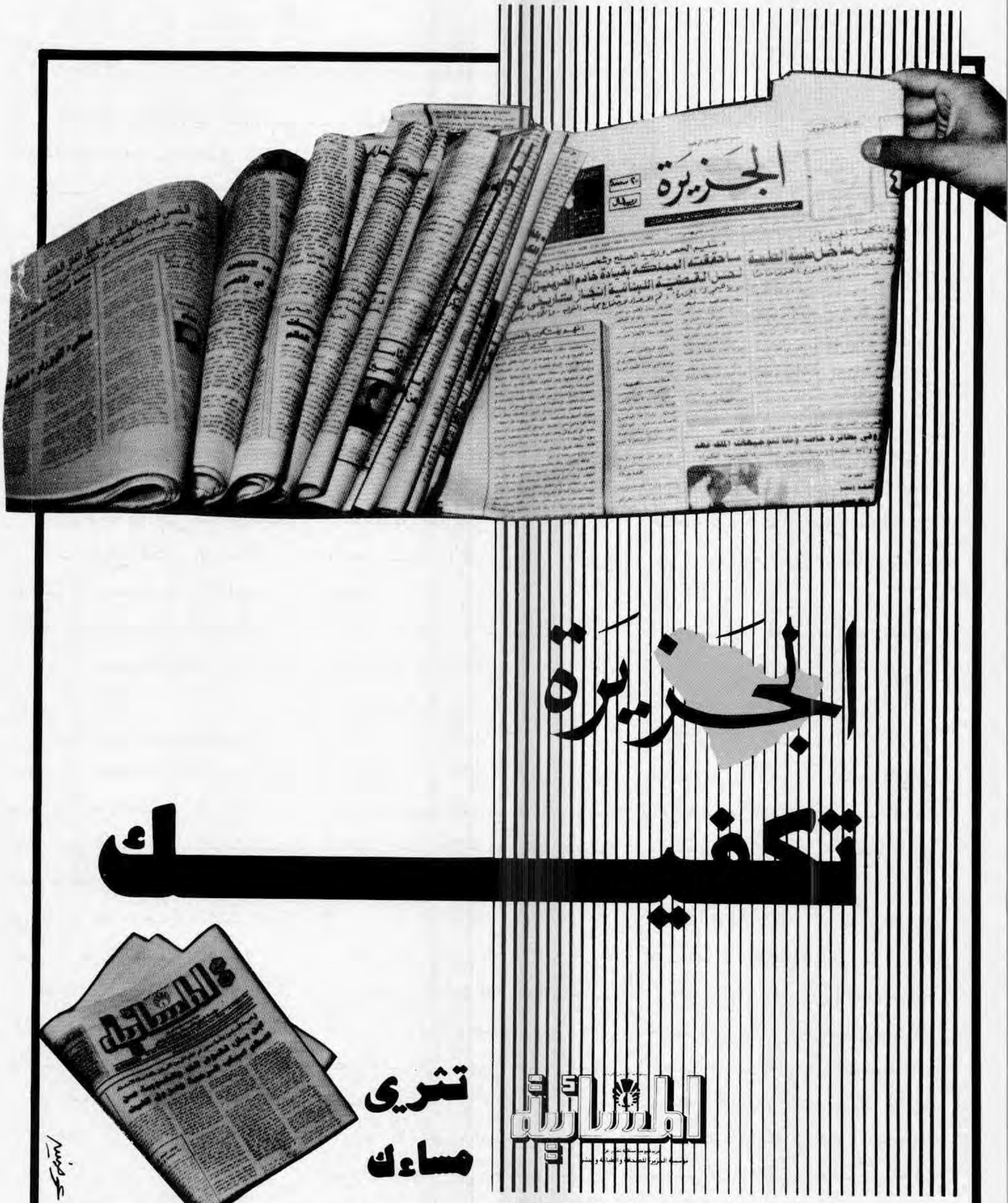
ذهبت إلى العمل، هؤلاء الأشخاص أعرفهم، لكن في لحظة سريعة أشعر أنني لاأعرفهم، ماذا حدث؟

عدت إلى المنزل، كان سالم ابني هو الوحيد الذي أعرفه دائمًا، أضحك معه، أقبله، وماإن تدخل زوجتي الغرفة حتى أنظر إليها، أشعر أنني أعرفها، ثم أشعر أنني لاأعرفها.

ذهبت إلى الطبيب.. كنت أتردد إليه على فترات متقطعة، كان يعالجني من بعض التوتر العصبي، طلب مني أن أتمدد فوق الأريكة في هدوء، وأن أسترخي تمامًا. تناول "الأجندة" وطلب مني أن أقص عليه كل شيء، قمت واقفًا، وضعت قدميّ داخل الحذاء، قال لي الطبيب:

- إلى أين أنت ذاهب؟، يجب علاجك فأنت مصاب بأعراض خطيرة و..

نظرت إليه، توقف عن إكمال عبارته، شعرت أنني أعرفه، وشعرت أنني لاأعرفه، أغلقت الباب ورائي في عنف، هبطت درجات السلم، خرجت إلى الطريق العام، كنت أبتسم في هدوء شديد وأنا أستنشق الهواء العليل، شعرت أنني أعرف هذا الهواء.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر» ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف «٤٠٢٥٥٥٥» ..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

كُتُبٌ تراثيَّة:

مِنْ أشْهَرِ كُتُبِ البِبليوجرافيا العَرَبيَّة(*)

"قديمًا وحديثًا"

د. محمد علي الجندي

(ت)

تاريخ الأدب العربي

(لكارل بروكلمان) :

اتخذ صاحب هذه الببليوجرافيا العصور والدول أساسًا للترتيب مبتدئًا بالعصر الجاهلي ومنتهيًا إلى العصر الحديث، وتحت كل عصر من العصور يقسم الموضوعات، وتحت كل موضوع رتب المؤلفين ترتيبًا تاريخيًا أيضًا (من القديم إلى الحديث). وتحت كل منهم ثَبْتٌ بما بقي لنا من نسخ مؤلفاته. وقد نتج عن ذلك صعوبة البحث في الكتاب، وتوزيع الموضوع الواحد على مختلف العصور التاريخية.

فهناك الشعر في العصر الجاهلي، والشعر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصدر الإسلام، والشعر في العصر الأموي، والشعر في العصر العباسي، وهكذا.

يضاف إلى ماسبق أن المؤلف اعتمد في جمع مادته على فهارس المكتبات بكل مافيها من صور النقص والقصور، فأغفل عددًا كبيرًا من المخطوطات العربية لأنه لم يُذكر فيما نُشر من فهارس المكتبات. وأكثر من هذا فقد وقع في كل ما وقعت فيه الفهارس من أخطاء في المعلومات أو في الطباعة، ومن نقص في البيانات. ولكن على الرغم من كل ذلك فإن الببليوجرافيا حاولت أن تعطي صورة للفكر العربي في تطوره مع التاريخ.

صدر هذا الكتاب في جزئين سنة ١٨٩٨م، ١٩٠٢م، ولما تجمعت لدى المؤلف مادة غزيرة رتبها بترتيب الأصل نفسه وأصدرها في ملحقين سنة ١٩٣٧م، ١٩٣٨م ثم أصدر ملحقًا ثالثًا عن الأدب الحديث سنة ١٩٤٢م، وبآخره كشافات الكتاب تيسيرًا على الباحث الذي لايعرف غير اسم المؤلف أو عنوان الكتاب، وإدراكًا لقيمة هذا العمل الكبير فقد ترجم إلى العربية، وصدرت منه ثلاثة أجزاء في الفترة من سنة ١٩٥٩م إلى سنة ١٩٦٢م مزج فيها المترجم الدكتور عبد الحليم النجار - يرحمه الله - بين مادة الأصل والملاحق.

تاريخ التراث العربي

(لفؤاد سزكين):

ظهرت هذه الببليوجرافيا كمحاولة لإكمال عمل بروكلمان، واستدراك الأخطاء التي سبقت الإشارة إليها. لذلك لم ينشر منها سزكين أي شيء إلا بعد اكتمال مادته تحت يديه حتى لايضطر إلى ما اضطر إليه بروكلمان من قبل من إصدار الملاحق، ولم يرتب مادته ترتيبًا زمنيًا كما فعل بروكلمان، وإنما رتبها ترتيبًا موضوعيًا مع تعريفات مفصلة للعلوم، ومع التقسيم بالمكان حينما يتسع عليه موضوع من الموضوعات. ولم يعتمد سزكين على الفهارس كما فعل بروكلمان وإنما حرص على رؤية الكتب بنفسه، وذلك عبء كبير اضطره إلى أن يحدد المجال الزمني للكتابة فتوقف به عند سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م.

وقد جمع سزكين مادته من قرابة مائة دولة رجع فيها إلى أعداد ضخمة من المكتبات بلغت سبعًا وتسعين مكتبة في استانبول وحدها.

ومع أنه يذكر المعلومات نفسها التي كان يذكرها بروكلمان عن المؤلفين والكتب، إلا أن رؤيته للمخطوطات نفسها قد أتاحت له أن يضيف معلومتين جديدتين

هما: عدد صفحات المخطوط، وتاريخ نسخه، وهما معلومتان في غاية الأهمية، لأن أولاهما تعطينا فكرة عن حجم الكتاب، والثانية - وهي الأهم - تبين لنا مدى قدمه ومدى أصالته، وبعبارة أخرى: مدى قربه من عصر المؤلف ونسخه الأصلية.

ولقد كان سزكين أمينًا مع نفسه ومع بروكلمان فكان يبدأ بالكتب التي سبقه بروكلمان إلى ذكرها، ثم يذكر إضافاته ويميزها بوضعها بين العلامتين (+) ... (.)

والببليوجرافيا بعد هذا مزودة بمجموعة ممتازة من الفهارس والكشافات، فهناك إلى جانب كشافات المؤلفين والعناوين والمؤلفين المحدثين والمحققين، قوائم المراجع ومختصرات أسماء المكتبات وأسماء الدول والمدن التي توجد بها تلك المكتبات وما استعان به من فهارسها.

صدر من الببليوجرافيا خمسة أجزاء حتى الآن مترجمة إلى العربية، الجزء الأول عن علوم القرآن والحديث والتاريخ والفقه والعقائد والتصوف (١٩٦٧م)، جزء ثان، عن الشعر (١٩٧٥م)، وجزء ثالث عن الطب والصيدلة والحيوان (١٩٧٠م)، وجزء رابع عن الكيمياء والنبات والزراعة (١٩٧١م)، وجزء خامس عن الرياضيات (١٩٧٤م). (كما صدرت منه بعد ذلك أجزاء أخرى، وقد طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض).

(ف)

الفهرست
(لابن النديم ٣٧٧هـ/١٩٨٧م):

ينص ابن النديم في ديباجة الفهرست على أنه ألف هذا الكتاب ليكون «فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب، وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها... منذ ابتداء كل علم اختُرِع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة».

وبالرغم من أن ابن النديم قد استعمل لفظ «الفهرست» إلا أنه كان يقصد به الحصر الببليوجرافي بأوسع معاني الكلمة وأدقها، فهو لايقف به عند موضوع معين فيكون ببليوجرافيا موضوعية، ولاعند إقليم معين فيكون ببليوجرافيا قومية أو وطنية، وإنما هو يتسع ليستوعب كل ما ألف في لغة العرب أو ترجم إليها من اللغات الأخرى في شتى فروع المعرفة منذ أقدم العصور حتى سنة ٣٧٧هـ.

والفهرست هو أقدم وثيقة شاملة تبين مبلغ ما وصلت إليه الحياة العقلية الإسلامية في عصر من أزهى عصور الحضارة وهو عصر بني العباس، ولولاه لضاعت أسماء كثيرة من كتب تراثنا وأوصافها.

قسّم ابن النديم مادة الكتاب إلى عشر مقالات يتناول كل منها موضوعًا من موضوعات المعرفة المتاحة في ذلك الزمان كالفقه والنحو والشعر والأخبار والفلسفة والعلوم.

ويغلب على الفهرست طابع الإيجاز في عرض أسماء المؤلفين وعناوين كتبهم، إلا أنه يسهب في بعض الأحيان في وصف بعض الكتب وتحديد أحجامها كأن يقول: إن الكتاب ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف ورقة ويحدد أيضا حجم الورقة التي يعنيها فيقول إنها مثلاً: سليمانية تَسَعُ عشرين سطرًا في الصفحة.

والملاحظ على الفهرست أنه يقتصر على الترجمة للمشاهير، على الرغم مما وعد به في مقدمته من أنه سيذكر الكتب وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم.

(ك)

كشف الظنون
عن أسامي الكتب والفنون
(لحاجي خليفة
١٠٦٧هـ/١٦٥٧م):

يمثل أضخم الببليوجرافيات العربية وأشملها من حيث كونه يعبر عن الصورة الواقعية للحياة الفكرية العربية حتى القرن الحادي عشر الهجري، وأغلب الكتب التي جاء ذكرها في الببليوجرافيا موجودة بالفعل بخلاف الكتب التي وردت في فهرست ابن النديم والتي فُقِد معظمها.

رتب صاحب كشف الظنون كتابه على الترتيب الهجائي بعناوين الكتب، بالإضافة إلى ذكر العلوم والتعريف لها في مواضعها من الترتيب الهجائي. فعلم الحديث مثلاً يأتي ذكره والتعريف به في مكانه تحت حرف الحاء، أما كتب الحديث فيُذكَر كل منها في موضعه من الترتيب الهجائي. فالجامع الصحيح للبخاري يأتي في حرف الجيم، وسنن أبي داود يأتي في حرف السين وموطأ مالك يأتي في حرف الميم.

كذلك ينفرد الكتاب بذكر الشروح والاختصارات والحواشي والتعليقات التي

عملت حول كل كتاب من الكتب بعده مباشرة في ترتيب هجائي بالعناوين أيضًا.

وتتضمن هذه الشروح والاختصارات والتعليقات على الكتب إعطاء نبذة عن المؤلف (بلده وصنعته وتاريخ وفاته بالأرقام والحروف)، وعن موضوع الكتاب ومحتوياته وطريقة تنظيمها، ويذكر بدايته وتاريخ الانتهاء من تأليفه وحجمه، وقد يضيف إلى ذلك بيانات عن سبب تأليف الكتاب وآراء العلماء فيه.

ومثل هذه المعلومات عن الكتب لها قيمتها بالنسبة لمن يقومون بعمل دراسة عن كتاب من الكتب حيث يجدون معه كل ما عمل حوله من دراسات وتحليلات.

(م)

معجم المطبوعات العربية والمعرّبة (ليوسف اليان سركيس - ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م)

تمثل هذه الببليوجرافيا مرحلة الطباعة منذ دخلت الشرق العربي في أواخر القرن الثامن عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد حتى سنة (١٣٣٩هـ/١٩١٩م). وصاحب هذه الببليوجرافيا يقصر نفسه على المطبوع دون المخطوط، وفي هذا الإطار يتحرك سركيس دون قيد أو شرط في محاولة رائدة لتجميع كل ما طبع بلغة العرب سواء كان تأليفًا أو ترجمة، وسواء طبع في الشرق أم في الغرب.

ويلتزم معجم المطبوعات الترتيب الهجائي الدقيق، ولكن بأسماء الشهرة للمؤلفين مع احتساب «ابن» و«أبو» في الترتيب، فابن حزم وأبو الفدا - مثلاً - يأتيان في حرف الهمزة وليس في حرف الحاء والفاء. وتحت كل مؤلف تذكر مؤلفاته مرتبة هجائيًا. وفي آخر الكتاب رتب الكتب التي لم يعلم مؤلفوها ترتيبًا هجائيًا بعناوينها.

واستكمالاً لهذا العمل فقد أصدر سركيس «جامع التصانيف الحديثة» في جزئين يغطي أولهما الفترة من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٦م ويغطي الثاني مطبوعات سنة ١٩٢٧م.

مفتاح السعادة (لطاشكبري زاده - ٩٦٨هـ/١٥٦١م):

تعتبر هذه الببليوجرافيا مصدرًا أصيلاً وانعكاسًا صادقًا وأمينًا للحياة الفكرية للمسلمين بعد الغزو المغولي.

وهي لاتتقيد بزمان ولا مكان ولا موضوع، وإنما تستوعب المؤلفات العربية في كل علم وفي كل عصر وفي كل بيئة من البيئات.

وقد وزع طاشكبري زاده مادة كتابه على طرفين يضمان سبع دوحات، تنقسم كل منها إلى عدد من الشعب، وكل شعبة تتفرع إلى علوم، وكل علم ينقسم إلى فروع وهكذا.

والببليوجرافيا بالإضافة إلى ذلك تترجم للمؤلفين، وتقيّم الكتب التي ترصدها.

(هـ)

هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (لإسماعيل البغدادي (١٣٤٠/ ١٩٢٠م):

وهو كشاف دقيق بأسماء المؤلفين الذين وردوا في «كشف الظنون» مع ذكر مصنفات كل منهم. وهو يتبع الترتيب الهجائي بأسماء المؤلفين، ثم ترتيب كتب المؤلف الواحد هجائيًا بعناوينها.

فيرتب بالاسم الأول بصرف النظر عن الكنى والألقاب، ثم يرتب المتفقين في اسم واحد ترتيبًا زمنيًا تصاعديًا حسب تواريخ الوفاة بغض النظر عن أسماء آبائهم أو أجدادهم. وتلك طريقة مجهدة للباحثين وقد حاول إسماعيل البغدادي أن يخفف من حدتها، فوضع ألقاب المؤلفين وأسماء شهرتهم على يمين الأسماء حتى لايضطر الباحث الذي لايعرف تاريخ وفاة المؤلف إلى قراءة أسماء المؤلفين الذين يشاركونه في اسمه الأول كافة، وإنما يكفيه أن يمر مرورًا سريعًا على هذه الألقاب حتى يعثر على المؤلف الذي يبحث عنه - ونضرب على ذلك مثالاً بالصولي واسمه أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله وتاريخ وفاته بصرف النظر عن اسم أبيه وبصرف النظر عن كنيته ولقبه الذي يتقدم اسمه و هكذا:

الصولي: محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس... أبو بكر الصولي، المتوفى سنة ٣٣٥هـ.

(*) يتكون لفظ الببليوجرافيا من كلمتين هما (Bib-lios) ومعناها «كتاب» و(Grapho) ومعناها «يكتب»، ولذا كان يطلق في اللغات الأوربية على فن نسخ الكتب، وظل يحمل هذا المعنى حتى تحول مدلوله في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من كتابة الكتب إلى الكتابة عن الكتب. وتنقسم الكتابات الببليوجرافية إلى قسمين رئيسين: هما الببليوجرافيا النسقية التي تحصي الإنتاج الفكري في موضوع ما، والببليوجرافيا التحليلية التي تهتم بالوصف المادي للكتاب من حيث ورقه وطباعته ونوع حروفه وعدد ملازمه وغير ذلك. والنمط الأول هو الأكثر شيوعًا وهو يطلق عادة على القوائم الببليوجرافية.

الإبداع والبحث

حمد الزيد

هل هناك فرق بين الإبداع والبحث؟ الإجابة بالطبع هي: نعم. ذلك لأن الإبداع ـ ولاسيما في الآداب والعلوم الإنسانية ـ يعتمد على الموهبة الفطرية أولا، فالشعر مثلا لا يمكن تعلّم كتابته في المدارس أو الجامعات، وكذلك القصة والرواية والموسيقى والرسم والنحت وغيرها من الفنون، ولكن الموهبة كالبذرة لابد أن تُسقى بماء الثقافة الواسعة والتمكن اللغوي أو العلمي لكي تنمو وتترعرع وتؤتي أكلها.

وقد احترت لأكثر من ربع قرن بين الاشتغال بالإبداع الأدبي أو الانصراف للبحث في تخصصي الجامعي في العلوم الاجتماعية.

وهذه المدة أكثر من كافية لحسم الموضوع. ولكنني كنت أتردد، وكان تحفظي الأساسي لخوفي من أن يطغى جانب البحث على موهبة الإبداع في الشعر والقصة التي حباني الله بهما، سيما وأن الكتابة الأدبية تعطي المرء تعويضا وجدانيا مُهمًا يجعله لا يغبط الباحثين، إلى جانب الشهرة الأدبية التي تلازمها.

فالمبدع ـ كما هو معروف ـ هو الذي يأتي بجديد في حدود موهبته، أما الباحث فيأتي بعده، ويقتات على جهده، وقد قيل مثلا: إن الناقد أديب فاشل. ولكن السؤال المهم الذي خطر ببالي وبال ممن هم مثلي هو: هل يمكن الجمع بين الإبداع الأدبي والبحث العلمي؟ والإجابة صعبة وسهلة في الوقت نفسه، فالإبداع لايمكن أن يموت في نفس المبدع، ولكن الصعوبة تكمن في طغيان البحث العلمي على روح المبدع، لأن الإبداع الأدبي بالذات ينبع من الوجدان، والبحث العلمي يتكئ على العقل.

من هنا تأتي المشكلة التي جابهتها كشاعر وكاتب أدبي قرابة ربع قرن مضى. وعندما اتخذت قراري بالدراسة العليا في حقل العلوم الاجتماعية، اخترت مثلا علم الاجتماع لأنه أقرب العلوم إلى الفلسفة، ولكنني وجدت صعوبة جديدة هي أن هناك فرقًا شاسعًا بين الكتابة الأدبية والبحث العلمي، حتى في تخصص نظري يعتبر من العلوم الإنسانية وليس من العلوم البحتة التي يخدم فيها الإبداع البحث وبالعكس.

وعندما قدمت بعض فصول أطروحتي للمشرف كنت فرحًا بجهدي. ولكن هذا الفرح لم يدم طويلاً، فقد نظر إليّ المشرف نظرة أبوية وقال لي: يا عزيزي، عندما تكتب بحثا يجب أن تنسى أنك شاعر أو كاتب قصة أو مؤلف كتب. إن البحث العلمي يختلف عن كل ذلك، وأعاد إلي خمسين صفحة لأعدلها حسب نظريات البحث العلمي وخطواته.

وبدأ اليأس يدب في عزيمتي. ولكنني قررت التحدي، ومضت عدة أشهر لكي أعدل المخطوطة بما يتفق مع رأي المشرف على البحث، وقلت لنفسي إن كتابة عشر قصائد ومثلها قصص أو تأليف كتاب في أدب الرحلات أو المذكرات أسهل من هذا العمل الشاق، وتذكرت أنني منذ المرحلة الابتدائية أحصل على علامة كاملة في درس الإنشاء. وشيء آخر أدركته متأخرا، فقد كنت أنادي بأن يبدأ الإنسان في البحث ـ أو الدراسات العليا ـ بعد الأربعين من العمر حين يكون قد نضج عقليا وبلغ أشده، وحين يكون قد كوّن خلفية ثقافية واسعة. ولكنني أدركت بأن رأيي وإن كان صائبا في بعضه فإنه خاطئ في بعضه الآخر، فبعد الأربعين ولاسيما في الخمسين من العمر يكون المرء أقل جلدا على البحث في المصادر وأقل حيوية في استنباط الآراء، وأوهن حماسا وجدًا في البحث. والله أعلم.

الوهم

للمؤلف: جورج شيفيلد

ترجمة:
محمد أبكر محمد يوسف

قال أوغسطس يوكوسْل مبتسماً، وهو على فراشه، للرجل الضخم الذي تسلل إلى غرفته أثناء نومه سرا: "أظن أنك أنت الطبيب، وإنه لطفٌ منك أن تحضر، ولكن يؤسفني أنك لن تستطيع مساعدتي. وعلى كلّ حال، ومادُمْتَ هنا، سوف أخبرك بإيجاز شديد عن علّتي. إنني فنان، أرسم الرسوم..."

"ولكن..."

"ستقول لي إن قصة حياتي لاتهمُّكَ" وضحك أوغسطس بأسى. "أنت واحد من الجمهور الذي لاروح فيه، ولايعنيك أن يلزم شابٌ موهوبٌ فراشه وهو في عنفوان شبابه، وعليه ألا ينهض أبداً. غير أني أعتقد أنَّ صديقا مزعوما قد تدخل وأرسلك إليّ لإنقاذي من القبر الموحِش. ولذا ينبغي لي أن أشرح طبيعة سُقمي. ولن تتمكن من فهم طبيعة مرضي مالم أروِ لك قصة حياتي..."

"ولكن..."

"لقد تربيت تربية ناعمة، واتضح منذ وقت مبكر أنني لم أكن صبيا عاديا. ففي السابعة من عمري فُزتُ بجائزة عندما رسمت حيواناً.

ستتغاضى عن حقيقة أنني كنت قد قصدت برسمي أن أصور الغروب فوق مدينة لندن.

بعدئذ أحضر لي والداي الفخوران عدداً كبيراً من الأقلام والورق، وأتاحا لي فرصة في الدراسة تحت إشراف رسامين عظماء.

حينما بلغت الحادية والعشرين بدأت العمل رساما للناس، فرسمت إحدى عشرة صورة لوجهي. بدا أنه ليس من أحد يريدها، ولو دخلت غرفة جلوسي لرأيتها معلقة بكآبة على الجدار، ملقية بنظراتها إلى أسفل حيث الكرسي الخالي الذي لن أجلس عليه ثانية البتة. وذلك لثقتي من أنني لن أنهض من هذا السرير أبداً..."

"ولكن..."

"لم يأت أحد من أجل أن أرسم له رسوماً، ولم يطاوعني قلبي لأرسم أيّ رسم لنفسي.

وبالرغم من أن الأمر قد يبدو مستحيلا إلا أنني بالفعل بتُّ لأشعر بسعادة حقيقية من الرسم بعد أن أكملت الصورة الحادية عشرة. وهذا يثبت أن الشخص قد يسأم حتى من أجمل الأشياء في الوجود..."

"ولكن..."

"هل تسمح لي أن أذكر أنَّ هناك تشابهاً ثابتاً في عباراتك؟ دعني أُكْمل وبعدها يمكنك أن تكرر قول "لكن" كما يحلو لك.

تحولت من رسم الأشخاص إلى رسم الرِّيف. فرسمت المشهد الذي تُطل عليه النافذة الخلفية تسع مرات، ثم رسمت المشهد الذي تطل عليه النافذة الأمامية سبع مرات، لكن هل استطعت أن أبيع الرسوم السبع للمشهد من النافذة الأمامية أو الرسوم التسع للمشهد من النافذة الخلفية؟ كلا، لم أستطع. بقيت لديّ نقود قليلة، فقررت بعد صراع مريع مع نفسي أن أتناسى روحي وأرسم لكسب المال.

وعزمت على رسم رسوم هزلية للصُّحُف. تذكر أنني كنت بلا أمل، وأتضوّر جوعاً، فأرجو ألا تفكر فيّ بطريقة قاسية..."

"ولكن..."

"أعرف ماتريد قوله ـ لو كان فيّ روح فنّان حقيقي لمت بدلا من فعل مافعلت. ولكن تذكّر أن زوجتي وأطفالي كانوا يكون جوعاً ـ أو ربما كانوا سيكون من الجوع لو كان لديّ زوجة وأطفال. وهل كان الخطأ خطئي ألا يكون عندي زوجة ولا أطفال صغار؟ وهكذا كنت أرسم ثلاثين أو أربعين رسمة هزلية كلّ يوم وأبعثها إلى الجرائد. وبعد قليل من الوقت أدركت أنّه ليس من السهل أن يبيع أحدٌ نفسه من أجل نقود ـ كما كان يبدو ـ صدق أو لاتصدق، لم أتحصل على أي نقود، فقد ردت إليّ رسومي..."

"ولكن..."

"لك الحق إنْ سألت عن سبب إعادتها إليّ، لأملك القدرة على إخبارك بذلك السبب. لقد اختبرتها بعرضها على القط. لكثرة ماسمعت العبارة "مضحك بما يكفي لجعل القط يضحك". وهكذا وضعتها في صف، وحملت القطّ على طول الصف. لقد ضحك حتى مَرِض... على كلٍّ لقد أصبح مريضاً.

ثم انحدرت أكثر فأكثر. فحاولت أن أرسم للإعلانات: للثياب، والبيانوهات، والقناني. سيدات مبالغ في أطوالهن، وعلى شفاههن بَسَمات بلهاء. فلما بلغت الرسوم مائة بعثتها، وكل مااستلمت هو: عينة أو عينتين من القناني وعينة واحدة من بطاقات الصوف. في الواقع، توقعت أنْ أتسلم عينة من السيدات الطويلات ذوات الابتسامات البلهاء، ولكن ربما ضاعت في البريد..."

"ولكن..."

"وهكذا توقفت عن الكفاح. لقد انكسر قلبي، وأخذت على نفسي أن ألزم فراشي، وعقدت العزم على عدم النهوض منه أبداً. لن تستطيع أن تساعدني أيها الطبيب، ولن تتمكن مهارتك من تقديم العون لي. فأنا على يقين تامٌ من عدم مقدرتي على النهوض من هذا الفراش..."

قال الغريب: "وأنا على يقين تام من أنه لديك المقدرة" وقام بوضع أوغسطس يوكوسل على البساط بحذر، ثم قال: "ذلك لأنني قد حضرت من محل الأثاث لأخذ هذا الفراش لعدم دفع ثمنه".

مؤتمر التربية الدينية الإسلامية في التعليم العام

الثقافة والإعلام في الملتقى الفكري لدول الخليج

صدور أول مجلة إسلامية في روسيا

مؤتمر عالمي عن الإلكترونيات في القاهرة

السعودية

هل هي قرية الرمادة؟

اكتشف في موقع الثويلية بمدينة عنيزة مايعتقد أنه يمثل قرية الرمادة المهجورة التي كانت تتوسط الطريق بين مكة المكرمة والبصرة قديمًا، وتعد من استراحات الحجاج آنذاك.

عثر في الموقع على أشكال مختلفة من كسر الفخار والزجاج، وآثار لجدران مبان طينية، وتل أثري كبير أطواله ١٠×١٠ أمتار

وفاة إبراهيم فودة

فقدت الحركة الأدبية والثقافية السعودية أحد روادها بوفاة الأديب والشاعر إبراهيم أمين فودة عن عمر يناهز ٧٢عامًا.



إبراهيم فودة

وُلد الراحل في مكة المكرمة عام ١٣٤٢هـ في بيت علم وثقافة، حيث كان والده أمين فودة عالمًا جليلاً وشاعرًا وأديبًا واسع الاطلاع، مما كان له أكبر الأثر في اتجاه ابنه، الذي تخرج في مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٦١هـ، حيث شغل بعد تخرجه مناصب مختلفة في التعليم والمالية والإذاعة، كان آخرها عمله ممثلاً ماليًا لدى مجلس الوزراء ومجلس الشورى ووزارة الخارجية.

كما ترأس نادي مكة الأدبي لثلاث دورات، ثم قدم استقالته ليتيح المجال لغيره، كما كان أول رئيس لنادي الوحدة الرياضي في مكة المكرمة، والأمين العام للجنة إصلاح مدارس الفلاح، وشارك بمقالاته وإبداعاته في الصحف والمجلات السعودية لمدة تزيد على نصف قرن، إضافة إلى المقابلات والحوارات الإذاعية والتلفازية التي أجريت معه.

وقد بدأ فودة الكتابة ونظم الشعر وهو ابن السابعة عشرة وأثرى المكتبة العربية بمؤلفات عدة هي: في مجال الشعر دواوين: «صور وتجارب»، و«حياة قلب»، و«تسبيح وصلاة»، و«مطلع الفجر»، و«بقايا وأغوار»، وفي مجال النثر: «الشاعرالمحسن»، و«الرياضة والهدف»، و«حديث إلى المعلمين»، و«المهمة الصعبة».

المعرض الجماعي الأول للفنانات التشكيليات

نظم بيت الفنانين التشكيليين في جدة - مؤخرًا - المعرض الجماعي الأول للفنانات التشكيليات الموهوبات، بمشاركة خمس عشرة فنانة جديدة على الساحة الفنية معظمهن يقدمن أعمالهن للمرة الأولى.

المشاركات هن: عبير رشوان، سارة رشاد، كاميليا مندورة، أميرة آشي، أمل القحطاني، سلمى أحمد، فدوى الحامد، ابتهاج إدريس، خديجة المرشد، لبنى بلبل، سلمى غوث، هنادي توفيق، ابتسام المبارك، حصة أحمد، نهال منشي، أمل بن سفير، وأمل فدا.

الفائزون في المسابقة الثقافية بالمدينة المنورة

أعلنت جمعية الثقافة والفنون في المدينة المنورة أسماء الفائزين في مسابقتها الثقافية التي نظمتها للمواهب الشابة في مجالات: الشعر والبحث التاريخي والأدبي.

حجبت الجائزتان الأولى والثانية في

مجال الشعر، ونال أحمد حميد رجاء الله الجائزة الثالثة، وفاز بالجائزة الأولى في مجال البحث محمد سلامة عبد الواحد، تلاه عبد العزيز حمد صالح العمرو، ثم صلاح محمد أحمد.

معرض دولي للكتاب

أقيم في مدينة جدة ـ للمرة الأولى ـ معرض للكتاب خلال الفترة من ٣٠ ربيع الآخر إلى ٥ جمادى الأولى المنصرم بمشاركة عدد من دور النشر العالمية والعربية والمحلية.

وقامت الشركة السعودية للمعارض المنظمة للمعرض بتوزيع دليل شامل خاص بالعارضين والمعروضات مجانًا على زوار المعرض والهيئات الدبلوماسية.

كتب جديدة

«إدارة نظم الحركة في الحج» تأليف عدنان عبد البديع اليافي، صدر عن مكتبة عالم المعرفة في جدة.

«سعد أبو معطي: المربي والشاعر» أشرف على إخراجه عبدالكريم محمد الأسعد، ونشره إبراهيم بن سعد الماجد، وصدر عن دار المعراج الدولية للنشر.

«إرشاد الناسك إلى أحكام المناسك» تأليف أبي محمد إسماعيل بن مرشود الرميح، صدر عن دار طويق للنشر والتوزيع.

«مراجعات في فقه الواقع السياسي» إعداد وحوار د. عبدالله الرفاعي، (مجموعة آراء في قضايا مختلفة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وفضيلة الشيخ صالح الفوزان ، وفضيلة الشيخ صالح السدلان).

«المعارضات الشعرية.. دراسة تاريخية نقدية» تأليف د. عبد الرحمن إسماعيل السماعيل، صدر عن النادي الأدبي الثقافي في جدة.

«الحرمان الشريفان: قمة العمارة الإسلامية المعاصرة (مجلد وثائقي بالصور والخرائط) إعداد منصور حسين عبد الغفور عطار، صدر عن دار الخشرمي للنشر والتوزيع بجدة.

الإمارات

ندوة حول كتابات الرحالة عن منطقة الخليج

ينظم مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي ندوة نقدية دولية حول «كتابات الرحالة والمبعوثين إلى منطقة الخليج العربي على مر العصور»، يشارك فيها عدد من الباحثين والمتخصصين العرب والأجانب في شهر إبريل ١٩٩٥م.

تتناول الندوة بالعرض والتحليل والنقد عدة محاور تتعلق بالرحالة منذ بداية الكشوف الجغرافية إلى النصف الأول من القرن العشرين، والنواحي التي عالجتها كتاباتهم في الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والآثار والنتائج التي ترتبت على واقع المنطقة الحالي بعد رحلات الأجانب إليها، والآفاق المستقبلية المتوقعة.

يقام على هامش الندوة معرض يضم نوادر الشرائط والكتب والصور واللوحات المتعلقة بموضوعها ومحاورها.

البينالي التشكيلي الثالث لفناني الخليج

يقام في الشارقة البينالي الثالث للفنون التشكيلية في دول مجلس التعاون الخليجي خلال الفترة من ١١ ـ ١٦ جمادى الآخرة الجاري (١٤-١٩ نوفمبر ١٩٩٤م).

ينتظر أن يضم البينالي مائة وعشرين عملاً فنيًا، موزعة بواقع عشرين عملاً لكل دولة من دول المجلس، ويتم خلاله تكريم فنان رائد من كل دولة، كما تقام على هامشه ثلاث ندوات حول: تطور الفن التشكيلي العربي، ومدارس الفنون التشكيلية العالمية، وأثر وسائل الاتصال في تطور الفن التشكيلي.

والمعروف أن البينالي يقام كل عامين، وتستضيفه في كل دورة إحدى دول المجلس.

مجلة للأطفال

صدرت مجلة جديدة للأطفال باللغة العربية تحت مسمى «ميكي» تضم قصصًا مصورة لشخصيات والت ديزني الشهيرة مثل الفأر «ميكي» ورفيقته الفأرة «ميني» والبطة «دونالد دك» وغيرها، بعد تطبيعها بالقيم العربية والإسلامية.

بدأ توزيع المجلة في دول مجلس التعاون الخليجي كمرحلة أولى للدخول إلى الأسواق العربية الأخرى، وترأس تحريرها نجوى عبدالرحمن.

كتب جديدة

«أمثال وأمثال لكل الأجيال»، جمع وتحقيق خميس إسماعيل، صدر عن مطابع البيان التجارية في دبي.

البحرين

بيليوجرافيا عن البحرين بالإنجليزية

يعكف مدير إدارة المكتبات العامة بوزارة التربية والتعليم منصور سرحان على وضع اللمسات الأخيرة لأول بيليوجرافيا وطنية عن

البحرين باللغة الإنجليزية.

يضم الفهرس كل ماكتب عن البحرين باللغة الإنجليزية سواء في الكتب أو المجلات أو الصحف أو النشرات أو الرسائل والبحوث الجامعية والعلمية، وصنفه معده موضوعيًا وفقًا لنظام ديوي العشري، وأضاف إليه نبذة خاصة عن البحرين تاريخيًا واقتصاديًا وتربويًا، إلى جانب قسم يتناول تطور إنشاء المكتبات العامة فيها.

سلطنة عمان

عمان في التاريخ

شارك ٨٩ باحثًا ومؤرخًا من مختلف البلدان العربية والإسلامية في ندوة «عمان في التاريخ» التي نظمتها في مسقط وزارة الإعلام في شهر ربيع الآخر الماضي في إطار احتفالات عام التراث العماني.

ناقشت الندوة على مدار أربعة أيام خمسين بحثًا، هدفت إلى إحياء تراث المنطقة وتاريخها، وإبراز دوره وتأثيره في الحضارات الإنسانية القديمة والمعاصرة، انطلاقا من قناعة بأن الوعي بالتاريخ القديم لايقل أهمية عن الوعي بالحاضر ومعطياته.

كتب جديدة

«الخليل وكتاب العين» تأليف د.هادي حسن حمودي، صدر عن مكتب المستشار الخاص لسلطان عمان للشؤون الدينية والتاريخية.

الكويت

الملتقى الفكري لدول مجلس التعاون

يستضيف المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب «الملتقى الفكري الثاني لدول مجلس التعاون الخليجي» خلال الفترة من ٩ إلى ١١ رجب ١٤١٥هـ (١١ - ١٣ديسمبر ١٩٩٤م).

يستمر الملتقى يومين، ويناقش محورين رئيسيين، الأول «المحتوى الثقافي لوسائل الإعلام بدول مجلس التعاون»، والثاني «الثقافة والإعلام: رؤية مستقبلية»، ويشارك في المناقشات نحو عشرين مثقفًا ومبدعًا خليجيًا وعربيًا، منهم د.تركي الحمد، ومشعل السديري، ومحمد الرميحي، وفيصل الزامل، ود.محمد جابر الأنصاري، وحمدي قنديل، و د.المنصف الشنوفي.



محمد الرميحي

كتب جديدة

«مدخل قانوني ووثائقي لدراسة جرائم حرب النظام العراقي في دولة الكويت»، جمع وإعداد وتصنيف وتقديم سامي محمد خالد الفرج، د. محمد عبد الله عيسى الأنصاري، صدر عن مركز توثيق جرائم الحرب العراقية في الكويت.

«عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة» تأليف جان ماري بيلت، ترجمة السيد محمد عثمان.

«الاتجاه القومي في الرواية» تأليف مصطفى عبد الغنى.

صدر الكتابان السابقان عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

قطر

دعوة للحفاظ على التراث المعماري الخليجي

استضافت الدوحة ندوة «الحفاظ على التراث العمراني الخليجي المميز» في أواخر شهر ربيع الآخر الماضي، وهدفت الندوة إلى التوعية بأهمية الحفاظ على الأصالة في المجال العمراني، وعدم الافتتان بعمارة الآخرين من خلال التقليد الأعمى الذي أفرز خليطًا غير متجانس من العمارة لاينسجم مع تراثنا، ولايتناسب مع الظروف المناخية والاجتماعية. واكب الندوة افتتاح معرض للتراث العمراني شاركت فيه ١٣ شركة ومكتبًا استشاريًا، فضلاً عن أجنحة لبلديات دول مجلس التعاون، وجناح لمركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون، وجناح لمؤسسة جائزة منظمة المدن العربية، إلى جانب مكتبة خاصة عرضت فيها الكتب التي تناولت العمارة الخليجية وتراثها.

كتب جديدة

«فقه تغيير المنكر» تأليف د.محمد توفيق محمد سعد.

«أسباب ورود الحديث: تحليل وتأسيس» تأليف د.محمد رفعت سعيد.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «كتاب الأمة» عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

اليمن

جامعة إسلامية

وضع الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في الأسبوع الأخير من شهر ربيع الآخر الماضي حجر الأساس لمشروع «جامعة الإيمان» الإسلامية في صنعاء، التي تعتبر من الجامعات المتخصصة وتهدف إلى تخريج العلماء والمجتهدين في فروع العلوم الإسلامية المختلفة.

وقد تبرع الرئيس اليمني عقب وضع حجر الأساس بسبعة ملايين ريال يمني للمشروع.

مصر

مؤتمر عالمي مصري عن ابن رشد والتنوير

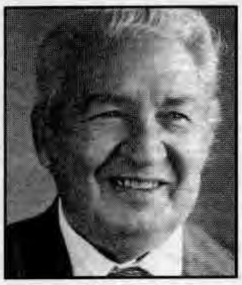
تنظم الجمعية الفلسفية الأفرواسيوية مؤتمرًا دوليًا هو الأول من نوعه عن «الفيلسوف المسلم ابن رشد والتنوير» بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاته خلال الفترة من ٣ ـ ٦ رجب المقبل (٥ ـ ٨ ديسمبر ١٩٩٤م) برئاسة د. مراد وهبة أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس والرئيس الشرفي للجمعية.

يناقش المؤتمر عدة محاور من أبرزها: ابن رشد ورجل الشارع، ابن رشد والفكر الأوربي، ابن رشد كحركة وصل بين الإسلام والغرب، مفهوم العقلانية وابن رشد، إشكالية التأويل في فلسفة ابن رشد، التأويل بين فلسفة ابن رشد وابن تيمية، الأصولية والتنوير اليوم في الهند وباكستان وتركيا، وإشكالية اللغة في فلسفة ابن رشد، كما ستقدم أوراق أخرى حول مؤيدي التنوير ومعارضيه.

ومن المتوقع أن تقوم الهيئة المصرية للكتاب بتحقيق كتب ابن رشد وطباعتها، وعمل الدراسات اللازمة حوله، كما سوف تقوم وزارة الثقافة بعمل أشرطة سينمائية تسجيلية عنه.

جدل حول رواية «أنا حرة» لعبد القدوس

يدور في الساحة الثقافية المصرية حاليًا جدل حول إذا ما كان يمكن للناشر تغيير شيء في العمل الإبداعي بغير موافقة مؤلفه.



إحسان عبد القدوس

أثير الجدل بمناسبة اكتشاف تغيير في نهاية رواية الكاتب الراحل إحسان عبد القدوس «أنا حرة» بمعرفة ناشر الرواية «مكتبة مصر» حيث اعترف د. صلاح جودة السحار مدير دار مكتبة مصر أن عمه الحاج سعيد جودة السحار قام بتكليف أحد مشايخ الأزهر بتنقيح الرواية وتهذيبها قبل أن يدخل بنفسه تعديلات عليها.

واستنكر الصحافي محمد عبد القدوس نجل الكاتب الراحل ما قام به السحار من تغيير في الرواية، وأضاف محمد عبد القدوس الذي ينتمي إلى التيار الإسلامي أنه بالرغم من اختلافه مع والده فكريًا إلا أنه يرفض أي تغيير في مؤلفات والده، ويعتبر ذلك تزويرًا لفكره، ويفضل أن يمنع نشر كتب والده على تغييرها، موضحًا أن إحسان عبد القدوس كان يعلم أن الرواية ستجعله يقع في متاعب وذكر ذلك في مقدمة طبعتها الأولى قبل أربعين عامًا، حيث قال إنه كان بإمكانه تجنب المتاعب بتعديل طفيف، لكنه فضل أن تبقى «أنا حرة» حرة في اختيار نهايتها.

الندوة الموازية لبينالي القاهرة الخامس

يقيم بينالي القاهرة الخامس ندوته الموازية تحت عنوان «التحول وتحول التحول في الفن الحديث» برئاسة الفنان المصري أحمد فؤاد سليم في الخامس عشر من شهر رجب ١٤١٥هـ (١٧ ديسمبر ١٩٩٤م) ولمدة أربعة أيام.

تناقش الندوة عدة محاور تحت عنوان «المتغير والثابت بين زمن اللوحة فيما بعد الطليعة وبين المجسم والحسي والحركي والصوتي»، حيث يطرح في يومها الأول موضوع «الطليعة وما بعد الطليعة.. مداخلة تقديم»، إضافة إلى محاضرتين أولاهما عن «اللوحة التصويرية ومتواليات القيمة بين مناطق التسويق وتاجر اللوحات وجامعها والمتعهد وقاعة العرض» والثانية عن «التقابل التراتبي لحركة الصورة وتحولاتها في المفهوم الجمالي بين مجتمع يغالب اللحاق بالزمن».

تناقش الندوة في يومها الثاني موضوع «السنوات الثلاثين الأخيرة وعلاماتها: الطليعة، الحسي والحركي، الصوتي، ما بعد الطليعة» وترافقها محاضرتان: الأولى «المسافة بين الفن التجميعي والبيئي والحدث من مارسيل روشامب وإلى آلان كابرو» والأخرى «المسافة في مفهوم البور فورمانس بين جون كيج وجوزيف بويز في الصوت الموسيقي وعلامات الرسم».

وفي اليوم الثالث تبحث الندوة موضوع «اللوحة ذات البعدين وتحديات التجسيم بين الفن والصناعة»، و«اللوحة ذات البعدين في مجتمعات العالم الثالث بين التغريب والهوية العالمية». وتقام محاضرتان عن «المسافة بين النتاج النقدي للفن في الستينيات

الحركة الثقافية في شهر

والثمـانينيات.. حـدود الجمـاليـة وآفاق العلمية»، «البور فـورمانس والحركي والصوتي في مـصر وعند فناني جنوب البحر المتوسط بين التنـميط والتعـميم والبـحث عن هوية عالمية».

ويناقش في اليوم الرابع موضـوع القـرب والبعد والتوحد والتناقض بين الفن والحرفة في أعمـال فناني مابعد الطليـعة، والثابت والمتغير في لوحات فناني ما بعد الطليـعة، أهو احتياج مجتمع؟ أم احتيـاج لمفهوم الجـميل؟ أو طرح مـعرفـي؟، ومـاهيـات الربط بين بـعض فناني أوربا في هذا المجـال وبين الدعوة للتـمرد على التـقني وبين تغيـر مـفـهـوم الصـفـوة، ويرافق مناقشة الموضوع محاضرتان الأولى عن «التأثر والتـأثير في توجـهات حـركة الفن في العـالم الثـالث (بيـوجرافيـا اللوحة)» والثـانيـة: «هل تغريب المدينة تغريب للفن؟».

والمعروف أن البينالي سيـقام لمدة شـهرين من ١٣رجـب إلى ١٣شـــوال ١٤١٥هــ، ويقدم للفائزيـن عدة جوائز تأتي في مقدمـتها جـائزة النيل الكبرى وقيـمتهـا عشـرون ألف جنيه، إضافة إلى ٥جوائز قيمة كل منها عشرة آلاف جنيه في فـروع البينالي الخمـسة: نحت وتصـوير وجـرافيـك ورسم ومـجسـمـات، وخمْس جوائز تحكيـم قيمة كل منها خـمسة آلاف جنيـه، وثلاث جـوائز لـلشبـاب بواقع ثلاثة آلاف جنيـه للأول، وألفي جنيه للثـاني، وألفي جنيه للثالث.

مؤتمر يبحث تطوير التربية الدينية الإسلامية

تستضيف القاهرة مؤتمرًا دوليًا حول تطوير التربيـة الإسلاميـة في مراحل التعـليم العام في الوطن العـربي خلال شهـر ذي القعـدة المقبل (أبريل ١٩٩٥م).

يهـدف المؤتمر إلى دراســة واقع التربيــة الدينيــة الإســلاميــة مـن حـيث الأهداف والمضـــمــون وطرق التـــدريس، وصـــولاً إلى تشـخـيص هذا الواقع بـإيجـابيـاته وسلبيـاته، وطرح مايراه المشاركـون من تصورات جديدة تســـهم في الارتقــاء بالمنـهج، بما يمكنه من مواجهة التحديات المعاصرة.

ويناقش المؤتمر خـمـسـة محـاور يدور أولهـا حـول تحليل مفـاهيم التـربية الإسـلامية الدينية والخلقية والعلوم الشرعية والوطنية، ويعالج الثاني مـحتـوى مناهج التـربيـة الإسلاميـة ودورها في تحـقيق الأهداف، ويبـحث الثـالث طرق التربيـة الدينية الإسلامـية وأساليبهـا، ويقوّم الرابع مناهج هذه التربية، ويتعرض المحور الخامس لطرق إعداد معلم التربية الدينية الإسلامية.

تنظم المؤتمر جـامعـة الأزهر بالتـعـاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

مؤتمر عالمي عن الإلكترونيات

تسـتـضـيف القــاهرة مـؤتمرًا علـميًا عن الإلكتـرونيـات والدوائر الكـهـربائيـة والنظم خلال الفترة من ١٧ إلى ٢٠ رجب ١٤١٥هـ (١٩-٢٢ ديسـمـبـر ١٩٩٤م) يناقش عـشـرة

محـاضرات ونـدوات

«المعاملات المصرفية وبيان أحكامهـا» عنوان ندوة أقامها في جامع الأمير تركي ابن عبد الله (الجامع الكبير) في الرياض مركـز الدعوة والإرشاد، وشارك فـيها كل من: د. أحمد علي الغامدي، د. حمد بن عـبد الرحمن الجنيدل، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

«الحرب العـالميـة» عنوان ندوة نظمهـا على مدى أسـبوع مـركز الدراسـات بالأكاديمية البحرية العسكرية في نيويورك، شارك فيها عدد من المختصين.

«الاتجاهات الحديثـة في الفنون التشكيلية» مـوضوع ندوة أقامها أتيليه القاهرة، وشارك فيها كل من: كمال الجويلي، مختار العطار، وراغب اسكندر.

«موكب الخاسريـن» عنوان محاضرة ألقاها في مسـجد السوق بالمظيلف في منطقة الطائف، الشيخ ناصر مسفر الزهراني.

«في غياب العقل الاستراتيجي العـربي.. ما العمل؟» عنوان محاضرة ألقاها في منتدى شومان الثقافي بعمان في الأردن د. محمود عبد الفضيل.

«تربية الأبناء» عنوان محاضرة ألقاها في جامع مدينة موفق الثاني في منطقة حائل الشيخ سليمان عامر العامر.

نظم المركز المصري للتعاون الثقافي الدولي بالزمالك ندوة حـول أعمال الفنان التشكيلي محمد حسن الشربيني، شارك فيها: كمال الجويلي، وسيد القماش.

أقام المجمع الثـقافي في أبو ظبي أمسيـة للشاعر عبد الوهاب البـياتي، تحدث خلالهـا عن علاقتـه بالنقاد، وواقع الثقـافة والمثـقف العربي المعاصـر، وقرأ بعض قصائده.

«أهمية الدعوة إلى الله وحـاجة الناس إليها» عنوان محاضرة ألقـاها في مسجد فقيه بحي العزيزية في مكة المكرمة الشيخ عبدالرحمن عبدالله الفريان.

«المواد البترولية ومخاطرها، وأصول سلامة نقلهـا وتخزينها، وكيفية التعامل

موضوعات رئيسة تدور حول الإلكترونيات، والطاقة العالمية، وتحويل الطاقة، والدوائر الكهربائية، ونظرية موجات الميكروويف وتطبيقاتها، والنظم ونظرية التحكم وتطبيقاتها، والحاسبات الآلية، والخلايا الكهروضوئية وتطبيقاتها، والمعلوماتية والاتصالات، والدوائر المتكاملة عالية الكثافة ومكونات الدوائر الشريطية الدقيقة.

ينظم المؤتمر معهد بحوث الإلكترونيات بالقاهرة بالاشتراك مع جامعة أوهايو الأمريكية، ويشارك في أعماله علماء وأكاديميون مصريون وأجانب.

مركز للدراسات اللغوية والأدبية بجامعة القاهرة

تقرر إنشاء مركز للدراسات اللغوية والأدبية المقارنة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، يختص بإجراء البحوث وتعميق قنوات البحث بين أقسام اللغات المختلفة (القديمة والجديدة والشرقية والغربية)، وتنظيم ندوات ومؤتمرات علمية متخصصة، وتنفيذ الاتفاقات المبرمة بين الجامعة والمؤسسات العلمية المشابهة في أنحاء العالم، وتنظيم دورات تدريبية للباحثين في مجال الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة، وتبادل المعلومات حولها. وسوف تصدر عن المركز دورية أو دوريات متخصصة في الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة.

الملتقى العلمي الأول للمسرح

يقام في القاهرة «الملتقى العلمي الأول للمسرح» خلال الفترة من ١٣ إلى ٢٠رجب ١٤١٥هـ (١٥- ٢٢ديسمبر ١٩٩٤م)، وسيكون التراث الشعبي العربي هو الموضوع الأساس للملتقى الذي تقام على هامشه حلقة دراسية بعنوان «إشكالية مسرح التراث».

يهدف الملتقى إلى التأكيد على التراث والهوية الثقافية العربية في المسرح في عملية تفاعلها مع المسرح العالمي.

الرسالة الجديدة

أصدرت مجموعة من الصحافيين والكتاب صحيفة أسبوعية مستقلة جديدة تحمل اسم «الرسالة الجديدة». يرأس تحريرها الصحافيان علي منير وفهمي حسين.

كتب جديدة

«أنا وبارونات الصحافة» تأليف جميل عارف، صدر عن الدار العربية للطباعة والنشر في القاهرة.

«نبوية موسى ودورها في الحياة السياسية المصرية ١٨٨٦ - ١٩٥١م» تأليف محمد أبو الأسعاد، صدر ضمن سلسلة «تاريخ المصريين» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

«انكسار الروح» رواية لمحمد المنسي قنديل، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال» عن مؤسسة دار الهلال.

«معضلة الاقتصاد المصري» تأليف جلال أحمد أمين، صدر عن دار مصر العربية للنشر.

«الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر» تأليف د.محمد سيد محمد، صدر عن دار الفكر العربي.

«الأعمال الشعرية الكاملة للشاعرة الفنلندية أديث سودر جران، ترجمها إلى العربية محمد عفيفي مطر، ومحمد عيد إبراهيم، وصدرت عن دار شرقيات.

مع حوادثها» موضوع محاضرة نظمتها إدارة الدفاع المدني في أبها، وألقاها في منتزه أبو خيال، النقيب عبدالله على معدي

«قيس وليلى في الأدب الفارسي» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن، جعفر رائد.

«ألبوم بيروت» عنوان أمسية أقيمت في جاليري الكوفة في لندن، قدم خلالها الكاتب اللبناني حسن داود نصوصًا كتبها في مناسبات مختلفة.

«طبيعة الصراع مع العدو الصهيوني وآفاقه» عنوان ندوة نظمها اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق، شارك فيها: د. علي عقلة عرسان، أنطون مقدسي، د. غازي حسين، أحمد عبد الكريم، د. أمين أسبر، د. عبدالله أبو هيف، هشام الدجاني، د. عصام العسلي، محمد القباني، هاني مندس، فيليب أبو فاضل، أنطوان غريب، وأنطوان ضو.

«عبقريات نسائية» عنوان محاضرة نظمها المركز الثقافي العربي بأبي رمانة في سورية بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق، وألقاها عيسى فتوح.

«حالات مرضى الكاكوشي» عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الحمادي في الرياض د. سريع الدوسري.

«المناعة الذاتية.. توصيف جديد لها» عنوان محاضرة ألقاها في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض د. عبدالله عبدالقادر المبيض.

«هل سرطان المعدة والمصران الليمفاوي مرض جرثومي؟» عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت البروفسور فيليب سالم.

«جبل موسى: جغرافيا وتاريخيًا» عنوان محاضرة ألقاها في جمعية الترقي الثقافي بسورية نديم شمسين.

«النظام العالمي الجديد» موضوع محاضرة ألقاها في أبو رمانة بسورية د. رزق الله هيلان.

«حمد الجاسر: علامة وعلامة» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. عبدالله مناع، وقدم لها د. طلال بكري.

الحركة الثقافية في شهر

«الإدارة عبر الحدود» تأليف كريستوفر ا.بارتلت، وسومنرا جوشال، ترجمة سعاد الطنبولي، صدر عن الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

«السياسة المصرية وعدم الانحياز في مفترق الطرق» تأليف د.محمد نعمان جلال، صدر عن مركز البحوث والدراسات بجامعة القاهرة.

«نظرات في تاريخ مصر» و «مصر في نافذة التاريخ» كتابان من تأليف جمال بدوي، صدرا عن دار الشروق.

«كتاب الأسرار» مجموعة قصصية لسلوى نعيمي.

«يارا ـ طقس الدم» رواية قصيرة لإبراهيم الحريري.

صدر الكتابان السابقان عن دار الثقافة الجديدة.

«دراسات في الشعر العربي» مجموعة مقالات نقدية للشاعر والأديب الراحل عبدالرحمن شكري، جمعها وأعدها للنشر وقدم لها د.شوقي ضيف، وصدرت عن الدار المصرية اللبنانية.

السودان

بحث الغزو الثقافي والتنمية الثقافية

ناقشت ندوة «دور التعدد والتنوع الثقافي في إثراء الثقافة القومية» التي نظمتها ـ مؤخراً ـ الهيئة القومية للثقافة والفنون عشرة بحوث وأوراق تعالج موضوعات ثقافية متنوعة.

يأتي الغزو الثقافي والأمن الثقافي في مقدمة الموضوعات التي بحثت حيث أكد المشاركون على أن الأمان من الغزو الثقافي لا يتحقق إلا باتباع أسلوبين، أولهما الرجوع إلى الأصيل من الثقافة العربية، وثانيهما حماية هذا الإرث الثقافي، كما ناقش المشاركون التنمية الثقافية وقضاياها، وأساليب الارتقاء بالعمل الثقافي وتطويره، ودور الإبداع في إثراء الحياة السودانية، والثقافة السودانية في ظل النظام العالمي الجديد.



د. عون الشريف قاسم

شارك في الندوة مجموعة من الأكاديميين والمفكرين من أبرزهم د. مدثر عبدالرحيم، و د.عون الشريف قاسم.

من أحدث الكتب

«تاجوج» مسرحية، «النمل» مجموعة قصصية، تأليف مبارك أزرق، صدر الكتابان عن دار جامعة الخرطوم للنشر.

الأردن

دعوة إلى تكامل إنتاجي ثقافي عربي

دعت ندوة «الثقافة باعتبارها عملية إنسانية» في ختام اجتماعاتها في عمان المؤسسات والهيئات الاقتصادية والمالية العربية إلى تخصيص جزء من أرباحها أو عائداتها لدعم الإنتاج الثقافي العربي بمختلف أشكاله، وإنشاء دار نشر وتوزيع قومية تعنى بنشر الأعمال المرجعية الكبرى وتوزيعها في الأقطار العربية.

وطالبت الندوة بوضع خطة قومية لنقل أهم الأعمال والآثار العربية إلى اللغات الأجنبية، وإقامة حوارات مع الثقافات الأخرى مع إبداء أولوية للحوار مع البلدان الإسلامية، والتعامل مع الثقافات الأخرى على أساس من الندية والتكافؤ ينأى بأي شكل من الأشكال عن هيمنة ثقافة الآخرين.

ودعت الندوة إلى تشجيع اللقاءات الثقافية بين المثقفين العرب، وتحقيق التعاون العربي في مجال صيانة التراث الحضاري، وبذل الجهود لتوطين الفكر العلمي في وعاء اللغة العربية والعقل العربي وتذليل العقبات التشريعية التي تحول دون سهولة انتقال الإنتاج الثقافي بين البلدان العربية وتوصيات أخرى.

وكانت الندوة التي نظمتها المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم وشارك فيها باحثون من مختلف أنحاء العالم العربي، قد استمرت أربعة أيام، ناقشت خلالها ثلاثة محاور هي: التعاون الثقافي العربي، والتكامل الثقافي العربي، والحوار الثقافي.

جائزة عربية علمية باسم الملك عبد الله

أعلن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في عمّان عن إنشاء جائزة باسم «جائزة الملك عبدالله بن الحسين» بالاشتراك مع جامعة درَمْ البريطانية، تهدف إلى تشجيع الإبداع والتميز لمواطني الدول العربية في ثلاثة ميادين هي: العلوم الإنسانية والاجتماعية، والفنون، والتكنولوجيا والعلوم التطبيقية.

وتقدم الجائزة كل عامين للفائز في أحد الميادين الثلاثة على الأقل وتبلغ قيمتها عشرين

ألف دولار، وتقرر أن تكون جائزة عام ١٩٩٥م في مجال التكنولوجيا والعلوم التطبيقية، حيث تمنح لأفضل اختراع أو اكتشاف في هذا المجال.

وتحددت نهاية شهر يناير ١٩٩٥م موعداً نهائيًا لاستقبال طلبات الترشيح للجائزة وفقًا للشروط التالية:

ـ أن يكون صاحب الاختراع أو الاكتشاف من مواطني إحدى الدول العربية.

ـ أن يكون مقيمًا في إحدى الدول العربية لدى انجازه اختراعه أو اكتشافه.

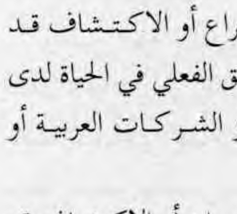
ـ أن يكون الاختراع أو الاكتشاف قد أنجز فيما بين ١٩٨٥ ـ ١٩٩٤م.

ـ أن يكون الاختراع أو الاكتشاف قد وجد طريقه إلى التطبيق الفعلي في الحياة لدى إحدى المؤسسات أو الشركات العربية أو الأجنبية.

ـ أن لايكون الاختراع أو الاكتشاف قد حصل على جائزة دولية من أية جهة أخرى. ويمكن الحصول على النماذج الخاصة بالتقدم للجائزة وأية تفاصيل أخرى عنها من المجمع ص.ب (٩٥٠٣٦١) الرمز البريدي ١١١٩٥ فاكس ٨٢٦٤٧١ عمان ـ الأردن.

ندوة عن أدب الأطفال

أقامت مؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية في عمان ندوة عن أدب الأطفال شارك فيها الأديب عبد التواب يوسف، وعقيلته السيدة نتيلة راشد (ماما لبنى) بحضور مجموعة من المهتمين بأدب الطفل.


عبد التواب يوسف

وعزا عبد التواب يوسف سر القطيعة بين أدبائنا وأدب الأطفال إلى عدم معرفتنا بأدباء الأطفال في العالم، وأضاف أن أدب الأطفال ليس مجرد معلومات ونصائح، فالمواعظ لاتغير في أطفالنا شيئًا، ولا يغير الأطفال نحو الأفضل سوى الأدب الحقيقي. وأكدت نتيلة راشد على أهمية أدب الأطفال باعتباره أداة مهمة من أدوات تشكيل الإنسان، وأشارت إلى أن أدب الطفل العربي مايزال يحبو، كما أن الحركة النقدية ـ إن كانت موجودة ـ غير مؤثرة.

معبد للأنباط في البتراء

اكتشف معبد قديم للأنباط في مدينة البتراء الأثرية يعود إلى فترة حكم الحارث الرابع من العام التاسع قبل الميلاد إلى عام ٤٠م.

يعد المعبد المكتشف جزءًا من المشروع الديني عند الحارث الذي كان يضم معبدي قصر البنت والأسد المجنح، ويحتوي المعبد على درج يتصل بالشارع المعبد بالبلاط، وساحة أمامية من البلاط الكبير، وله أربع واجهات: أمامية وخلفية، يحتوي كل منهما على أعمدة أثرية، وواجهتان جنوبيتان بكل واحدة صف من ثمانية أعمدة، كما أن المعبد مزود بشبكة لتصريف مياه الأمطار وعدد كبير من المجسمات الصغيرة والتاجات المزخرفة.

ويرى خبراء الآثار أن المعبد تعرض للتهدم نتيجة للهزات الأرضية والعوامل الطبيعية الأخرى، واستعمل في العصرين الروماني والبيزنطي.

كتب جديدة

«تعريب التعليم الجامعي» تأليف د. محمود إبراهيم.

«تهذيب تاريخ الملوك والأمم» وضعه صالح خريسات.

«تقاليد الزواج في الأردن» تأليف صالح خريسات.

«محمد العدناني في شعره الوطني والقومي» تأليف د. صبيحة محمد عبيد

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دار آفاق للنشر والتوزيع في عمان

سورية

ندوة عن النحو والصرف

استضافت جامعة دمشق ـ مؤخرًا ـ ندوة عن تدريس النحو والصرف أقيمت تحت شعار «لغتنا العربية هي عنوان هويتنا».

شارك في الندوة أكاديميون وعلماء لغة من سورية وبعض الأقطار العربية، وتركزت المناقشات حول واقع تدريس النحو في المرحلة الجامعية وقبل الجامعية، والنحو والصرف بين الامتحانات والأنظمة الجامعية والإعداد التخصصي لمدرسي اللغة العربية، وبحث رؤية جديدة لتدريس النحو العربي في ضوء النظريات الحديثة في اللغة وعلم النفس.

وأجمع الباحثون على بعض الحقائق التي تراكمت آثارها، والمتمثلة في عدم قدرة الطالب على استيعاب ما تفرضه المناهج من مفردات، نظرا للطرائق العقيمة التي تصطنع في تعليم النحو والصرف في المرحلة الجامعية، كما أن الامتحانات في ظل النظام الفصلي لا تكشف عن حقيقة التقدم الذي أحرزه الدارسون، إضافة إلى انعدام التعاون بين المؤسسات العلمية والثقافية ووسائل الإعلام، وندرة المدرسين الأكفياء الذين يمكنهم أداء مهمة التعليم بنجاح، وشيوع العامية في التخاطب، وغير ذلك من العوامل التي أدت إلى ضعف اللغة العربية لدى الدارسين.

الحركة الثقافية في شهر

اكتشاف لوحات باللغة المسمارية

اكتشفت ٣٥ لوحة مكتوبة باللغة المسمارية يعود تاريخها إلى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد في موقع تل البيدر الأثري بمنطقة غمر سد الخابور في شمال سورية.

وتعد هذه اللوحات الأولى والأقدم من نوعها في منطقة الجزيرة شمال شرق سورية، ومن الاكتشافات المهمة لفجر الكتابة على اللوحات الطينية في بلاد الرافدين ودجلة والفرات، ولايضاهيها سوى تلك التي اكتشفت في موقع مملكة إيبلا، بل إنها تفوق الأخيرة في أهميتها لسبقها لها بأربعمائة عام، مما قد يعني التعرف على معلومات جديدة حول تاريخ سورية القديم والعلاقات الحضارية بينها وبين بلاد الرافدين.

من ناحية ثانية اكتشف تابوت رخامي يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، في موقع مفرق قرية النقيب في مدينة طرطوس.

مهرجان الصيف للشعر والقصة

أقام النادي العربي الفلسطيني - مؤخراً - مهرجان الصيف الأول للشعر والقصة بمشاركة عدد من أدباء حلب ونقادها، استمر أربعة أيام.

شارك في اليوم الأول الشاعر إبراهيم كسار بقصيدة عنوانها «من تجليات أبي ذر»، والقاصة أوهام العبد الله بقصتها «الأغنية الأخيرة»، والشاعر فواز حجر ببعض قصائده، والقاص بشار خليلي بقراءة قصتين «جارتي البيضاء» و«النظافة»، وقرأ القاص محمد بسام سرميني فصلاً بعنوان «الموجهون الاختصاصيون» من روايته «السادة الكبار، السادة الصغار»، واختتم اليوم بتعليق من الناقد د. أحمد زياد محبك، على الأعمال المقدمة.

وابتدأ الشاعر فريد نظاريان اليوم الثاني بقراءة بعض قصائده، تلاه الشاعر عامر الديك، والشاعر محمد جمال طحان، وقرأت القاصة ندى الدانا قصتها «حفريات» والقاص مصطفى الحاج حسين قصته «إقلاق راحة»، والقاص لؤي خليل قصته «أشياء ضائعة» وأعقبتها المداخلة النقدية للأعمال السابقة قدمها الناقد محمود فاخوري.

وفي اليوم الثالث قدم الشاعر زكريا مصاص بعضاً من قصائده، تلاه الشاعر حمزة بشتاوي، ثم الشاعر عبدالقادر أبو رحمة، وقرأ القاصون أحمد خيري وعبدالرحمن خلاق، وخلود السيد بعضاً من قصصهم، وعلّق على هذه الأعمال الناقد د. محمد صالح الألوسي.

وافتتح اليوم الرابع بقراءة للشاعر حسين قفه، تلاه الشاعر رفعت شيخو والشاعرة راضية إسماعيل كما قرأت القاصة مريم حاج صالح قصتين والقاص محمد كرزون خمس قصص قصيرة جدا، وشارك الحضور من أدباء وشعراء في مناقشة الأعمال المقدمة بعد اعتذار الناقد د. محمد مرشحة عن تقديم مداخلته لأنه لم يطلع على الأعمال المشاركة قبل تقديمها.

رسائل جامعية

«دراسات على أنواع شجر الأكاسيا من الناحية البيئية، وتوزيعها الأحيائي الجغرافي في المملكة» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في الأقسام العلمية بكلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها وفاء محمد إبراهيم الغانم.

«مواد جديدة مركبة من الفايبرجلاس والبوليستر» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم هندسة المواد بالجامعة الأمريكية في القاهرة، تقدمت بها هند أحمد عامر.

«الرعاية الصحية وتطور الخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للصحة العامة بجامعة الإسكندرية، تقدم بها د. سعد ماضي محمد الماضي.

«استيفاء الديون في الفقه الإسلامي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها مزيد إبراهيم المزيد.

«إهدار دم الإنسان: أسبابه وأحكامه في الشريعة الإسلامية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها خالد عبد الرحمن النمر.

«إدارة الأزمة في السياسة الخارجية المصرية مع التطبيق على أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠/١٩٩١م» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، تقدم بها عزت عبدالواحد سيد محمود.

«المادة النووية عند طاقة الإثارة العالية ومايتبعها من طرائق تفكيكها» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم بجامعة عين شمس، تقدم بها طارق فؤاد غريب.

«الشعر النسائي العثماني من أوائل القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن

كتب جديدة

«قراءة جديدة في آداب السلوك» تأليف د. زكريا السباهي.

«منظمة الأمم المتحدة والنظام الدولي الجديد» تأليف د. بشار الجعفري.

«الجود والبخل في الشعر الجاهلي» تأليف د. محمد فؤاد.

«قرطاجة الحضارة والتاريخ» تأليف فرانسوا دوكريه، ترجمه إلى اللغة العربية يوسف شلب الشام.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دار طلاس للطباعة والصحافة والنشر.

«كل لقاء بك وداع» تأليف ياسين رفاعية، صدر عن دار الفاضل.

«مدخل إلى التخطيط الاقتصادي الصحي» تأليف د. محمد عبيدو، صدر عن وزارة الثقافة.

«أصداء حطين وصلاح الدين في الشعر العربي» تأليف د. عمر الدقاق.

«تعالي نطير أوراق الخريف» رواية لحسن حميد.

«ذاكرة لرحلة الأنقاض» مجموعة شعرية لعلاء الدين عبد المولى.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن اتحاد الكتاب العرب.

«هموم ناشر عربي» تأليف محمد عدنان سالم، صدر عن دار الفكر.

لبنان

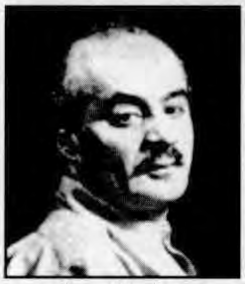
مؤتمر عن إدارة الصحف

نظمت صحيفة «النهار» أول مؤتمر من نوعه في المنطقة العربية عن «إدارة الصحف في العالم العربي» بالتعاون مع الاتحاد الدولي لناشري الصحف (FIEJ) يومي ٢٤، ٢٥ ربيع الآخر الماضي (٢٩ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٤م).

هدف المؤتمر الذي شاركت فيه مجموعة من كبار العاملين بالصحافة العربية والأجنبية إلى محاولة تعزيز التعاون بين الصحف العربية لمواجهة المرحلة المقبلة، والتغلب على المشكلات التي تواجهها مثل التسويق والتوزيع، والمحظورات الرقابية، واستخدام التقنية الحديثة في خدمة الصحف.

سلسلة أدبية جديدة

بدأت مكتبة لبنان في إصدار سلسلة أدبية جديدة في طبعات مجلدة تتضمن أعمال أبرز الكتاب والمبدعين مثل أحمد شوقي، جبران خليل جبران، مصطفى لطفي المنفلوطي، حافظ إبراهيم، توفيق يوسف عواد، توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ وغيرهم.



جبران خليل جبران

ترمي السلسلة إلى نشر صفوة أعمال أعلام المؤلفين في مختلف العصور، المقلين منهم والمكثرين، مع ضبط كلماتها بالشكل، وضبط مواطن اللبس في المتن والحواشي، وتقديم ترجمة شخصية للمؤلف.

كتب جديدة

«النقد الأدبي الإيطالي والإنجليزي في عصر النهضة الأوروبية» تأليف د. عيد الدحيّات، صدر عن دار الجيل في بيروت.

«تفاحة النمل» مجموعة قصصية لسامي زيادة، صدرت عن دار لحد خاطر.

التاسع عشر» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها زينب سعد زغلول أبو سنة.

«دراسة الحالة الزجاجية البيئية لخلائط المعادن النبيلة في درجات حرارة منخفضة» موضوع رسالة دكتوراه في الفيزياء نوقشت في جامعة حلب، تقدم بها محمد أحمد الجلالي.

«كليوباترة في الأدب المصري والإنجليزي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر، تقدمت بها نورا عبدالله تركي.

«بناء الرواية العربية السورية ١٩٨٠ - ١٩٩٠م» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة اللبنانية، تقدم بها سمر روحي الخطيب.

«دور المعاملات المحاسبية في التنبؤ بالتعثر والفشل المالي للوحدات الاقتصادية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التجارة بجامعة المنوفية في مصر، تقدم بها أحمد محمود حفني.

«المشروعات المتعثرة: التشخيص والمعالجة» موضوع رسالة دكتوراه، نوقشت في كلية كلير مونفيران في وسط فرنسا، تقدم بها محمد إسماعيل عبد العزيز آل الشيخ.

«أثر البيئة الصحراوية في طرق القوافل في شبه الجزيرة العربية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم التطبيقية بجامعة الخليج العربي في البحرين، تقدم بها بندر فهد الجويعي.

«دراسة عن مدى إصابة بعض المحاصيل الحقلية الشائعة بفطريات الجذور في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم التطبيقية بجامعة الخليج العربي في البحرين، تقدم بها عبدالله أحمد الفراج.

«الميول القرائية عند الأطفال في المملكة العربية السعودية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة لستر في بريطانيا، تقدم بها تركي بن فهد العيار.

«بيضة النعامة» رواية لرؤوف مسعد، صدرت عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

«العقم» تأليف د. حسان جعفر، د. غسان جعفر، صدر عن دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع.

«مابعد الحداثة» تأليف د. سامي أدهم، صدر عن دار كتابات.

«التاريخ والأسطورة: الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديما.. نقد وبناءات تصورية» تأليف عبد الهادي عبد الرحمن، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

«الأوّل إلى الأوّل» ديوان للشاعر يوسف عبد الصمد، صدر عن دار الجديد.

«سعاد الصباح شاعرة الانتماءالحميم» تأليف فضل الأمين، صدر عن شركة النور للصحافة والطباعة والنشر.

المغرب

معرض لفنون تجليد الكتب الإسلامية

استضاف متحف البطحاء في مدينة فاس معرضًا تراثيًا حول موضوع «فنون تجليد الكتب الإسلامية» خلال الفترة من ٣ إلى ٧ جمادى الأولى الماضي (٨ - ١٢ أكتوبر ١٩٩٤م).

اشتمل المعرض على مجموعة منتقاة توضح نماذج فنون تسفير (تجليد) الكتب في مصر والهند وسورية وغيرها من بلدان العالم الإسلامي خلال الفترة ما بين القرنين ١٤ - ١٩م.

اعتمد المعرض في تنظيمه على دراسة علمية للباحث البريطاني دانكن هولدن ويمثل فرصة للتعرف على بعض نفائس الكتب الإسلامية التي يقتنيها متحفا فيكتوريا وألبرت في لندن.

مركز لترميم المخطوطات

افتتح - مؤخرًا - في الرباط المركز الوطني لترميم المخطوطات، ويضم مختبرًا لصناعة الورق وآخر للمعالجة المائية، وثالثًا للترميمات اليدوية والتجليد، ومعملاً للتحليلات، وآلة لتقوية الورق.

ومن المنتظر أن يضاف إلى تجهيزات المركز مستقبلاً مختبر للترميم الميكانيكي وآخر للأبحاث، وورش للتجليد، إضافة إلى وحدات متنقلة تقوم بترميم المخطوطات عبر مدن المغرب.

يأتي إنشاء المركز في اطار التعاون التقني والثقافي بين المغرب وإسبانيا.

معرض دولي للكتاب

يقام المعرض الدولي الخامس للنشر والكتاب في المغرب في مدينة الدار البيضاء خلال الفترة من ٨ إلى ١٧ جمادى الآخرة الجاري ١٤١٥هـ.

ينظم المعرض تحت شعار «الثقافة والتكنولوجيا» وتقام ضمن نشاطاته محاضرات وندوات وأمسيات شعرية وقصصية وفكرية.

مركز للفن المعاصر في الدار البيضاء

تعتزم مجموعة «أونا» التجارية الفرنسية إنشاء مركز للفن المعاصر في مدينة الدار البيضاء.

أعلن ذلك وزير الثقافة الفرنسي جاك توبون خلال زيارته الأخيرة للمغرب، ولم يوضح الوزير هدف المركز أو سياسته.

كتب جديدة

«مائيات» مجموعة شعرية لمحمد الأشعري، صدرت عن منشورات المعارف الجديدة.

«الشمس تحتضر» مجموعة شعرية بالفرنسية للشاعر عبداللطيف اللعبي، ترجمها إلى العربية إلياس حنا إلياس، وصدرت عن دار توبقال للنشر في الدار البيضاء.

تونس

الإبداع الروائي والشعري العربي على مشارف القرن ٢١م

نظم المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ندوة حول الظواهر الرئيسة للإبداع الروائي العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين الميلادي بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية في منتصف شهر ربيع الآخر الماضي.

استمرت الندوة ثلاثة أيام، وشارك في أعمالها باحثون وأدباء ومفكرون من تونس وسورية ولبنان ومصر وفلسطين والمغرب والجزائر وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

تمحورت الندوة حول قضايا علاقة المبدعين العرب بالواقع والخيال والطبيعة والشكل الفني وإشكالياتها، وكذلك علاقة الإنسان بالعقيدة والأسطورة، وتفاعله مع التراث الحضري وألوان السلوك والتفكير المنبثقة عن ذلك التراث.

تقويم الدراسات العثمانية خلال ثلاثين عامًا

نظم مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية في زغوان - مؤخرًا - مؤتمرًا تحت عنوان «تقويم الدراسات العثمانية خلال الثلاثين عامًا الماضية وآفاقها في المستقبل».

وواكب المؤتمر الاحتفال بوضع حجر الأساس لقاعة الملك فهد للمؤتمرات في المركز، التي تتسع لنحو مائتي شخص، وأطلق عليها اسم الملك فهد بن عبد العزيز تقديرًا لدوره في رعاية العلم والثقافة بوجه عام، والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي بوجه خاص.

وشارك في المؤتمر أكثر من ١١٠ مؤرخين من العالم العربي وتركيا والولايات المتحدة وأوربا، حيث قام المشاركون بتقديم الدراسات والبحوث، بهدف إبراز التطور الذي سجلته في هذا المجال، منهجًا وأسلوبًا ومعلومات.

روسيا

أول مجلة إسلامية

صدرت - مؤخرًا - في موسكو مجلة إسلامية جديدة تحت مسمى «التوحيد» تعد أول مجلة روسية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي.

تضمن العدد الأول من «التوحيد» عدة موضوعات، من أبرزها دراسة كتبها خاديم كوجينوف بعنوان «الإسلام في الثقافة الروسية» استعرض فيها ما سطره عن الإسلام كُتّاب روسيا الكبار مثل تولستوي، وبوشكين، وبونين وغيرهم، كما كتب حيدر جمال مقالة بعنوان «الإسلام كحضارة» وتحدث سيرجي دونايف عن نضال شعب البوسنة في مقالة عنوانها «السلاح معهم، لكن الله معنا». وموضوعات أخرى كثيرة تتناول جوانب مختلفة من القضايا ذات الطابع الإسلامي.

موريتانيا

صحيفة «المحيط»

صدرت مؤخرًا صحيفة جديدة تحت مسمى «المحيط» في نواكشوط، وهي سياسية أساسًا، إلا أنها توجه عناية للموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والرياضية، فضلا عن الأدب والثقافة من خلال تخصيص صفحات لهذه الأغراض، وتتبع مناسباتها المختلفة.

تركيا

مسابقة شعرية لرابطة الأدب الإسلامي

نظم فرع رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تركيا - مؤخرًا - مسابقة شعرية بالتعاون مع «إذاعة مرمرة» الإسلامية في استانبول.

شارك في المسابقة شعراء أتراك من مختلف الأجيال، عكست أشعارهم قضايا مختلفة تهم الأمة الإسلامية.

الهند

هدم أثر إسلامي آخر

يبدو أن هناك مخططًا لإزالة الآثار الإسلامية من الهند، فبعد أن نجح الهندوس في هدم المسجد البابري، قامت جرافات بلدية مدينة ميسور بإزالة قصر السلطان تيبو، آخر الحكام المسلمين في الهند.

يرجع تاريخ القصر إلى أكثر من ثلاثمائة عام، وكان السلطان تيبو يستخدمه مقرًا له خلال فترة الصيف، وفيه قُتل أثناء معركة قادها ضد الاحتلال البريطاني لبلاده.

قبرص

أحدث الكتب

«الأميرة شمس الشموس» تأليف نورا فاخوري، رسوم بيتر مولينا.

«الفراشة لجين» تأليف ماري تيريسابا، رسوم ساندرا كرياكو.

«رحلتنا ذهابًا وإيابًا» تأليف آن جوناس.

اليونان

٣٠٠ مبدع ومفكر في مؤتمر أوربي - متوسطي

شارك نحو ثلاثمائة مبدع وكاتب وأكاديمي ينتمون إلى قرابة اثنتي عشرة دولة في المؤتمر الأوربي اليوناني لدول حوض البحر المتوسط الذي نظمه - مؤخرًا - في أثينا المركز الأيوني للدراسات الثقافية والعلمية والروحية.

ناقش المؤتمر أربعة محاور رئيسة تتعلق بالعلاقات الأوربية ودول البحر المتوسط هي: الثقافة والتاريخ الأوربي، التعاون الأوربي ودول البحر المتوسط، الثقافة وعلاقتها بالدين والسياسة والاقتصاد، والمعلومات ومهارات الاتصال بين الدول.

هدف المؤتمر إلى توثيق التعاون بين المراكز البحثية والجامعات في دول الاتحاد الأوربي والبحر المتوسط، وشاركت فيه من البلدان العربية: مصر، الجزائر، المغرب، الأردن، لبنان، تونس، فلسطين، وسورية.

إسبانيا

مقبرة إسلامية في ملقا

اكتشفت مقبرة إسلامية تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي في حي سان فرانسيسكو السكني بمدينة روندا التابعة لمحافظة ملقا.

جاء الكشف بطريق المصادفة حين كان أحد سكان الحي الواقع في الجزء القديم من المدينة يقوم بأعمال حفر في أرض يملكها، حيث أعلن خبراء الآثار عقب اطلاعهم على المقبرة أن الكشف «بالغ الأهمية» ولم يعطوا أي تفصيلات أخرى.

أحدث الكتب

هوية المسرح المغربي، تأليف زهير الوسيني، صدر باللغة الإسبانية ضمن منشورات جامعة غرناطة.

النرويج

جائزة حرية التعبير لكاتب فلسطيني

أصبح الكاتب الفلسطيني عزت الغزاوي أول فائز بجائزة «حرية الإبداع» التي أنشأها اتحاد الكتاب النرويجيين، حيث منح الجائزة تقديرًا لأعماله التي تشجع على الانفتاح والتسامح بين الشعوب.

والغزاوي (٤٣عامًا) أستاذ بجامعة بيرزيت، وقد سجنته سلطات الاحتلال من عام ١٩٨٩م إلى عام ١٩٩١م، وقتل ابنه رامي على أيدي الجنود الإسرائيليين عام ١٩٩٣م، وهو كاتب قصة وناقد حيث نشر باكورة أعماله القصصية عام ١٩٨٦م، وأتبعها بكتاب نقدي للأدب الفلسطيني عام ١٩٨٩م، كما نشر «دراسات في النقد» و«الحواف».

بريطانيا

اللغة العربية وأدبها في مؤتمر ببريطانيا

نظمت جامعة إكستر البريطانية مؤتمر «الأصالة والحداثة في اللغة والأدب العربي» في النصف الثاني من شهر ربيع الآخر ١٤١٥هـ الماضي.

شارك في المؤتمر ثلاثون باحثًا وأكاديميًا من مختلف جامعات العالم، حيث ناقشوا عبر جلسات عدة قضايا وموضوعات أهمها تأثير لغة القرآن الكريم في اللغة العربية ومسيرتها وبنية الكلمة فيها، وتطرق النقاش إلى العمل الكلاسيكي والحديث في القواعد والأسلوب وتأليف المعاجم، والأشكال القصصية العربية قديمًا وحديثًا، وتأثيرات الشعر الجاهلي والعباسي وشعر الحداثة الأوربية على الشعر العربي، والدور الذي قامت به الأشكال الدرامية العربية التقليدية في قيام الفن المسرحي في الثقافة العربية المعاصرة ونموه، مثل الأساطير والملاحم والقصص الشعبية إضافة إلى تأثير النماذج الغربية، وجرى تقويم حركة الأدب عبر دراسة مفاهيم النظريات النقدية وأدواتها وتطبيقاتها ومصادرها في القرن الميلادي الحالي، وأثر أعلام البلاغة والفلاسفة العرب في القرون الوسطى في معيار النقد الأدبي السائد في العالم العربي اليوم.

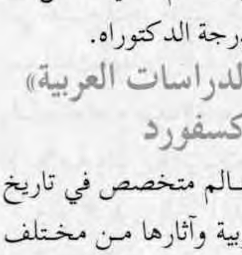
ويعد هذا المؤتمر الثاني في سلسلة مؤتمرات يرعى إقامتها سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، ويواكب انعقاده هذه المرة الذكرى الثانية لوفاة المؤرخ المصري د. عبد الحي شعبان مؤسس قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إكستر، وهو القسم الذي حصل منه حاكم الشارقة على درجة الدكتوراه.

ندوة عن «الدراسات العربية» في أكسفورد

شارك أكثر من عالم متخصص في تاريخ الخليج والجزيرة العربية وآثارها من مختلف بلدان العالم في ندوة «الدراسات العربية» التي نظمتها - مؤخرًا - جامعة أكسفورد البريطانية.

ناقشت الندوة بحوثا في مجال الآثار التي اكتشفت مؤخرًا، ودراسات في مجال تاريخ المنطقة القديم.

وفاة الفيلسوف بوبر


كارل بوبر

توفي الفيلسوف النمساوي الأصل، البريطاني الإقامة كارل بوبر عن عمر يناهز ٩٢عامًا. يأتي بوبر المولود في يوليو ١٩٠٢م في مقدمة الفلاسفة المعاصرين، حيث استخدم فلسفة العلم للوصول إلى فلسفة الاجتماع والسياسة، مما أكسب فلسفته طابعًا علميًا مميزًا، حيث عُدَّ أقدم من تمثل ومثّل دلالة التطورات المعاصرة للعلوم الطبيعية وثورة الفيزياء الكبرى مع بواكير القرن الميلادي الحالي، وثورة النسبية والكوانتم التي قوضت عالم نيوتن الحتمي الميكانيكي وبدأت عصرًا جديدًا من التفكير العلمي.

وتقوم نظرية العلم عند بوبر على أساس أن معيار القابلية للاختبار التجريبي والتكذيب هو ما يميز العلم دون أي نشاط عقلي آخر.

ولعل أبرز مؤلفات بوبر كتابه «منطق الكشف العلمي» وأيضا «المجتمع المفتوح وخصومه» الذي هاجم فيه الماركسية وأثار ضجة كبرى حين نشر للمرة الأولى عام ١٩٤٥م.

مهرجان ثقافي فكري سوداني

أقيم - مؤخرًا - في لندن مهرجان ثقافي وفكري سوداني تحت شعار «السودان ما بين واقع اليوم وطموحات المستقبل»، نظمه المجلس القومي السوداني في بريطانيا، واشتمل على ثلاث ندوات.



د. عبدالله الطيب

كانت الندوة الأولى بعنوان «آفاق العلاقات الثقافية السودانية - البريطانية» شارك فيها كل من د.عبدالله الطيب، د.مدثر عبد الرحيم، د. انجلو بيدا، د.عبدالرحمن أبو زيد، وبيتر افرينجتون، وأعقبتها حلقة حول «التعاون بين الجامعات السودانية والبريطانية».

وأقيمت الندوة الثانية تحت شعار «بناء السودان مسؤولية بنيه» وشارك فيها السيد أحمد عبدالرحمن، د. مدثرعبدالرحيم، السيدة اقنس لوكودو، جوزيف لاقو، د.زكية عوض ساتي، و د. إسماعيل الحاج موسى.

وبحثت الندوة الثالثة موضوع «أصول الثقافة السودانية» بمشاركة د. عبد الله الطيب، أرب يور، الطيب صالح، د. حسن مكي، وعبدالكريم الكابلي.

أحدث الكتب

«اليابان: السياسة ضد الاقتصاد» تأليف آلان ستيل، صدر عن دار نشر هتشنون.

«تيتو وصعود وسقوط يوغوسلافيا» تأليف ريتشارد ويست، صدر عن دار نشر سينكلير ستيفنسون.

«أعلام الآداب في العراق الحديث» تأليف مير بصري، تقديم جليل العطية، صدر عن دار الحكمة.

«الكون الذي نعيش فيه: دليل نظري» تأليف مايكل روبنسون.

«درب اللبانة.. هذه المجرة» تأليف جيرارد جليمور.

«الانفجار الأعظم» تأليف جوزيف سيلك، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة.

«موعد في الفضاء: علم المذنبات»، تأليف جون براندت وروبرت شابمان.

«دليل راصدي السماء: الدليل العملي للفلكيين الهواة» إعداد جيمس مويردن.

«علم الضوء» تأليف ك. مولير.

«الليزر» تأليف انطوني سايجمان.

صدرت الكتب السابقة عن دار نشر فريمن.

«ووترجيت: فساد سقوط ريتشارد نيكسون»، تأليف فريد إميري، صدر عن دار نشر جوناثان كيب في لندن.

«نصف الإجابات»، «مناقشة لقضايا بيئية»، تأليف باتريك ماكاي، صدر عن دار نشر ليتل أند براون.

«السيدة» (عن ويني مانديلا)، تأليف إيما جيلباي، صدر عن دار نشر فينتاج في لندن.

«النساء في إنجلترا: تاريخ اجتماعي» تأليف أينه لورانس، صدر عن دار ويدنفليد في لندن.

«بلا ثمن»، (عن ضحايا الحروب) تأليف المراسل الصحافي ديفيد بيلوجراس، صدر عن دار نشر مينرفا في لندن.

«كيف تقود الآخرين دون ألم؟»، (عن ميكانيزم وسيكولوجيات المديرين)، تأليف ستوك ماكنيل، صدر عن دار نشر ديدالوس.

«تجارب الصين» تأليف بيرسي كرادوك، صدر عن دار نشر جون موراي في لندن.

«كلنا خسرنا الحرب الباردة» تأليف ريتشارد نيدليبو وجانيس شتاين، صدر عن دار نشر نستون في لندن.

الصين

حوار للشعر العربي في الصين

يشارك ثلاثون شاعرًا مصريًا في حوار أدبي حول الشعر العربي تستضيفه قاعة «الفن الأول» في العاصمة الصينية بكين خلال الفترة من ١٦-١٧ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ (١٩-٢٠ نوفمبر ١٩٩٤م). يتناول الشعراء في حوارهم تطور الشعر العربي في القرن العشرين.

فرنسا

معرض للكاريكاتير السياسي

نظم متحف شاتور بريان في باريس معرضًا لفن الكاريكاتير السياسي يستمر حتى ٢١رجب المقبل ١٤١٥هـ (٢٣ديسمبر١٩٩٤م).

يلقي المعرض ضوءًا على فن الكاريكاتير والدور الكبير الذي قام به في تاريخ فرنسا

من خلال تغطية الفترة من ١٨٢٩ - ١٨٤٨م.

معرض لرخويات العالم

نظم متحف الرخويات في مدينة نيس معرضًا ضم أقدم مجموعة خاصة من القواقع والأصداف.

ضم المعرض قرابة ألف وخمسمائة نوع من المحار والأصداف، جُمعت من مختلف أنحاء العالم، واشترتها مدينة نيس عام ١٩٧٤م.

أحدث الكتب

«جدار المال» ط٣، تأليف فيليب بوردريل، صدر عن دار نشر دونويل في باريس.

«أشكال الإرهاب وحرب العصابات» ط٢، تأليف جيرار شاليان، صدر عن دار نشر فلاماريون

«صديقان حميمان»، (عن العلاقة بين السياسيين: أدوار بالادور وجاك شيراك»، صدر عن دار نشر بلون.

«بابل والتوراة» تأليف جان بوتيرو، صدر عن دار نشر لابل لاثر.

«دمشق من العصر العثماني إلى الآن» تأليف جيرار دو جورج، صدر عن دار نشر لار ماتون.

«الحركة النسائية والسياسية في المغرب العربي» تأليف زكية داود، صدر عن دار نشر ميز ونوث لاروز.

«مزايا الكتاب» تأليف لكيردي شامب، صدر عن دار نشر سوي

«أمريكيون طيبون جدًا» رواية الكاتب الأمريكي جون سول صدرت في طبعة فرنسية.

«رائحة الاغتراب العذبة» مجموعة قصصية للأديب الأمريكي، روبير أولن بوتلر، صدرت ترجمتها الفرنسية.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر ريناج

الولايات المتحدة

أحدث الكتب

«الجيوبوليتيك الجديد لتركيا: من البلقان إلى غرب الصين، تأليف مجموعة من الباحثين الأمريكيين، صدر عن دار ويست نيوبريس في نيويورك.

«أثمان باهظة»، (رصد لقرارات اتخذها سياسيون وأتت بكوارث)، تأليف كلارك بيرج، صدر عن دار نشر ليتل براون.

«السوبر كمبيوتر والثورة العلمية» تأليف وليام كوفمان ولاري سمار.

«عناصر الذكاء الاصطناعي» تأليف ستيفن تانيموتو.

«لغة الفورتران للتسعينيات: مسائل محلولة للعلماء والمهندسين» تأليف ستاسي إدجار.

«لغة الآلات» تأليف روبرت فلويد وريتشارد بايجل.

«كيف يلعب الكمبيوتر الشطرنج» تأليف دافيد ليفي ومونتي نيوبورن.

«الجيولوجيا التركيبية» تأليف روبرت تويس والدريدج موزز.

«البراكين» تأليف روبرت ديكر وبربارة ديكر، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة.

«كيف تفهم الأرض؟» تأليف فرانك بريس، ورايمون سايفر.

«التغيرات الجوية» تأليف ت. جرايدال وبول كروتسن.

إيطاليا

مؤتمر «مصر في إيطاليا»

تستضيف روما في النصف الثاني من شهر نوفمبر ١٩٩٥م المؤتمر الدولي الثالث لجمعية الدراسات اليونانية والرومانية المصرية بالتعاون مع مجموعة أساتذة إيطاليين.

يعقد المؤتمر تحت شعار«مصر في إيطاليا منذ القدم وحتى العصور الوسطى»، ويناقش عدة محاور من أبرزها: تأثير الحضارة المصرية في الحضارة الرومانية في مجالات الآداب والفنون والآثار.

سويسرا

معرض عن نشأة الدادية

يقام حاليًا في مدينة زيورخ معرض بعنوان «نشأة الدادية في العالم» يستمر حتى منتصف شهر جمادى الآخرة الجاري.

يضم المعرض نحو أربعمائة وثيقة وعدة مخطوطات تناقش أسلوب الدادية، وهو أسلوب فني ينادي بالتأكيد على حرية الشكل والتخلص من القيود التقليدية للإبداع، وبرز هذا الأسلوب في أوربا خلال الحرب العالمية الثانية.

كما يحتوي المعرض على عدة لوحات لأشهر رسامي الدادية وفي مقدمتهم ماكس أرنست وهانز أرب.

التوحيد ومايلحق به

كتاب يحوي الجزء السادس من مجموع فتاوى ومقالات لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية. قام بجمع الكتاب وأعد مادته للنشر كما أعد الأجزاء السابقة الدكتور محمد بن سعد الشويعر.

تشتمل المجموعة على موضوعات متنوعة تناقش مايهم المسلم في أمور دينه ودنياه ـ عباداته ومعاملاته ـ، كما تتضمن نصائح وتوجيهات لتصحيح العقيدة وتنقيتها من الشوائب.

الكتاب يركز على «التوحيد ومايلحق به»، وذلك من خلال «١٣٣» موضوعاً يشمل فتاوى، ونداءات، ونصائح، ومحاضرات توجيهية إرشادية، وأجوبة على أسئلة واستفسارات تناقش قضايا عقيدية واجتماعية واقتصادية حيوية، وزُود أصحابها بالرأي السديد، والرؤية الصحيحة، والتفسير المستند إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة، واجتهاد العلماء.

يقع هذا الجزء في ٤٣٤ صفحة من القطع المتوسط وتمت طباعته في وكالة الطباعة والترجمة برئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤١٤هـ..

المجالس الأدبية فى الأندلس

بحث في الأدب الأندلسي، يشتمل على ثلاثة فصول، بدأه الدكتور عبدالله بن علي بن ثقفان بمدخل تناول فيه بعض الآراء حول أدب أهل الأندلس، بخاصة أولئك الذين فتحوا مجالسهم وبلاطاتهم للأدب والأدباء.

جاء الفصل الأول بعنوان "المجالس الأدبية في الأندلس: نظرة تاريخية أدبية من خلال استقراء بعض المصادر والمراجع"، ويتضمن تعريفاً بالمجالس، والمجالس الأدبية في الأندلس، وثقافة أصحابها، وتطرق المؤلف للمجالس الأدبية الأندلسية منذ الفتح حتى مملكة غرناطة.

وجاء الفصل الثاني بعنوان "النشاط الأدبي في المجالس الأدبية، وفي الفصل الثالث الذي اتخذ عنوان "العلاقات داخل المجالس" أوضح المؤلف مجموعة العلائق التي تربط بين صاحب المجلس ورواده، وتناول صوراً من تلك العلاقات. واختتم المؤلف بحثه بالقول: "إن مما لحظة في أثناء بحثه في أدب المجالس أنه أدب تلقائي، لكنه مع تلقائيته فهو أدب متميز، فقد كان يخص نموذجا لأدب أمة ذهبت، عرفنا عنها الأدب الرفيع والفكر النير".

الكتاب من إصدارات نادي أبها الأدبي، يقع في ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت طبعته الأولى ١٤١٥هـ.

أشعار المحبين إلي يوسف عزالدين

كتاب يُصنف في دائرة «شعر الإخوانيات» ويضم عدداً من القصائد الكاملة إلى جانب مقاطع من قصائد أخرى، صوّر أصحابها مشاعرهم تجاه الأديب الدكتور يوسف عزالدين. قام بجمع مادة الكتاب وتقسيمها، وتبويبها، وإصدارها حماد السالمي، ودعم الكتاب بمقدمة اشتملت على تعريف بفن الإخوانيات في الأدب العربي.

وقدَّم للكتاب الدكتور محمد عبدالله الريح بمقالة تحليلية تحت عنوان «خواطر في إخوانيات يوسف عزالدين»، وبذل فيها محاولة لتصنيف القصائد الواردة في الكتاب، وفقا لخصائصها التكتيكية.

كما كتب الدكتور عبدالسلام عبدالحفيظ مقالة تقديمية بعنوان "القيم الرفيعة في الإخوانيات"، وسلط الضوء على خصائص هذا النوع من الأدب.

ذيل السالمي كتابه بأربعة ملاحق خصص الأول لترجمة حياة الدكتور يوسف عزالدين، والثاني للأعلام، والثالث للمدن والبلدان، والرابع يحوي المؤلفات التي صدرت للشخصية موضوع الكتاب.

الكتاب يقع في ١٢٧ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار الحارثي ودار الإبداع العربي ١٤١٤هـ.

دراسة فى حياة عبدالهادى التازى

كتاب يرصد الإنتاج العلمي والفكري لعبدالهادي التازي، أحد الشخصيات التي واكبت التطورات المهمة في تاريخ المغرب الحديث، وساهمت من مواقعها الاجتماعية والمهنية والسياسية في التعبير عن هموم مجتمعها.

قام عبدالفتاح الزين بإعداد دراسة ببليوجرافية، وقسم المتن إلى أربعة أقسام، يشتمل القسم الأول على الإنتاج الشخصي، وهو ماأنتجه عبدالهادي التازي، من دراسات، وتحقيقات، ومؤلفات أخرى. وجاء القسم الثاني تحت عنوان "المعربات" وهو ماقام التازي بترجمته من لغة أجنبية (فرنسية وإنجليزية) إلى اللغة العربية، وخصص القسم الثالث لما كُتب عن التازي، والقسم الرابع من الكتاب هو ماأطلق عليه المؤلف "التأطير الأكاديمي"، ويتعلق بالأبحاث، والدراسات العليا والجامعية التي ساهم التازي في تأطيرها، سواء من خلال الإشراف أو المشاركة في لجان المناقشة، وقد ختمت الدراسة بكشاف تحليلي يتضمن نوعية الإنتاج، موضوعات الإنتاج، والأعلام وأسماء الدول والأماكن الجغرافية والأحداث الواردة في العناوين.

الكتاب يقع في ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط، وهو من إصدارات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ـ مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٣)

ج١: من الأمثلة التي تدل على الرِّدة (نذكرها اختصاراً لمقتضى المساحة):
١ـ إنكار ماعُلم من الدين بالضرورة. ٢ـ استباحة محرم أجمع المسلمون على تحريمه. ٣ـ تحريم ما أجمع المسلمون على حِلّه كتحريم الطيبات. ٤ـ سبّ النبي صلى الله عليه وسلم، أو الاستهزاء به، وكذا سب أي نبي من أنبياء الله. ٥ـ سبّ الدين والطعن في الكتاب والسنة، وترك الحكم بهما. ٦ـ ادّعاء أيّ من الناس أن الوحي ينزل عليه. ٧ـ إلقاء المصحف أو كتب الحديث في القاذورات، استهانه بهما واستخفافًا بما جاء فيهما. ٨ـ الاستخفاف باسم من أسماء الله ـ تعالى ـ أو بأمر من أوامره، أو نهي من نواهيه، أو وعد من وعوده.

***

ج٢: تحوّل المسلمون من بيت المقدس إلى الكعبة في صلاة العصر ـ وهذا هو

نتائج مسابقة العدد (٢١٣)

أ ـ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، هديل عبدالوهاب أحمد الداري، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، سكينة عبد الإلاه الإيراوي، الدار البيضاء ـ المغرب.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، الحبيب بن علي بن فرج الحمّامي، سوسة، تونس.

***

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ـ يحيى عبده محمد الغزالي، تعز ـ اليمن.

٢ـ إبراهيم مدني العربي، المسيلة ـ الجزائر.

٣ـ السيدة محمد حسين إبراهيم، الإسكندرية ـ مصر.

٤ـ سيف الدين نجم الدين حسين، الحسكة ـ سورية.

٥ـ عزيزة عبدالرحمن العوض الزبير، القضارف ـ السودان.

***

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢عددًا)، كل من:

١ـ محمد عبدالكريم محمد عكور،

للاشتراك املأ هذه القسيمة (عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....

العنوان: ....

الأشهر، وذلك لما رواه البخاري ومسلم عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم «صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبَل البيت، وأنه صلّى أول صلاة صلاّها صلاة العصر وصلّى معه قوم...».

***

ج٣: هي الصحابية الجليلة أم سُلَيم بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية، وابنها هو الصحابي الجليل، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، مالك بن أنس.

***

ج٤: من أهم الاتفاقيات التي عقدت لوقف تجارة الرقيق: اتفاقية برلين (١٨٨٥م)، واتفاقية بروكسل (١٨٩٠م)، وكذلك ما فعلته عصبة الأمم في مؤتمر سنة ١٩٢٦م.

***

ج٥: يعد «جون دنلوب» أول مخترع للإطارات التي تملأ بالهواء، وأول من أنتجها تجاريًا (١٨٨٩م) لاستخدامها في الدراجات.

الكرك - الأردن.

٢- محمد عباس يحيى أوان، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.

٣- عبداللطيف جانودي بن محمد علي، حلب - سورية.

٤- جلالة الجنيدي أحمد، السويس - مصر.

٥- بنقاسم أحمد أحمد، تزنيت - المغرب.

٧- زياد زهدي محمد أبو طالب، عمّان - الأردن.

٨- محمد عوض السني أحمد، ودمدني - السودان.

٩- عبد الرزاق قندريس، حلب - سورية.

١٠- سوزان عبدالهادي إبراهيم، القاهرة - مصر.

***

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١- مريم بنت أحميد، نواكشوط - موريتانيا.

٢- محمد صلاح بن عوف عبدالرحمن، عجمان - الإمارات العربية.

٣- حدّة بوقرة، المسيلة - الجزائر.

٤- عبدالرحمن محمد عبدالرحمن السبيهين، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٥- كفاية عبدالله ياسين، البقعة - الأردن.

أسئلة مسابقة العدد (٢١٦)

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾. وذلك عن قوم أخذهم - سبحانه وتعالى - بعذاب شديد. من هؤلاء القوم؟

***

السؤال الثاني:

شرع الإسلام للمسلمين إحياء الأرض الميتة التي لم يسبق تعميرها، وتهيئتها للانتفاع بها في السكنى والزرع. اذكر حديثين شريفين في الحث على ذلك.

***

السؤال الثالث:

ابتُلِيَ العالم الإسلامي - على مدى تاريخه - بفرق ومذاهب منحرفة عن الشرع الحنيف، ومن أبرز هذه الفرق: القرامطة. إلى من تُنسب هذه الفرقة؟

***

السؤال الرابع:

ما حل هذا اللغز الشعري للشاعر عبدالله بن المعتز:

صفراءُ من غير علَلْ
مركوزَةٌ مثل الأسَلْ
كأنها عُمر الفتى
والنّارُ فيها كالأجلْ

***

السؤال الخامس:

عرف العالم حروبًا طاحنة كلفت البشرية أرواحًا وأموالاً، ومن بين هذه الحروب ما عُرِفَ بـ «حرب المائة عام». أين وقعت هذه الحرب، ومتى؟

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٢١٦)
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال:

لكن بشعفين أنت جدود

الشَّعْفَان: جبلان، الْجَدُود: الناقة القليلة اللبن.

يضرب بهذا مثلا لَمنْ نشأ في ضُرّ، ثم يرتفع عنه فيبطر.

وأصله أن عروة بن الورد وجد جارية بشعفين، فأتى بها أهله ورباها، حتى إذا سمنت وبطنت بطرت، فقالت يومًا لجوارٍ كنَّ يلاعبنها، وقد قامت على أربع: احلبوني فإني خَلفَة، فقال لها عروة: لكن بشَعْفَيْنِ أنْتِ جَدُودٌ

من يعيره لسانه

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال: أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابّته، ولا يجد من يعيره لسانه.

أحمق

اشترى أحد الحمقى نصف دار، فقال يومًا: قد عزمت على بيع نصف الدار الذي لي، واشتري بثمنه النصف الآخر، حتى تصير الدار كلها لي.

خائن أم كاذب

سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي مصر، فبعث إليه فدعاه، فلما دخل عليه قال: يا أبا الحارث. إن هذا أبلغني عنك كذا وكذا.

فقال له الليث: أصلح الله الأمير، هلا سألته عما أبلغك أهو شيء ائتمناه عليه فخاننا فيه، فما ينبغي لك أن تقبل من خائن، أو شيء كذب علينا فيه، فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب!

فقال الوالي: صدقت يا أبا الحارث، وأدناه وأبعد الواشي.

ابتهال

لبستُ ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ
وقلت يا أملي في كل نائبة
ومَنْ عليه لكشف الضرِّ أعتمدُ
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
ما لي على حملها صبرٌ ولا جلدُ
وقد مددت يدي بالذلِّ مبتهلاً
إليك يا خير مَنْ مُدت إليه يدُ
فلا تردنّها يارب خائبة
ونهر جودك يروي كل مَنْ يردُ

قرناء السوء

سئل حكيم عن قرناء السوء فقال: هم الذين إذا جالسوك ذبحوك بمدحهم، وأغضوا عيونهم عن عيوبك، وغضوا أبصارهم عن ذنوبك، وبدّلوا سيئاتك حسنات، ورذائلك خلالاً فاضلات، وقالوا عن باطلك إنه حق، وعن سُمِّك إنه ترياق!

أقدم كعكة

في متحف الغذاء والمأكولات في فيرفاي بسويسرا يمكن مشاهدة أقدم كعكة في العالم، حيث صنعت عام ٢٢٠٠ق.م. وعثر عليها في مقبرة الملك الفرعوني بابيونخ، ويبلغ حجمها نحو أحد عشر سنتيمترًا، وصنعت من العسل وزُيِّنت بالسمسم، واحتفظت بكامل خاصيتها طوال هذه السنين.

يحرق القلب

قَدَّم بخيل لضيفه عسلاً بلا خبز، وهو يظن أنه لن يأكله، وقال: ترى هل تأكل عسلاً بلا خبز؟ أجاب الضيف: نعم، وجعل يلعق العسل بأصبعه لعقة بعد لعقة. فقال البخيل: مهلاً يا أخي، والله إنه يحرق القلب. قال الضيف: قلبي أم قلبك؟

غيبة

أقبل الشعبي يومًا، فإذا هو برجلين من قومه يقفان وراء جدار قصير. قال فاستمع إليهما، فإذا هما يقعان فيه ويشتمانه، وينتقصانه حتى أكثرا، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي وقال:

هنيئًا مريئًا غير داء مُخامر
لغزّة من أعراضنا ما استحلت

فقالا: والله يا أبا عمرو لا نقع فيك بعد اليوم.

لايحسن الهجاء

قيل لنصيب الشاعر: إنك لاتحسن الهجاء. فقال: لقد رأيت الناس ثلاثة، رجل لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوه، ورجل سألته فمنحني وهو الممدوح، ورجل سألته فلم يعط، فنفسي أحق بالهجاء إذ سولت لي أن أسأله.

بدلة الغطس

في عام ١٧١٥م صنع الإنجليزي جون ليثيريدج بدلة من الخشب والحديد، وغطس بها تحت الماء لمسافة نحو عشرين مترًا، وقادت هذه التجربة الأمريكي هاري بودوين عام ١٩١٤م إلى تصميم بدلة الغطس الحديثة، وتمكن بواسطتها من

الغطس لحوالي مائة متر.

وتطورت بدلة الغطس منذ ذلك التاريخ حتى صار بإمكان الغوّاص الغوص تحت سطح الماء لمسافة مائتي متر، والبقاء في هذا العمق لأربع ساعات.

علامة

اشتهر محمد بن الجهم بالبخل، فقال له أصحابه ذات مرة: إننا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت انصرافنا! قال: علامة ذلك أن أقول: يا غلام هات الغذاء.

كلاهما مخطئ

سُئل الأديب الساخر برناردشو - يومًا: من هو المتفائل، ومَنْ المتشائم؟ قال: المتفائل هو الذي يرى ضوءًا وكل ما حوله ظلام، والمتشائم هو الذي يرى ظلامًا، وكل ما حوله نور، وكلاهما مخطئ فيما أرى.

يعرفون بثلاثة مواطن

قال لقمان الحكيم: ثلاثة لايعرفون إلا في ثلاثة مناطق: لايُعرَف الحليمُ إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة.

إحسان وإساءة

غضب أعرابي على ولده، فقال له: أتعصيني وتشمخ بأنفك يا ابن الأمة؟ قال الولد: يا أبت، هي والله خير لي منك. فقال الأب: وكيف يكون هذا وهي أمة وأنا حر، أجاب الولد: ذلك أنها أحسنت إليّ فولدتني من حر، وأنت أسأت إليّ، وأخطأت الاختيار فولدتني من أمة.

ألف كل شكله

قيل إن إياسًا قدم بلادًا فقال: عرفنا خياركم من شراركم في يومين! فقيل له: وكيف؟ قال: كان معنا خيارنا وشرارنا، فلحق خيارنا بخياركم، وشرارنا بشراركم، فألف كل شكله.

ثعبان مكهرب

يعيش نوع من الثعابين المكهربة في أنهار البرازيل وكولومبيا وبيرو وفنزويلا. وبوسع هذا الثعبان الكهربائي تصدير نوبة أمبيرية تصل قوتها إلى ما بين أربعمائة إلى ستمائة وخمسين فولت.



حصن حربي مقام على مرتفع صخري في مدينة تنومة

حسد

يروى أن ثلاثة أعراب اجتمعوا وتكلموا عن الحسد، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ قال: ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرًا قط. فقال له الثاني: إنك رجل صالح، أما أنا ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرًا قط. قال الثالث: ما في الأرض أفضل منكما، أنا ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيرًا قط.

أربعة وجوه للحمد

قال شريح القاضي: إني لأُصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها لأربعة وجوه: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني لاسترجاع ما أرجو فيه الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

قالوا

لكل جواد كبوة.
لكل عالم هفوة.
لكل در حالب
لكل ثوب لابس
لكل ساقطة لاقطة.
كل إناء بالذي فيه ينضح.

أكبر المحيطات

تشكل المحيطات والبحار ما نسبته نحو ٧٠٪ من سطح الكرة الأرضية، أو ما يعادل نحو ٣٦١.٧ مليون متر مربع، وأكبر المحيطات حجمًا هو المحيط الهادي، الذي تعادل مساحته نحو ٤٥٪ من إجمالي تلك المحيطات.

إلا الأدب

قال نصر بن سيار: كل شيء يبدأ صغيرًا ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر، وكل شيء إذا كثر رخص، إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

مشكلات الشباب ومحاولة علاجها في ضوء الإسلام

رضوان صالح عبدالله جبور

لاشك أن مرحلة الشباب هي أهم مرحلة في حياة الإنسان، لأن الشباب مستقبل الأمة، وعمودها القويم، وعقلها السليم، ورصيدها الدفين، وهم المعلقة عليهم الآمال لأنهم الأقدر على النهوض بالأمة والسير بها للأمام لجعلها في مقدمة الركب، ولذا فقد جاء الاهتمام بالشباب وبحل مشاكلهم - وَفْق أسس وقواعد سليمة ومتينة - كبيراً، وذلك لاستغلال تلك الطاقة وصرفها فيما يفيد وينفع وإلا تحمل المجتمع الآثار الوخيمة الناتجة عن سوء التعامل والاستغلال على الوجه الصحيح.

ولأن الشباب - في مرحلته هذه - ينزح (ينزع) إلى إثبات وجوده، وتحقيق آماله، وطموحاته فهو يواجه مشكلات وهموم (هموماً) عديدة نذكر منها:-

أولاً: ضعف التحصيل العلمي

يعاني كثير من الشباب من هذه المشكلة التي تبدأ من البيت فالمدرسة وأخيراً الجامعة، فإن كثيراً منهم لم يتعرض للمراقبة البيتية والتوجيه والتنبيه المستمرين في بداية الحياة، كما أن كثيرا من المناهج الدراسية لايتفق وأهداف المجتمع الإسلامي فنلاحظ أن هذه المناهج تعالج القضايا والأفكار الإسلامية معالجة سطحية مبتعدة عن تعميق العقيدة في النفوس، لذا لم نحفل بجيلٍ شاب يحمل عقيدة راسخة وإيمان قوي وفكر مستنير (وإيماناً قوياً وفكراً مستنيراً) يعمل على الدفاع عن كيان الأمة ومقدساتها، ويحفظ لها هيبتها بين الأمم ويعيد لها سابق مجدها وعزها.

والناظر في المناهج الدراسية المقررة في بعض البلاد الإسلامية يجد أنها لاتختلف في أهدافها عن مناهج الدول الغربية والاستعمارية، على الرغم من أننا أمة لنا ديننا وتراثنا وتقاليدنا وعاداتنا.

ويزداد الأمر سوءاً في الجامعة حيث ينتقل الشاب إلى عالم آخر لم يعتده من قبل، وقد دلَّت كثير من الأبحاث التي قام بها بعض الباحثين على تدني نسبة المطالعين بين طلبة الجامعات والمعاهد سيَّما وأن المناهج هي استمرار لتلك السابق (المناهج السابقة) في المدرسة في عدم تنمية الحس الديني في محاولة للتخلص من الغزو الفكري الغربي والصهيوني. ولايخفى علينا مدى سمو النظرة الإسلامية للعلم والرفع من شأن العلماء في أكثر من موضع من القرآن والسنة، وإن كلمة «اقرأ» هي أول كلمة أوحيت إلى نبي الأمة محمد عليه السلام.

ثانياً: المشكلة الجنسية

لعل هذه المشكلة هي أهم المشكلات الشبابية على الإطلاق. فالجنس غريزة أودعها الله لأداء وظيفة، هي استمرار الحياة على سطح الأرض، لذا لاينبغي لمن يخاف الله ويرجو رحمته أن يستخدمه حسب أهوائه وشهواته، بل هناك ضوابط ومعايير تتحقق بها أهدافه، وأسباب هذه المشكلة التي يتعرض لها الشاب كثيرة منها:

- سير الشاب وراء رفاق السوء الذين لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر.
- عزوف الشباب عن الزواج لغلاء المهور وزيادة تكاليف المعيشة.
- عدم التزام طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن الكريم لم يترك شيئاً إلا وقد بينه، قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام:٣٨) لذا فقد نظَّم الإسلام ووضع لذلك حدوداً وآداباً، قال تعالى: ﴿وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾ (النور:٣٣)، كما دعت السنة النبوية المطهرة إلى الزواج وحثت الشباب عليه ومن لم يستطع منهم فهناك علاج آخر، قال صلى الله عليه وسلم: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (متفق عليه).

ويجب ألا يغيب عن البال أن أذكر بأن مشكلة الجنس بالذات هي مشكلة كبيرة ومهمة ولايتسع المجال هنا

للإحاطة بها إحاطة شمولية، فكتب الباحثين الإسلاميين المهتمين بها أفردت لها عشرات بل مئات الصفحات. يقول الدكتور عباس محجوب: "إن الثقافة الدينية الشاملة تتضمن الثقافة الجنسية، والمطلوب أن يكون المجتمع خالياً من مثيرات الجنس ومهيّجات الشهوة ودوافع الإغراء والفتنة، من التبرج والعري باسم التمدن، والاختلاط والتزاحم باسم الحريَّة، ثم نشر الأفلام الماجنة والأغاني المائعة والمجلات الحاملة للسموم، والإعلانات التي تستجدي بجسد المرأة ومفاتنها الزبائن، والمحلات والمكاتب التجارية التي تصطاد العملاء بالخليعات والسافرات ممن يهينون كرامة المرأة، ويجعلونها سلعة في يد السفهاء. فالستر واللباس للجنسين مظهر حضاري، وتكرمة إنسانية، وارتفاع بقيمة الأفراد"(١).

ثالثاً:
افتقاد التربية الحسنة والتأسيس السليم

تظهر معاناة هذه المشكلة واضحة بعد أن يصبح الطفل ناضجاً واعياً مدركاً لأمور حياته، حيث لـم يكن يشعر بها في طفولته.

ويمكننا القول هنا إن رأس هذه المشكلة طرفان هما الأب والأم، فحتى يكونا قادرين على تربية ابنهما تربية حسنة سليمة يجب أن يكونا على قدر من العلم والدراية بأمور التربية وفق أساليب صحيحة، فالمعروف أن نشأة الطفل هي تقليد لوالديه في كثير من أفعالهما، فإذا كان الأب معتاداً على الذهاب إلى المسجد والصلاة فيه، فإن الابن سيرافقه ويقلده، وإذا كان الأب ـ رب الأسرة ـ يمتلك زجاجات المُسْكر في الثلاجة، فسيأتي يوم على الابن يتناول فيه من هذه الزجاجة ويتّبع والده في الإدمان وهكذا..

وحتى يكون الابن لدى المجتمع شاباً صالحاً مطيعاً يجب أن يتّبع الأب الأسس السليمة في تربيته والحفاظ عليه وتوجيهه في بداية حياته، فالابن على أبيه حق اختيار الاسم المناسب وحق التعليم والرعاية الحسنة.

وقد جاء في أحد المبادىء التي يرتكز عليها ميثاق حقوق الطفل العربي الذي تبنته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية:

"التنشئة السويَّة لأطفالنا مسؤولية عامة تقوم عليها الدولة والأمة، ويسهم فيها الشعب من منطلق التكافل الاجتماعي، وتتجه لتنمية الطفل تنمية تثري ذاته وكيانه بحب أقرانه وأسرته، وبحب وطنه والاعتزاز بتراث أمته وحضارتها والعمل لتحقيق وحدتها وصنع تقدمها"(٢).

رابعاً:
مشكلة الفراغ والبطالة

وهذه المشكلة تعاني منها حكومات كثير من البلاد العربية والإسلامية، فقد عجزت هذه الحكومات عن الوفاء بوعودها ـ لأسباب ليس هذا محلاً ذكرها ـ كتأمين الوظائف لمواطنيها من خريجي الجامعات وسواهم.

والملاحظُ عند خريجي الجامعات ـ في هذه الحالة ـ هو إصابة الشاب بنوعٍ من الاضطراب النفسي، حين يجدُ نفسه مكتوف الأيدي أمام والديه بعد أن قضيا مدة في تعليمه والإنفاق عليه، فالأب عليه مسؤولياته في الإنفاق على بيته وباقي أفراد أسرته، والشاب أصبح رجلاً الآن لكنه عاجزٌ عن كسب المال بسبب عدم وجود الوظيفة. وقد كان والده بالأمس يتمنى أن يصبح ابنه رجلا ليخفف عنه بعض هذا الحِمْل.

وليْتَ مشكلة البطالة تقفُ عند هذا الحد، لكنها ومع الأسف تجر وراءها الكثير من المشكلات الأخرى، كالسرقة والاغتصاب حين يجد الشاب نفسه منجرفةً وراء تيارات الشهوات، والسير وراء رفاق السوء، والهروب من مواجهة الواقع، مما يؤدي إلى إصابة المجتمع بالاضطراب والانهيار وألوان الفساد.

كما يؤدي الفراغ الناجم عن البطالة إلى انقياد صاحبه وراء الملهيات التي لاتنفع، وإضاعة وقته فيما يلهي عن ذكر الله عز وجل، أو الانجراف وراء لعب القمار، فما أحوج

رضوان صالح عبدالله جبور



ـ مواليد الأردن ١٩٧٦م
ـ حصل هذا العام ١٩٩٤م على شهادة الثانوية العامة بتقدير جيد جداً.

شبابنا المسلم إلى واعظ أو زاجر يُذكرهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فَقْرك».

وأستطيع التنويه هنا بأنّ الفراغ هو أحد أهم الأمور الرئيسة التي تقود إلى الانحراف، واقتراف الآثام، وفعل المنكرات كالإدمان على تناول المخدرات والتدخين وممارسة الزنا وغيرها من العادات السيئة.

ولعلاج البطالة والفراغ فإنه يجب علينا مايلي:

(أ) دعوة الشباب لممارسة الرياضة والهوايات النافعة وذلك عن طريق مايلي:

١ـ فتح الأندية الشبابية والرياضية والمنتديات الثقافية ليقضي فيها الشاب أوقات فراغه وممارسة هواياته.

٢ـ العمل على إيجاد المكتبات العامة التي تُلبي حاجات الشباب المثقف والتي توفر مختلف أنواع الكتب.

(ب) توفير فرصِ العمل للخريجين عن طريق التشجيع على استثمار الأموال المرصودة في البنوك.

الهوامش والمراجع:

١ـ الدكتور عباس محجوب (مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي) كتاب الأمة، دولة قطر، ١٤٠٦هـ.

٢ـ خليل الفاعوري، الشباب قضية ورعاية ودور، ص ١٥، وزارة الشباب، الأردن.

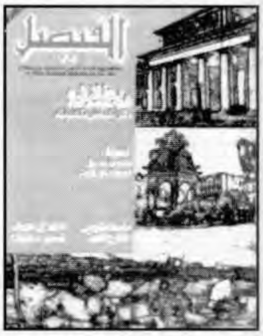
تعليق

وضع الكاتب الناشىء يده على بعض المشكلات الكبرى التي تثقل كاهل شباب الأمة، وتقف دون الاستفادة من مواهبهم. وقد حاول أن يجد الحلول الناجعة في تعاليم الإسلام. غير أن الكلام كله يبقى نظريا يفتقر إلى القوى المتكاتفة التي تجعله واقعاً، وذلك لايكون إلا بإقامة المجتمع المسلم الذي يذكر بالعهد الأول الأغر المحجّل. استعداد الكاتب أفضل من عمله، وإنا لنرجو منه خيرا كثيرا في أيامه المقبلات. وحبذا لو أولى عناية أكبر إلى لغته لتكون أكثر ضبطاً وصحة، وخطه ليكون أكثر وضوحا، وتفكيره ليكون أكثر صبراً في تحري الوجوه العميقة التي يعالج أطرافاً منها. وقد وضعنا بعض التصويبات لأخطاء الكاتب بين قوسين لعله يستفيد منها.

عاصم البيطار

معلمة تكتب عن معاناة أهل المهنة:

كيف يبني المعلم والمجتمع يهدم؟



قرأت في مجلتنا العزيزة مقالة للأستاذ محمود رداوي في العدد ٢٠٦، ومقالة أخرى للأستاذ عبدالغفور الخطيب في العدد ٢١٠، الأول يُحمِّل مشكلات التعليم على المعلم الفاشل ، والثاني يُحَمِّل عبء ذلك على المرأة التي أضاعت جيلاً بأكمله. أنا مع الأخوين الكاتبين فيما قالا ولكن إلى حد ما. ليس معنى ذلك أن نضع فشلنا في أمر التعليم على المرأة وحدها، إن ذلك يعود لعدة أسباب: فقر المعلم وسوء أوضاعه الاقتصادية والمعنوية والمعيشية والتربوية، وتدني المستوى الفكري الحالي عند معظم الآباء والأمهات؛ لأن الآباء الأغنياء يشغلهم السفر والنزهات والحياة الصاخبة عن أولادهم، أما عن الأمهات فالأمر أدهى وأمر حيث الأم تمضي معظم أوقاتها أمام "الفاترينات" وفي صالونات التجميل مقلدة المرأة الحديثة الصاخبة الألوان والظلال كأنها «كراكوز» فكيف تريد المعلمة من تلاميذها أن يدرسوا وهم لايرون أمًّا تنتظرهم في البيت، أو أباً يسألهم: أين كنتم ولماذا تأخرتم؟ كيف تريدون من معلمة أن تشرح درساً وهي تمضي معظم وقتها في التفكير في مواصلات العودة لبيتها أو مصروف آخر الشهر، أو تفكر في موضات هذا الصيف أو ذاك الشتاء والربيع القادم؟

في كل بلاد العالم يُحترم المعلم لأنه أول سلم الحضارة إلا في بلادنا. فإذا سألت أحدهم ماذا تعمل؟ أخفض صوته وقال: أعمل معلماً. ولماذا لايرفع صوته عالياً، وهل هناك أعلى من صوت الحق؟ إن المعلمين هم أعظم الشموع التي تحترق في هذا العالم، هم الذين يعطون ولايأخذون مقابل عطائهم أي شيء، هم الذين ينسون أنفسهم في غمرة هذا الزمن الذي ضاعت فيه القيم والمثل العليا. إن المعلمين هم الذين يَنْسَوْن أنفسهم في لحظة نجاح الآخرين، وهم الذين يحققون نتاج عملهم وإخلاصهم. صدق من قال إن التعليم مهنة إنسانية، فالمعلم يصنع الإنسان، ولكن المجتمع ومشكلاته هي التي تشتت ذلك الإنسان. ماذنب المعلم والتعليم إذا كانت الظروف تسوقهم نحو التشاؤم؟ ولماذا نتشاءم ونحن بألف ألف خير . فلو عاش الإنسان بالأمل لحقق أغلى المكاسب الإنسانية، فالأمل والإيمان يساعدان الإنسان على تخطي المصاعب والشدائد. وأنا أقول رداً على الأخ الخطيب إن وراء كل عظيم امرأة، ووراء كل طفل مشرد ضائع أسرة نسيت حقوق أطفالها ومتطلباتها. لاأريد أن يكون الآخرون عظماءَ، والعظمة لله وحده، ولكن أريد أن يكون هذا الآخر يحس ببعض المسؤولية فقط. وهناك سبب آخر لسوء التعليم في بلادنا ألا وهو مشكلة الكتاب والطريقة الحديثة في التدريس (الطريقة الجملية). ماحاجتنا لنظريات مستوردة من بيانون وبياجيه وديكارت وغيرهم إذا كنا نحن أهل العلم والحضارة؟ إن لكل شعب تراثه الذي يناسبه وأرضه التي تنطبع في مخيلته. ماحاجة هذا الشعب لكل نظريات العالم إذا كان محروماً من حنان الأم أو الأب أو اللقمة التي تسد جوعه؟ لو أعطى الطفل العربي المتخم حتى الشبع أخاه الطفل العربي الذي لايجد مايسد رمقه بعضاً من خبزه وحنانه وعطائه لكان لدينا المزيد من العلماء والمزيد من الحضارات، ولاستغنينا عن خبرات الكثيرين من الأجانب .

أنا لاأريد أي شيء مستورد من الغرب، لأن بلادي هي أم الخير والعطاء. لقد اكتفى غاندي بعنزته حتى نال لبلاده الاستقلال، ونحن لو حافظنا على مابقي من تراثنا ومن عاداتنا ومن أصالتنا لحفظنا البقية الباقية من ماء وجهنا وأبعدنا عنه شح السؤال من الآخرين.

آتي بمثال للأخ محمود رداوي على رداءة التعليم وسوء التعليم، إنها نابعة من الموجة الغربية التي هدمت فينا الأخلاق والعادات العربية، وحرمتنا لذة النوم والسعادة ونحن

نفكر بالنقص الذي نعيش فيه، وقد قالوا إن القناعة كنز لايفنى، ونحن في بلد أنعم الله فيه على أهله بالخيرات الزراعية والصناعية والتجارية، فلانريد يداً غربية.

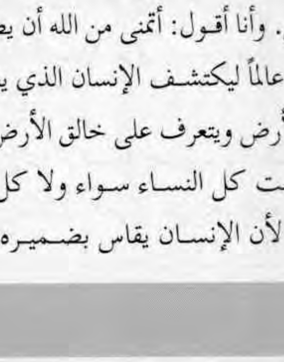
كيف يتقدم التعليم والمعلّم يفكر في معاش يومه ومصروفه حتى آخر الشهر؟ كيف يتقدم التعليم والتلميذ يفكر في أقصر وسيلة للربح السريع كالتجارة مثلاً؟ كيف يتقدم التعليم ومعظم الكتب المدرسية غير مُشوقة لا منظراً ولامضموناً؟ فالطفل تثار حواسه باللون والصورة والشكل قبل المضمون. سألت طفلاً في الصف في درس التعبير: ماهي أمنيتك في المستقبل؟ فقال لي أن أصبح طياراً لأرى كل الأرض. وأنا أقول: أتمنى من الله أن يصبح هذا الطفل عالماً ليكتشف الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض ويتعرف على خالق الأرض.

ليست كل النساء سواء ولا كل الرجال سواء، لأن الإنسان يقاس بضميره ومايؤديه للآخرين من حق وواجب، وأنا أقول إنني أرى في عيون أطفالي ألف وسام، ولاحاجة لي إلى مال الدنيا كله إذا كان هناك سبب لدمعة في عين أحد أطفال صفي. وصدقوني ليست الثقافة بالشهادة فقط. بل بالعلم والمحبة والتضحية والتفاني من أجل ضمير الإنسانية جمعاء.

أميه أحمد الأسعد

حمص – سورية

فهارس المجلات



سررت غاية السرور، حينما طالعني الإعلان عن صدور الكشاف العام لمجلة "الفيصل" وكنت قد بدأت في تحبير مقال أقترح فيه على مجلة "العربي" إصدار فهرس بمناسبة قرب بلوغ عامها الأربعين، وذلك بعد أن عانيت الأمرين في العثور على تقريظ الدكتور طه حسين لكتاب أستاذه الشيخ حسين المرصفي «الوسيلة الأدبية»، عبر مطالعة عشرات الصفحات من كتابَيْ الدكتور طه «تجديد ذكرى أبي العلاء» و «في الأدب الجاهلي» دون أن أعثر على طلبتي.

ومعلوم أن هذين الكتابين، على جلال قدرهما، يفتقران كما تفتقر مئات الكتب الأدبية الأخرى إلى فهارس متنوعة، تساعد القارئ الباحث الجاد في العثور على مايريد.

وبدهي أن وضع الفهارس يحتاج إلى وقت ويقظة وعناء، إذ ليس من السهل أن يضع جميع المؤلفين أو المحققين على غرار ماصنع أستاذنا المرحوم الدكتور محمد سامي الدهان لكتاب " زبدة الحلب من تاريخ حلب " تأليف ابن العديم. الذي صنع له جملة فهارس: للأعلام، والبلدان والمواضع، والكتب والمراجع، والخلفاء والدول، والسنين الهجرية والمسيحية.

ومن المألوف أن يستعين الأعلام المحققون والجهابذة المؤلفون بالنابهين من طلابهم والنشيطين من مريديهم في إنشاء الفهارس، لضيق أوقاتهم أو لتكريسها لغير ذلك من أوجه النشاط، أو لتوجيه مساعديهم نحو الكتب الأمهات يطالعونها على مهل، ويقفون عند كل كلمة ذات صلة بأحد الفهارس.

ولازلت أذكر الخيبة التي مُنيت بها في العثور على اسم الشاعر الملقب "حيص بيص" الذي ورد اسمه في مسابقة مجلة "الفيصل" (العدد ١٩٦ الصادر في شهر محرم ١٤١٤هـ)، بعد الرجوع بخفي حنين من الموسوعة العربية الميسرة، ومن أجوبة بعض مدرسي الأدب العربي في ثانويات حلب، وقد عثرت فيما بعد وبمحض الصدفة على اسم "الحيص بيص" في فهرس الأعلام لكتاب "البداية والنهاية" لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، وهو سعد بن محمد بن سعد.

والواقع من الأمر أن بعض المجلات قد صنعت فهارس لعدد من مجلداتها ثم

أمسكت عن متابعة هذه الخطوة اللازمة والواجبة، وأذكر على سبيل المثال مجلة "العربي" الكويتية التي أنشأت فهرساً للأعداد ١١-٦١، ومجلة الآداب الاجنبية السورية التي أعدت فهرساً للأعداد ١-٤١، والمجلة العربية السعودية التي أهدت قراءها كشافاً من السنة الأولى ولغاية السنة الخامسة. فياحبذا لو استأنفت هذه المجلات سيرتها الأولى بعد صدور الكشاف العام لمجلة "الفيصل"، عسى أن تَهُبَّ المجلات الأخرى لنسج فهارس على غرار هذا الفهرس.

إن المجلات الرصينة جديرة بأن تلقى من المشرفين عليها العناية كل العناية في صنع فهارس متنوعة كل خمس سنوات أو عشر سنوات. وهذه البادرة إيماءة من القائمين على المجلات بأنهم يعرفون أية كنوز تزخر بها أعدادها، وهي أيضاً شهادة من القراء بأنهم يقدرون حق التقدير فيض القرائح ونفثات الأقلام حينما يضمون أعدادها في مجلدات ويحفظونها من الضياع لتبقى منارة من بعدهم لأولادهم وأحفادهم.

نديم إبراهيم الملاح
حلب - سورية

أهكذا يستقرأ التاريخ ؟



كتب الأستاذ إبراهيم ونوس في العدد ٢١١ لشهر محرم ١٤١٥هـ مقالاً تحت عنوان: "الأيوبيون أكراد بالعشرة لا بالأصل"، مدعياً فيه أن الواقع التاريخي يؤكد ذلك. فلاعجب - بعد أن حمل التاريخ مسؤولية إصدار حكم قاطع كهذا- أن يسعى بشتى السبل في محاولة أقل مايقال فيها إنها ليّ عنق الحقائق التاريخية فتغدوا متطابقة مع رؤيته، ومنسجمة مع قناعاته. والأدهى من ذلك أنه يستشهد بتاريخ ابن خلدون المعروف بكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" في محاولة يائسة، لكن دون جدوى، تهدف إلى الاتكاء على مرجع تاريخي، وإيهام القارىء بأنه قد عثر على ضالته، ويقول: « فإذا كان ابن الأثير في تاريخه يقول: (إن الأيوبيين من الأكراد الداوية) فلايعنى هذا أنهم أكراد بالأصل، بل يعني أنهم أكراد بالعشرة الطويلة. أي يمكن لنا في هذه الحالة أن نقول إنهم (متأكردين) وليسوا أكراداً..»

ومن باب الأمانة للتاريخ من الضرورة بمكان عرض تلك الفقرة التي وردت في المجلد الخامس ص ٢٧٨، من تاريخ ابن خلدون، التي تتعلق بأصل ونسب بني أيوب، الذي يعدّ البطل صلاح الدين الأيوبي سليلها، ثم التمعن فيها للوصول إلى بعض الاستنتاجات التي سيستقى منها مدى الغبن الذي ألحقه الكاتب بأمثال ابن خلدون وابن الأثير وابن خلكان نتيجة قراءته المؤدلجة للتاريخ.

يقول ابن خلدون: «هذه الدولة (يقصد دولة بني أيوب) من فروع دولة بني زنكي، كما تراه، وجدهم هو أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشرة بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبدالعزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن شنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي ، هكذا نسبه بعض المؤرخين لدولتهم، قال ابن الأثير إنهم من الأكراد الروادية وقال ابن خلكان: شادي أبوهم من أعيان درين..»، ويستنتج من هذا القول:

١ - إن بعض المؤرخين قد نسب جد الأيوبيين لدولتهم، على حد قول ابن خلدون. ولايخفى أن النسبة إلى الدولة غير النسبة إلى الأمة، فأكراد العراق مثلاً ينتسبون إلى العراق، لكنهم ليسوا عربا. وهذا ليس انتقاصاً من شأن العرب الذين حملوا لواء الإسلام بالمشاركة مع شعوب أخرى، بمن فيهم الشعب الكردي، وتمخض عن هذه المشاركة تاريخ مجيد يعد بحق مفخرة كل المسلمين على مدى الدهور.

٢ – اكتفى ابن خلدون بعرض الآراء – كما رأى القارئ – منها رأي بعض المؤرخين ورأي ابن الأثير وابن خلكان، إلا أن الأستاذ إبراهيم ونوس يغض الطرف عن رأي ابن الأثير وابن خلكان لأسباب مجهولة، مما يجعلنا نشك في موضوعيته في تناول الموضوع واستقراء النصوص التاريخية.

٣ – لاينكر أحد أن ابن خلدون قد صوّب الكثير من نظريات من سبقوه، وهذا شيء طبيعي بسبب تأخره وعلمه الغزير، لكن أن نحملّه تبعة مالم يقله، أو نسند إليه مالم يدونه أصلاً في تاريخه زورا وبهتاناً، فهذا لعمري ليس تجنياً على التاريخ فحسب، بل عليه أيضاً.

٤ – التزم ابن خلدون الرؤية الموضوعية في النظر إلى التاريخ، فلم يدل بدلوه في مسألة كهذه، رغم موسوعيته، بل ترك الأمر للقارىء ليحسم الأمر. وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت الأجيال اللاحقة تنظر إليه بعين من التقدير، في الوقت الذي ألقى فيه الأستاذ إبراهيم ونوس حكمه على عواهنه، بعد فشله في العثور على دليل يثبت من خلاله رؤيته.

٥ – هناك – كما يلاحظ القارىء – إهمال متعمد لرأي كل من ابن الأثير وابن خلكان، وهذا الإعراض غير المبرر جعله انتقائياً، فضلاً عن طريقته في تناول هذا الموضوع التي إن دلت على شيء فإنها تدل على عدم إلمامه بتاريخ الأكراد، ولولا ذلك لما توصل إلى تلك الاستنتاجات الآنفة الذكر.

وفي مجال آخر يومىء الكاتب بأنه يفضّل ابن خلدون لتأخره عمن سبقه من المؤرخين، وإذا صح هذا القول فكان حرياً به العودة إلى مؤرخ ضليع في تاريخ الأكرد لايشق له غبار هو شرف خان البدليسي، الذي يقول بعد دراية وتمحيص للتاريخ الكردي في كتابه "شرفنامه":

« يروي علماء التاريخ ومتتبعو السير أن جد ملوك مصر والشام هؤلاء هو (شادي بن مروان) وكان في الأصل من أكراد رونده دوين أذربيجان». ويضيف المترجم محمد علي عوني بأن: «لفظ رونده بمعنى الذاهبين والجائين يستعمل أيضاً بمعنى المهاجرين، فلاشك أن الأكراد سكان دوين أذربيجان قد هاجروا مع من هاجر من المسلمين من شمال كردستان إلى جنوبها حين غزو الكرج والروس والأبخاز من النصارى، كرجستان، وأران، وكردستان..»

أما ابن خلكان فيقول في "وفيات الأعيان":

«قال بعض المؤرخين: كان شاذي بن مروان من أهل دوين – وهذا الاسم عجمي، ومعناه بالعربي فرحان – ودوين – بضم الدال المهملة وكسر الواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون – وهي بلدة من أواخر إقليم أذربيجان من جهة الشمال تجاور بلاد الكرج».

ويؤكد ابن شداد في "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" قائلاً: «مولده بدوين» كما أن ياقوت الحموي قد ضبطها هو الآخر بنفس الشكل في "معجم البلدان".

وهكذا يتبين أن ماورد في تاريخ ابن خلدون بصدد كلمتي (الروادية) و (درين) المنقولتين عن ابن الأثير وابن خلكان على التوالي، ليس دقيقاً، وأكاد أجزم بأنها مجرد أخطاء مطبعية. إلا أن الأستاذ إبراهيم ونوس نقلها كما هي دون تحمل عناء العودة إلى ابن شداد وابن الأثير وابن خلكان أو أي مرجع تاريخي آخر، فبدت أحكامه هشة، وجعلتنا ننظر إليها بعين من الشك والريب (ملاحظة: بالنسبة لكلمة روادية فهي نفسها لدى كل من ابن خلكان وابن خلدون).

وجلاء للحقيقة، لا أجد مناصاً من الاستشهاد بآراء حديثة والرجوع إلى بعض المؤرخين الذين اجتهدوا في هذا المجال، ومنهم العلامة محمد كرد علي الذي يقول في كتابه "خطط الشام": «وأصل صلاح الدين من دوين بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة إيران وبلاد الكرج وهم أكراد زوادية وهي قبيلة كبيرة تعد من أشراف الأكراد، وانتقل أهله من هناك إلى العراق ثم عيِّن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين محافظاً لقلعة تكريت وفيها وُلد ابنه هذا» أما محمد أمين زكي فيدحض في كتابه "تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي" ماورد في تاريخ ابن خلدون، المشار إليه آنفاً، منوهاً بأن ماذكره من سلسلة نسب شادي: «حيث أوصلها إلى (عوف الحميري الدوسي؟)» فليس فيه: «أدنى نصيب من الصحة، بل هو بعيد كل البعد عن الصواب، إذ الحقيقة أن التاريخ يجهل اسم جد شادي».

وفي كتابه القيم "صلاح الدين وسقوط مملكة القدس" يؤكد ستانلي لين بول بما يقطع الشك باليقين بأنه لم يكن عربياً ولاتركياً، بل «كان كردياً من عشيرة الرواندية، وولد في قريتهم أجدانقان Ajdanakan قرب دوين في أرمينيا».

وتذهب "دائرة المعارف الإسلامية" إلى التأكيد بأن (شادي : شاذي) بن مروان كان من عشيرة (راوندى) الكردية في منطقة دوين، وهي بطن من بطون قبيلة (أزبني : هازبني) الكبيرة، كما يقول محمد أمين زكي في كتابه الآنف الذكر.

وعليه يمكن لكل ذي بصيرة أن يكتشف زيف ادعاءات الكاتب، عبر عرض جملة من الآراء، أردنا من خلالها إزالة ماتراكم من صدأ على الحقائق التاريخية ليس إلا.

علي حسين أحمد
القامشلي – سورية



زكي نجيب محمود : أي تجديد للفكر ؟

كتبت نجلاء أحمد مسعد مقالة عن الكاتب المصري الراحل زكي نجيب محمود، نشرت بعنوان: "الأصيل المعاصر" في العدد ٢٠٨ الصادر في شوال ١٤١٤هـ الموافق لمارس ١٩٩٤م، امتدحت فيها هذا الرجل وأثنت عليه، وعرضت نبذة عن حياته ومراحل تعليمه والشهادات التي حصل عليها، وشيئاً من أفكاره التي ظل يدعو إليها طوال عمره. وآنا هنا لأريد أن أثلب في الرجل أو أنتقص منه، فقد مضى الرجل إلى ربه وسيلقى جزاء أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا أنني أود أن أكشف جانباً بسيطاً من أفكار هذا الرجل ومعتقداته مما يخفى على كثير من الناس.

لقد أطنبت الكاتبة في مدحه ومدح أفكاره التي تدور حول تجديد الفكر والثقافة العربية، ولعل هذه الدعوى انخدع فيها كثير من الناس لأنهم لم يتعمقوا فيها ولم يدرسوا فكر الرجل دراسة جيدة، ولم يعرفوا ماذا يقصد الرجل بهذه الفكرة التي تولى زعامتها وأخذ على عاتقه تنفيذها والعمل بها. لقد قصد بها أن نترك الماضي لأنه قديم وأن نأخذ بالجديد، الماضي تراث أسلافنا والجديد هو ماعند الغرب. يريد منا الدكتور أن نترك ماضينا، ولكن ماذا يقصد بماضينا وماهو ماضينا؟ إنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآثار الصحابة والسلف الصالح، إن هذا هو القديم في نظره، وهو الذي يجب تركه لأنه لم يعد صالحاً في هذا العصر، يريد أن يؤكد أنه لاسبيل لنا إذا أردنا أن نلحق بالغرب في تقدمه إلا إذا تركنا الماضي وغيّرنا منهجنا القديم، وهو الكتاب والسنة.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود مانصه: «ثم نهضت أوربا بأبنائها أو نهض بها أبناؤها منذ القرن الخامس عشر ومابعده، ولم ننهض مثلهم، وكان معنى النهوض هو أنهم غيّروا المنهج واستبدلوا به منهجاً جديداً، فبدل أن تكون القدوة القديمة هي المرجع المقروء الذي لامرجع سواه.. إنهم بدل ذلك جعلوا مرجعهم المقروء هو الطبيعة ذاتها ومعها باطن النفس الإنسانية لمن يستطيع استبطان نفسه في دقة العلماء، فعلوا ذلك هم ولم نفعل نظيره إلى يومنا هذا، وكانت لهم نصفة ولم يكن لنا مثيلها وتغير عندهم معنى العلم ولم يتغير عندنا، إذ أصبح العلم عندهم كشفاً عن أسرار الطبيعة وصياغة قوانينها، وأما العلم عندنا فقد ظل كما كان وهو أن نحفظ مافي بطون الكتب».

لقد طلب الدكتور في بداية هذا المقطع أن نترك الاقتداء بالقديم حتى نصبح متطورين كالغرب -هذا مقصود كلامه- ولكن ماهو القديم الذي نقتدي به ويجب علينا ترك الاقتداء به؟ أليس هو ماجاء به رسولنا وكتاب ربنا وماورد عن سلفنا الصالح؟ .

إن الدكتور يريد منا كذلك -كما جاء في كتبه- أن نقلد الغرب في كل شيء، في لباسه،و في طعامه، في لعبه، في كل شؤون الحياة حذو القذة بالقذة، وأنه لاسبيل لنا للرقي إلا بذلك، وقد سمّى أول كتاب ألفه بعد عودته من دراسته في الخارج «شروق من الغرب» ليدلل لنا أن الرقي والتطور لايأتي إلا من هناك، وأنه لايمكن أن يأتي من بلاد الشرق إلا إذا اتبعت النهج الغربي.

ويعلم الله أني ما أردت من كلماتي هذه إلا كشف الجانب الحقيقي للرجل حتى لاينخدع به المنخدعون، وأن لاتسحرنا وتبهرنا كتابات هذا الرجل عن حقيقة مايدعو إليه هو وأمثاله الكثيرون الذين درسوا في الغرب وانبهروا برتوشه ومظاهره الكاذبة، فجاؤا مبشرين بتلك الحضارات داعين أبناء الأمة إلى ترك ماضيهم وتراثهم والأخذ بالحضارة الغربية الزائفة بغثها وثمينها. وللأسف فإن الكثيرين من هؤلاء قد تسلموا زمام السلطة الثقافية في بلادنا الإسلامية ولاحول ولاقوة إلا بالله، وأصبحنا نمنحهم الجوائز والألقاب الرنانة ونضعهم في مكانة غير مكانتهم الطبيعية، وجعلناهم أوصياء على لغتنا وثقافتنا، يتلاعبون بها ويشوهونها كيف شاؤوا، فـ «إنا لله وإنا إليه راجعون».

مبارك بن عزام
الرياض

ردود خاصة

الأخ عثمان عبد العزيز تنقساوي - أم درمان - السودان

يمكنك مراسلة الدكتور حسن ظاظا على عنوان المجلة، أما عنوان الأستاذ عدنان عضيمة فهو: ص.ب ١٥٥ القبة ١٦٠٥٠ الجزائر. أما العلماء الذين ذكرتهم فسوف نتناولهم مستقبلاً إن شاء الله، وهناك مقابلة مع الدكتور فاروق الباز ستُنشر في أحد الأعداد المقبلة إن شاء الله.

الأخ نزار الخطيب - دمشق - سورية:

اقتراحك بشأن إعداد ما أسميته «فهرست عام» لموضوعات المجلة منذ صدورها تم تنفيذه، وهو «الكشاف العام»، ويعد تجميعا للكشافات السنوية التي تظهر مع عدد شهر رجب (بداية السنة الإصدارية للمجلة).

الأخ طارق بن عبد القادر - الوادي - الجزائر:

استفساراتك يمكن أن يجيب عنها الملحق التعليمي في السفارة السعودية في بلدك.

الأخت فاطمة الزهراء بن زاكور - فاس - المغرب:

موضوعك محل الاهتمام، وسنبلغك بريديا بما سيتم بعد إجراء اللازم، مع تقديرنا لانتظارك.

الأخ فيصل المسفر - الرياض:

ليست لدينا أي معلومات حول كيفية الحصول على الكتابين اللذين سألت عنهما، فنرجو المعذرة.

الأخ الحسناوي عبد العزيز - الناظور - المغرب:

أسئلتك عرضناها على الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، وسيجيب عنها فضيلته في باب «طريق الهدى» إن شاء الله.

الأخ أحمد هيبة - خنيفرة - المغرب:

الموضوعات التي تُنشر في باب «مناقشات وتعليقات» لاندفع مقابلها أي مكافأة مالية لكتّابها، وهذا أمر متبع في المجلة منذ العدد الأول.

الأخ عبد القادر مدني العربي - بوسعادة - الجزائر:

طباعة المجلة لم تتغير ولم تختلف عما كانت عليه، ولعلك تقصد اختلاف الإخراج، والشكل الجديد نتج من استخدام الحاسب الآلي «الكمبيوتر» في الإخراج وفرز الألوان، ونحن بصدد إدخال تحسينات لعلها تنال استحسان قرائنا الكرام.

الأخ لطفي كنز - حمام سوسة - تونس:

أحلنا رسالتك إلى الدكتور محمد بن سعد الشويعر، ونأمل أن يستجيب لطلبك بصورة مباشرة.

الأخ محمد الطيب التايب - تطاوين - تونس:

المعلومات التي تود الحصول عليها عن المملكة العربية السعودية ستجدها في المركز الإعلامي السعودي في العاصمة التونسية، وهو تابع للسفارة السعودية.

الأخ إبراهيم عبد الله مارش - حيدر أباد - الهند:

المجلة لاتهمل الأعمال الأدبية للمبتدئين بدليل أنها خصصت ابتداء من العدد الماضي بابا جديدا هو «تباشير» لرعاية المواهب الأدبية الناشئة. محاولتك الشعرية أحيلت لمحرر «تباشير» للنظر في إمكان

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

نشرها أو الرد عليك بما يلزم.

الأخ صولي السعيد ـ تقرت ـ الجزائر

نأمل أن يتمكن الملحق الثقافي في السفارة السعودية في بلدك من مدك بالمعلومات المطلوبة.

الأخ مخلص موسى الطويل ـ دمشق ـ سورية:

أحلنا رسالتك إلى قسم الاشتراكات ليتولى إرسال الأعداد إليك بانتظام على العنوان الذي ذكرته.

الأخ غ. بنموس ـ السّمارة ـ المغرب:

اقتراحك بشأن اهتمام المجلة بالأدب المغربي ورواده في محله. نأمل مراسلتنا في المرات القادمة باستخدام الاسم الصريح، وشكرا.

الأخ خالد عبد الله باباسط ـ المكلا ـ حضرموت ـ اليمن:

نأمل أن تصل المجلة إلى أكبر عدد ممكن من مناطق اليمن الشقيق، أما إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فنأمل أن تُطلب منه مباشرة على عنوانه الموضح في ظهر الغلاف الخلفي للمجلة.

الأخت هدى الحمود ـ الرياض

نحن سعداء بأن «الفيصل» جعلتك تزدادين تعلقا بالقراءة ونشكرك على مشاعرك الصادقة تجاه المجلة. أما ملاحظتك بشأن الإخراج فهي مأخوذة في الاعتبار.

الأخ مصطفى الحاج حسين ـ حلب ـ سورية

شكرا على ما كتبته إلينا حول نادي التمثيل للآداب والفنون بحلب، غير أن ملاحظاتك يمكن توجيهها إلى القائمين على النادي مباشرة، فالمجلة تهتم بالشأن العام الذي يحظى باهتمام القارئ العربي في كل مكان، ولعلك تتفق معنا أن الشأن المحلي له قنواته المحلية الفاعلة.

الأخ عدنان بيطار ـ حلب ـ سورية

المجلة أصبحت تصدر الآن في أوقات مبكرة عما سبق، ونأمل أن تكون قد لمست هذا التحسن، والأعداد التي طلبتها سنرسلها لك إذا كانت متوافرة لدينا.

الأخ علي عيسى الفضل ـ عطبرة ـ السودان

سرتنا كثيرا فكرة إنشائكم «رابطة الفيصل الثقافية»، ومثل هذا التفاعل الكبير مع ما نبذله من جهد متواضع يجعلنا نحس أكثر بثقل المسؤولية وبأهمية الرسالة التي نؤديها. نسأل الله التوفيق للجميع.

الأخ العكيين عمر ـ طنجة ـ المغرب

لاتتوافر لدينا كتب مناظرات الشيخ أحمد ديدات. ونأمل أن نتمكن من تلبية طلباتك الأخرى التي ذكرتها في رسالتك.

الإخوة والأخوات: نورة العايب ـ قسنطينة، عبد اللطيف عرعار ـ ورفلة، عبد الرحمن أو فروخ ـ قسنطينة ـ الجزائر:

نعتذر لعدم منح اشتراكات مجانية للقراء، وسنحاول إرسال بعض الأعداد السابقة لكم.

الأخ المحب نبيل ـ الدار البيضاء ـ المغرب:

نأسف لعدم إمكان مساعدتك في الشأن الذي كتبت إلينا من أجله، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

الإخوة: عبد الله الردادي ـ المدينة المنورة، سمير إبراهيم كشك ـ الاسكندرية ـ مصر، محمد سعيد صالح ـ عمان ـ الأردن، زياد حمود ـ إدلب، يحيى الأمير ـ حماة ـ سورية، نقاش خليل ـ مسيلة ـ الجزائر، خليل سعيد طيفور ـ غوباز ـ البرازيل:

الأعداد التي طلبتموها في طريقها إليكم.

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:

السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠بيسة ـ الأردن ٥٠٠فلس ـ اليمن ٢٥ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠دنانير ـ العراق ٤٠٠فلس ـ سورية ٢٠ليرة ـ ليبيا ٨٠٠درهم ـ موريتانيا ١٠٠أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠شلن ـ جيبوتي ١٥٠فرنكًا ـ لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

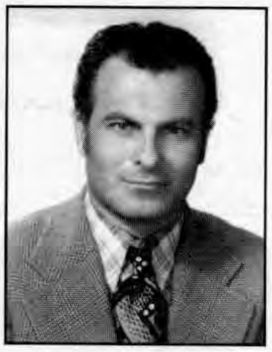
الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد



نعم.. هناك فكر مستقل

ياسر الفهد

اعترف لي صديق، بعد جولات طويلة من النقاش المستمر والجدل المستعر، حول أمور عديدة تتعلق بالثقافة والسياسة والأدب والمجتمع، بأنه على كل ما جرى بيننا من حوار، لم يستطع أن يكتشف إلى أي تيار فكري (أيديولوجي) أو سياسي أنتمي، أو إلى أية جهة اجتماعية أو أدبية أنتسب.

لقد حاول صديقي، بكل جد ودأب، ولفترة طويلة من الزمن، أن يرتاد أعماقي ويستجلي بواطني، حتى يتمكن من الوصول إلى حقيقة انتمائي وتبعيتي. ولكن محاولاته باءت جميعها بالفشل وآلت إلى الإخفاق. وفي الحقيقة، فقد كان من المستحيل عليه، ولو قضى سنوات من النقاش والأخذ والرد معي، أن يصل إلى معرفة الفئة التي أتبعها، وذلك لسبب بسيط، هو أني لا أتبع أية فئة، فأنا أتبع فقط الإنسان والأمة والوطن والخير والحق والعدالة.

وثمة صديق آخر نصحني بالانتساب إلى جماعة أو (شلة) ما حتى تؤازرني وتشد من عضدي، وتوصلني إلى منصب رفيع يتيح لي التمتع بالسلطة والنفوذ، والقدرة على تحقيق المكاسب.

وقد سخرتُ من قول هذا الصديق، وأعلمته بأني لا أسعى وراء تقلد المناصب العليا، وأن المنصب الوحيد الذي أريده هو منصب الكاتب، الذي هو أحبّ المناصب إلى قلبي. فمن خلال هذا المنصب المشرف، يستطيع الكاتب في الدول التي تنعم بحرية الصحافة، أن يفعل أكثر مما يفعل صاحب النفوذ والمناصب. فهو قادر على نقل أفكاره التي تعتمل في ذهنه، إلى جميع الناس، ومنهم المسؤولون، وعلى التأثير فيهم، وتوجيههم نحو المسارات الصحيحة والخيِّرة. فهل هناك أفضل من هذا الطريق الذي يوصل إلى خدمة الفكر والأمة الإنسانية جمعاء؟

من هذين المثالين البسيطين، نستطيع أن نستنتج أن كثيرا من الناس قد اعتادوا على فكرة الانتماء، وهم لايستطيعون من هذه العادة المستحكمة فكاكا، وكأن المرء لايمكن أن تكون له شخصية مستقلة أو فكر مستقل. هؤلاء يتصورون أن الإنسان لايستطيع أن يشق طريقه في الحياة، أو أن يبني لنفسه موقعا مناسبا تحت الشمس؛ إلا إذا انتسب إلى جماعة أو شلة سياسية أو فكرية أو أدبية أو دينية. وفي رأيي أنه ليس من الضروري أن يكون الإنسان منتميا. وأكثر من ذلك فإن للانتماء أخطاره وأضراره إلى جانب ما قد ينطوي عليه من فوائد. فعلى الرغم من أنه يتيح الفرص للتعاون والتفاعل والتواصل والعمل الجماعي، فإنه كثيرا ما يقحم المنتمي في دروب غير الدروب التي يريدها، دافعا إيّاه إلى مجاراة الجهة التي ينتمي إليها والنطق باسمها وعدم النظر إلا بمنظارها. وإذا كانت هذه الجهة ذات توجهات سرية مغرضة، فإن معنى ذلك أن الفرد المنتمي سيصبح مسخّرًا - دون أن يدري - لخدمة أهداف هدامة.

وفي مقابل الانتماء هناك الاستقلالية، سواء أكانت استقلالية سياسية أم فكرية. وهي تتيح للإنسان التوجه نحو الموضوعية والنزاهة بدرجة أكبر، كما تتيح له التحرر من القيود والحدود التي يمكن أن تغل يديه وتلجم تطلعاته الفطرية الأصيلة، فتراه يسعى إلى خير الوطن بأكمله، وإلى صلاح المجتمع بمختلف قطاعاته، وإلى تعميق المحبة والتعاون بين الناس كافة، على اختلاف مشاربهم وتباين طبقاتهم، دون أن يتقيد بتوجهات الجماعة التي ينتسب إليها وبأفكارها، التي قد تكون أفكارا وتوجهات مغرضة.

خلاصة القول، إن الانتماء قد يكون مفيداً أو ضاراً. أما الاستقلالية فإنها، تحمل معها، دائما، بذور الاستقامة والثقة بالنفس ورفض التبعية. صحيح أنه ليس هناك على أرض الواقع استقلالية كاملة بالمعنى الحرفي للكلمة، لكن المقصود هو الاستقلالية النسبية التي تجعل المرء قادراً على التحرك بوازع من ضميره وقيمه، وبدافع قناعته الخاصة دون أن يتأثر بإملاءات الآخرين وتلقيناتهم، وربما بأوامرهم.